دلالات العلم
في القرآن الكريم
في ضوء نظرية السياق

إعداد

د. سعدة عبد الفتاح محمد أبوحسين

مدرس أصول اللغة بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد...

فإن العلم نور العقل، وحياة الروح، ومصدر سعادة الإنسان فبه يحيا، وبه يستنير ، وبه ينشر الخير في بقاع الأرض، ثم إنه غذاء للروح، ومرضاة للرب وقرب منه، به ترفع الدرجات وترتفع الهامات، وتتفاوت المقامات ويتمايز الناس، وصدق الله العظيم إذ قال:" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (المجادلة: ١١).

لقد ميز الله سبحانه وتعالى العلماء، وفضلهم على سائر خلقه، وجعلهم أهل الفهم والإدراك دون غيرهم فقال سبحانه:" وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"" (العنكبوت: ٤٣)، ومن هنا كانت أهمية العلم بدلالاته المتعددة في القرآن الكريم مثار اهتمام وعناية الباحثين والباحثات، وهذا ما دعاني لدراسته من خلال السياق القرآني.

ويعد هذا اللفظ (العلم) من أكثر الألفاظ ورودا في القرآن الكريم، فورد هذا اللفظ بمشتقاته المختلفة ثمانية وستين وسبعمائة (٧٦٨) مرة، وجاء في أغلب مواضعه بالدعوى إلى التدبر والتفكر في آيات الله،، ومن هذا المنطلق جعلت بحثي بعنوان (دلالات العلم في القرآن الكريم في ضوء نظرية السياق)

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمت بتتبع ألفاظ العلم في القرآن الكريم من خلال السياقات الواردة فيه، ورتبت مسائله بحيث وضعت كل مسألة في مبحثها الخاص بها، وأتبعتها بالشرح والتحليل، موضحة العلاقة بين اللفظ والسياق الوارد فيه، ومبرزة أثر السياق في تحقيق الدلالة

المنشودة، مستعينة في كل ذلك بما ورد في كتب اللغة والتفسير والبلاغة والنحو، وبعض كتب الفكر اللغوي الحديث.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة: تكلمت فيها عن أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، والخطة التي سرت عليها في معالجة قضاياه، والمنهج الذي سرتُ عليه في تحليلها، وتمهيد: بينت فيه تعريف العلم في اللغة والاصطلاح وطرق اكتسابه ودرجاته، وثلاثة مباحث:يعرض الأول للسياق الصوتي وأثره في تحديد دلالة العلم، حيث أشار العلماء إلى قيمة الصوت باعتباره وحدة صوتية مؤثرة في معنى الكلمة حيث يشترك مع غيره في حمل جرثومة المعنى، كما يؤثر تغيره أو حذفه على تغيير المعنى، وقد قسمت هذا المبحث على ثلاثة مطالب، يعرض الأول للصوت الصامت وأثره في الدلالة على معنى العلم، ويعرض الثاني للصوت الصائت وأثره في الدلالة على المعنى، حيث كان للحركات دور بارز في تنوع دلالات العلم في القرآن، وذلك من خلال تشكيلها الصيغ المشتقه في إطار مادة (ع ل م)فقد قام بوظائف صوتية وصرفية ونحوية، ويعرض المطلب الثالث للمقطع الصوتي وأثره في الدلالة على معنى العلم، حيث تنوعت المقاطع الدالة على العلم في القرآن الكريم، وهذه المقاطع لها دلالات تتسق ومقصود المعاني الوارده في كل مشتق من مشتقات العلم.

وبالتأمل في التحليل المقطعي لغالبية مشتقات العلم في القرآن الكريم، نرى أن المقاطع (ص ح ، ص ح ص،ص ح ح) هي المكونه لها، وأكثرها وقوعا هو المقطع (ص ح) فقد تكرر هذا المقطع بنسب متفاوته وصلت إلى أربعة مقاطع في المشتق الواحد، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التراكم المعرفي في العلم وتتابعه واستمراره، أما المقطع (ص ح ص) فلم يخل منه مشتق واحد من مشتقات العلم، وهذا يدل على أن العلم موطنه الصدر، فشبه به لانغلاق الصدر عليه وسكونه فيه وثباته، وأما المقطع (ص ح ح) فوجد بنسب تقل عن

سابقيه، وهذا المقطع بانفتاحه يدل على أن العلم علامة على علو مكانة صاحبه وارتقائه.

ويعرض المبحث الثاني للسياق الصرفي وأثره في تحديد دلالة العلم، وللسياق بنوعيه (خارجي وداخلي) دور حاسم في تحديد المعنى المراد من الصيغة، فمثلاً : الهمزة في صيغة (أفعل) تأتي لمعاني كثيرة منها الجعل، والصيرورة، والمصادفة، والتعريض... والتضعيف في (فَعَّل) يفيد المبالغة والتكثير، والنسبة إلى الشيء إلى غير ذلك من الصيغ ودلالاتها المتعددة، وقد تحدثت فيه عن صيغ الأفعال وأثرها في تحديد دلالة (العلم) سواءً كانت صيغًا مجردة أو مزيدة، وكذا صيغ الأسماء التي تدل على قوة المعنى والمبالغة فيهوأثرها في تحديد العلم.

ويعرض المبحث الثالث للسياق النحوي وأثره في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم، وتحدثت فيه عن معاني الأدوات؛ حيث إنها أسهمت بشكل كبير في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم، وتحدثت فيه أيضا عن الوحدات النحوية التركيبية وأثرها في تحديد دلالة العلم مذيلة كل ذلك بخاتمة فيها أهم نتائج البحث ومنها ما يلي:

١- دلالات للعلم توافقت مع ما ذكره علماء الوجوه والنظائر، وهي (اسم الله الأعظم ، الإلهام، البيان، التمييز، الحفظ، الرؤية ، الشرط من أشراط الساعة، ضد الجهل، الفهم)

٢- دلالات جديدة للعلم في القرآن الكريم كشف السياق القرآني اللثام عنها، ولم ينص عليها علماء الوجوه والنظائر، وهي (الإباحة، الإحاطة، الحجة والدليل، السمع، علم سياسة الحرب، الظن، العقل، الفضل، الفطنة والتدبر، القرآن الكريم، المجازاة، المعرفة،المعلوم ، الموحدون، الوحي واليقين).

٣- استطاع البحث أن يبين بعض الفروق الدلالية بين علم الله تعالى

(العلم الإلهي) وبين علم البشر (العلم الإنساني).

٤- أثبت البحث أن هناك طرقًا لاكتساب العلم، وقد نص القرآن الكريم عليها، وكثيرًا ما يعبر عن العلم بها، مثل الحواس، والعقل، والوحي، والإلهام).

وبعد،،،

فهذا جهد المقل وبضاعة العاجز، حاولت فيها الوصول، واجتهدت لتحصيل المأمول، والمصيب له أجران والمخطئ غير محروم الأجر، أسأل الله أن يعصمنا من الزيغ والزلل، وألا يحرمنا الأجر والمثوبة، إنه سميع مجيب.

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله -سبحانه وتعالى- على ما منح من الإلهام، وفتح من الأفهام، ونسأله التوفيق للعمل بما علمنا، فإن الخير لا يدرك إلا بتوفيقه ومعونته.

أحمده حمد الشاكرين ، وأشكره شكر الحامدين ، وأعوذ به من الجهل والجهلاء، ومن الضلالة والظلماء.

وأشهد أن سيدنامحمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق هاديا وبشيرا، ونزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا، ففتح لهم أبواب الخير، وهداهم صراطامستقيما.

وبعد....

فإن دراسة السياق محور رئيس من محاور علم الدلالة، وثمرة من ثمرات اللسانيات؛ إذ جعلت منه نظرية ومنهجا متكاملا في دراسة المعنى.

وقد عُنِي المفسرون منذ وقت مبكر بالسياق القرآني؛ لما له من أثر فاعل في الكشف عن مراد الله -تعالى- فهو أفضل قرينة تكشف عن حقيقة معنى اللفظ ، حيث إن لكل كلمة في القرآن الكريم معنى في ضوء سياقها، ربما لا يصح هذا المعنى في سياق آخر وإن كان المعنى صحيحا، وكان هذا دافعا إلى تأليف كتب الوجوه والنظائر، فقد جمعت للكلمة الواحدة في القرآن الكريم دلالات متعددة يعود للسياق الفضل في اكتسابها لهذه المعاني في ضوء الدلالة اللغوية، ومن الألفاظ القرآنية التي عُنيت كتب الوجوه والنظائر ببيان دلالاتها في سياقاتها القرآنية لفظ (العلم) ، ويعد هذا اللفظ من أكثر الألفاظ ورودا في القرآن الكريم،

فورد هذا اللفظ بمشتقاته المختلفة ثمانية وستين وسبعمائة (٧٦٨) مرة ، وجاء في أغلب مواضعه بالدعوى إلى التدبر والتفكر في آيات الله، قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٧).

ولما كان شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي التي حفظت بحفظ الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾(الحجر: ٩).

وحيث إن الخوض فيه يؤدي إلى سعادة الدارين، كانت الهمة منصرفة لتحصيل شيء ييسر لي ذلك، ومن هذا المنطلق جعلت بحثي بعنوان (دلالات العلم في القرآن الكريم في ضوء نظرية السياق).

فالعلم من أفضل القربات إلى الله؛ لأنه وسيلة لأعظم الغايات وهي عبادة الله- تعالى- والقيام بتوحيده على الوجه الأتم الأكمل، فالعلم النافع من أهم أسباب زيادة الإيمان، فالعالم عرف ربه وعرف نبيه، وعرف أوامر الله، وميز بين ما يحبه الله ويرضاه، وبين ما يكرهه ويأباه، فهو يعمل بأمره وينتهي بنهيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾(فاطر: ٢٨)، فالعلم رأس الفضائل وأكملها؛ ولذا فإن الله- سبحانه وتعالى- لم يأمر نبيه (ﷺ) بطلب الازدياد من شيء إلا العلم؛ لما يترتب عليه من زيادة الإيمان والثبات عليه قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤).

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمت بتتبع ألفاظ العلم في القرآن الكريم من خلال السياقات الواردة فيه، ورتبت مسائله بحيث وضعت كل مسألة في مبحثها الخاص بها، وأتبعتها بالشرح والتحليل، موضحة العلاقة بين اللفظ والسياق الوارد فيه، ومبرزة أثر السياق في تحقيق الدلالة

المنشودة، مستعينة في كل ذلك بما ورد في كتب اللغة والتفسير والبلاغة والنحو، وبعض كتب الفكر اللغوي الحديث.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة: تكلمت فيها عن أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، وتمهيد: بينت فيه تعريف العلم في اللغة والاصطلاح، وثلاثة مباحث:يعرض الأول للسياق الصوتي وأثره في تحديد دلالة العلم، والثاني: خاص بالسياق الصرفي وأثره في تحديد دلالة العلم، والثالث: السياق النحوي وأثره في تحديد دلالة العلم، مذيلة بخاتمة فيها أهم نتائج البحث، وفهرس بأسماء المصادر والمراجع.

والله أسأل السداد في القصد، والتوفيق في العمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. سعدة عبدالفتاح محمد أبو حسين

التمهيد

العلم لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف العلم لغة: تدور مادة (ع ل م) حول أصل دلالي واحد، وهو الأثر الواضح في الشيء، يقول ابن فارس :" الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ.

مِنْ ذَلِكَ الْعَلَامَةُ ... وَالْعِلْمُ: نَقِيضُ الْجَهْلِ "[1] .

وذكر الإمام ابن سيده أن اشتقاقه من العلامة، فقال: سمي العلم علما؛لأنه من العلامة، وهي الدلالة والأمارة" [2]وذلك يدل على أن أصله الظهور.

ولم أقف في كتب اللغة على تعريف دقيق للعلم، بل اختلفت عبارات العلماء وتباينت حول تعريفه، فمنهم من عرفه بالنقيض وهو الجهل، يقول الإمام الخليل:" عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض: جَهِلَ" [3]، ومنهم من عرفه باللفظ المقارب، ولم تتفق عبارتهم في اللفظ المقارب أيضا، فعرفه بعضهم بالخشية مستشهدا بقول ابن مسعود، يقول الإمام الأزهري:" وَرُوِيَ عَن ابْن مَسْعُود أَنه قَالَ: لَيْسَ الْعلم بِكَثْرَة الحَدِيث وَلَكِن العِلم الخَشْية. قلت: ويؤيّد مَا قَالَه قولُ الله جلّ وَعز:﴿أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فَاطِر: ٢٨)" [4]وضمنوا العلم تارة معني اليقين وأخرى معنى المعرفة، يقول الإمام الفيومي في المصباح:" الْعِلْمُ الْيَقِينُ يُقَالُ عَلِمَ يَعْلَمُ إذَا تَيَقَّنَ وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١١٠) مادة (ع ل م).

(٢) المخصص لابن سيده (١١/ ٢٥٨) مادة (ع ل م).

(٣) العين للخليل (٢/ ١٥٢) مادة (ع ل م).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢٥٢) مادة (ع ل م).

حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ" [١]، والعلم: الفقه ، جاء في لسان العرب:" العلم: الفقه"، وقد يضمن العلم معنى الشعور فتدخل عليه الباء، يقول الإمام الخليل: " ما علمت بخبرك: ماشعرت به "[٢] ، ويضمن العلم معنى التمييز إذا تعدى بـ (من) يقول الإمام الكفوي:" والعلم يتعدى بنفسه وبالباء... ولا يتعدى بمن إلا إذا أريد به معنى التمييز قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾(البقرة: ٢٢٠) " [٣]، ونص على بعض استعمالات العلم داخل السياق، فذكر أنه يستعمل بمعنى اليقين، وبمعنى الظن، وبمعنى المعلوم، وبمعنى العمل، وبمعنى الجزاء، فقال:" ويستعمل العلم ويراد به العلم القطعي، فلا يجوز وقوع (أنْ) الناصبة بعده، ويستعمل ويراد به النص القوي، فيجوز أن يعمل في (أنْ) ، يقال: (ما علمت إلا أن يقوم زيد)، واستعمال العلم بمعنى المعلوم شائع... وقد يكنى بالعلم عن العمل؛ لأن العمل إذا كان نافعا قلما يتخلف عن علم، وقد يراد به الجزاء، يقول:" أنا أعلم بمن قال كذا وكذا " [٤] ثم ذكر أن هذه الاستعمالات ليست على سبيل الحقيقة، بل هي من التوسع في الاستعمال في معنى اللفظ على اعتبار أن يكون حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجازًا مشهورا؛ وذلك لأن المعنى الحقيقي للعلم هو: الادراك، يقول الكفوي:" والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلق وهو المعلوم، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة، فأطلق لفظ العلم على كل منهما إما حقيقة عرفية، أواصطلاحية، أو مجازًا مشهورا"[٥] .

---

(١) المصباح المنير للفيومي (٢/ ٤٢٧) مادة (ع ل م)..

(٢) العين(٢/ ١٥٢) مادة (ع ل م).

(٣) الكليات للكفوي(١/ ٦١٠) مادة (ع ل م).

(٤) السابق (١/ ٦١١) مادة (ع ل م).

(٥) السابق نفسه .

من خلال أقوال علماء اللغة يتضح أن العلم أوسع من أن يحوي معناه لفظا واحدا ؛ لذا وجدناهم تاره عرفوه بنقيضه وهو الجهل، وتارة بالمقارب وهو الشعور والتمييز واليقين والظن والمعرفة إلى غير ذلك، وكل هذه التعريفات والمعاني تشير إلى استعمالات العلم داخل السياق، وكل هذا في وصف البشر، أما العلم في حق الله تعالى فلا يتضمن إلا معنى واحدا وهو الإحاطة، فهو علم أزلي قديم من الأبد إلى الأمد، فهو (العَالِم والعَلِيم والعَلّام)، جاء في لسان العرب:" من صفات الله- عز وجل -العَلِيم والعَالِم والعَلاّم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يس: ٨١) ، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾(الأنعام: ٧٣)، وقال تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١٠٩) ، فهو العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعدُ قبل أن يكون، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون ، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء -سبحانه وتعالى - أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان"[1].

(١) اللسان (١٢/ ٤١٦) مادة (ع ل م).

ثانيـــا: **تعريـــف العلـــم في الاصـــطلاح**: فقد تـوارد علـى تعريـف العلـم اصطلاحات كثيرة وكلها جميعا وثيقة الصله بالمعنى اللغوي، فعلى سبيل المثال، عرفه الإمام الكفوي بأنه:"معرفة الشيء على ما هو به" [١] .

وعرفــه الإمــام الجرجــاني بأنــه: " الاعتقــاد الجــازم المطــابق للواقــع "، وقيل : "هو معرفة المعلوم على ما هو به "[٢] .

وقـام بعـض المحققـين بانتقـاد التعريفـات وتفنيـدها، فـاعترض علـى الأول بالدور؛ لأنه عرف العلم بالمعلوم (الشيء)، واعترض على الثاني بأن العلم قد يكون تصورا ، وقد يكون تصديقا، والتصور لا يتطرق إليـه الجزم ولا التردد، ولا القـوة ولا الضـعف، فـإذا كـان كـذلك كانـت العلـوم التصـورية خارجـة عـن هـذا التعريف، وانتقد الثالث: بأن هذا التعريف يخرج علم الله –تعالى–لأن علمـه ليس معرفة بل هو صفة ذاتية به، كما أن التعريف يدخل التسلسل والدوران؛ حيث إن المعلوم مشتق من العلم، فلا يعرف إلا بعد معرفته"[٣] .

وقد ذكر ابن حجر عن ابن العربي إنكاره لمن تصدى لتعريف العلم، فذكر أنـه أبـين مـن أن يبـين، قـال الإمـام ابـن حجـر:" وقد أنكر ابـن العربـي فـي شـرح الترمذي على من تصدى لتعريف العلم، وقال: هو أبين من أن يبين"[٤] .

وذكـر الإمـام الغزالـي أنـه يعسـر تحديـد العلـم علـى الوجـه الحقيقـي بعبـارة جامعـة، فقـال: وربمـا يعسـر تحديـده (أي العلـم) علـى الوجـه الحقيقـي بعبـارة جامعة للجنس والفصل الذاتي، فإنا بينا أن ذلك عسير في أكثر الأشياء بل في

---

(١) الكليات (١/ ٦١٠)

(٢) المغني للنيسابوي صـ ٢.

(٣) المواقف للإيجي (١/ ٥٣).

(٤) فتح الباري (١/ ١٤١).

أكثر المدركات الحسية... وإذ عجزنا عن حد المدركات فنحن عن تحديد الإدراكات أعجز ..." [1] .

من خلال ما ذكره علماء اللغة وعلماء الاصطلاح يتضح صحة ما ذكره الإمام الغزالي من أنه يصعب تحديده، حيث إن علماء اللغة وعلماء الاصطلاح لم تتفق كلمتهم على تعريف جامع مانع له، فعرفه علماء اللغة تارة بالنقيض وأخرى بالمقارب، والتعريف بالنقيض تعريف بالمبهم، والتعريف بالمقارب يقتضى التسلسل والدوران أيضا، وهو حد لفظي، وهو أضعف أنواع الحدود، فهو لا يدل على التطابق في المعنى بل الترادف غير التام، فالمعرفة غير اليقين غير الظن إلى غير ذلك، بل يدل على أن العلم هو الظن وهو المعرفة وهو اليقين وهكذا ولا يوجد لفظ واحد يضمن كل هذه المعاني ، وكذا التعريفات في الاصطلاح لم تشمل كل هذه المرادفات؛ لصعوبة الجمع بينها في تعريف واحد، حيث إن بينها فروقًا فردية تمنع من اجتماعها.

وبعد فكل هذه التعريفات مجتمعة تؤدي معنى العلم، وهذا يدل على اتساع معنى العلم في الإسلام فهو أكبر من أن يحمل معناه لفظ أو يحصيه تعريف واحد، ولذا لا يستطيع إنسان ما أن يحيط به، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٨٥) ،ولذا أمر -سبحانه وتعالى- حبيبه (صلى الله عليه واسلم) بالاستزاده منه، فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ (طه: ١١٤).

(١) المستصفي للغزالي صـ ٢١.

ثالثا: أقسام العلم :

ذهب الإمام الجرجاني إلى أن العلم ينقسم إلى قسمين:

الأول: العلم القديم، وهو القائم بذاته سبحانه، ولا يشبه بالعلوم المحدثة للعباد.

الثاني: العلم المحدث، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي، وضروي، واستدلالي.

فالبديهي: ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة كالعلم بوجود نفسه، والضروري على العكس ، والاستدلالي: هو الذي لا يحصل للعبد بدون نظر وفكر(١) .

والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي، فالنظري: ما إذا علم فقد كمل، نحو العلم بموجودات العالم، والعملي: ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات(٢)كما يسمى النظري بالاكتسابي، وهو نوعان: عقلي وسمعي:

فالعقلي: ما يحصل بالتأمل والنظر بمجرد العقل، كالعلم بحدوث العالم، وثبوت الصانع، وبوحدانيته وقِدَمِه.

والسمعي: ما لا يحصل بمجرد العقل؛ بل بواسطة، كالعلم بالحلال والحرام، وسائر ما شرع من الأحكام. (٣) .

---

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني صـ ١٥٥.

(٢) ينظر: المفردات صـ ٥٨٠.

(٣) ينظر: الكليات (١/ ٦١٦).

رابعا: طرق العلم ودرجاته:

نص الإمام الفيروزآبادي في البصائر على درجات العلم، وذكر أنها ثلاثة فقال:" واعلم أن العلم ثلاث درجات : أحدها: ما وقع من عيان وهو البصر، والثاني: ما استند إلى السمع وهو الاستفاضة، والثالث: ما استند إلى العلم وهو علم التجربة "[1] ، ثم نص بعد ذلك على أن طرق العلم لا تنحصر فيما ذكر فقط، فقال:" على أن طرق العلم لا تنحصر فيما ذكرناه، فإن سائر الحواس توجب العلم، وكذا ما يدرك بالباطن، وهي الوجدانيات، وكذا ما يدرك بالخبر الصادق، وإن كان واحدا، وكذا ما يحصل بالفكر والاستنباط " [2] .

ويتضح من قول صاحب البصائر، أن طرق العلم الإنساني، إما أن تكون بالحواس، أو بالوجدانيات وهي المعرفة بالإلهام ، أو المعرفة عن طريق الوحي ، أو بالملكة المسماه بالعقل الذي يقع به التمييز بالتفكر والتدبر، وقد نص القرآن الكريم على هذه الطرق، فقال –عز من قائل –في طريق الحواس ، قال تعالى: تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ٧)، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ٧٨)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

أما طريق العقل، فقال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٩٢/٤).

(٢) ينظر: السابق نفسه.

فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)، وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠).

ومما ورد من طريق الفيض أو الإلهام، فقال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾(الكهف: ٦٥)، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وجاء في طريق الوحي، قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الشورى: ٣)، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ ﴾ (الإسراء :٣٩)، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٤).

مما سبق يتضح لنا طرق المعرفة الإنسانية، وهي:

١- المعرفة الحسية ٢- المعرفة العقلية ٣ – المعرفة اللدنية (الإلهام) ٤-المعرفة عن طريق الوحي.

المبحث الأول

السياق الصوتي وأثره في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم

أشار العلماء قديمًا إلى قيمة الصوت باعتباره وحدة صوتية مؤثرة في معنى الكلمة؛ حيث يشترك مع غيره من أصوات الكلمة في حمل التكوين المعنوي، كما يؤثر تغيره أو حذفه على تغير المعنى.

"ويعد السياق الصوتي في الآيات القرآنية مظهرًا من مظاهر السياق اللغوي، فقد اعتنى القرآن الكريم باختيار الأصوات الدقيقة المناسبة للأحوال الدلالية المختلفة؛ لأن للأصوات والحروف حرارةً وتوهّجًا يضيء المعنى المراد، فكانت كل كلمة بما تتألف به من أصوات مناسبة لصورتها الذهنية، فما كان يستلذه السمع، ويستميل النفس فحظه من الأصوات الرقة والعذوبة، وما كان يُخيفها ويُزعجها فحظه من الأصوات الشدة، وهذا التناسب الصوتي بين اللفظ والمعنى وسيلة سياقية من وسائل تنبيه مشاعر الإنسان الباطنة واستثارة المعاني النفسية المناسبة للموقف الخارجي"[1].

وقد قمت بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: الصوت الصامت وأثره في الدلالة على المعنى.

المطلب الثاني: الحركة وأثرها في الدلالة على المعنى.

المطلب الثالث: المقطع وأثره في الدلالة على المعنى.

---

(١) أثر السياق في فهم النص القرآني صـ ٨١.

المطلب الأول

الصوت الصامت أثره في الدلالة على المعنى

تتكون ماده (ع ل م) من ثلاثة أصوات صامتة، تتسم هذه الأصوات كلها بالنصاعة، والوضوح ، فهي أصوات جميعها مجهورة ومتوسطة بين الشدة والرخاوة منفتحة مستفلة، تعد من الأصوات الخفيفة على اللسان، والتي لا تكاد تخلو منها معظم الكلمات، ورغم الاختلاف في مخارجها، حيث إن العين من الحلق واللام من طرف اللسان والميم من الشفتين[١] فقد كمل لها الحسن؛ لتوزيع هذه الأصوات على جميع أعضاء النطق، وهي تتناسب مع العلم تماما، حيث إن للعلم صفة الشمول، فكما أن المادة توزعت على المخارج وشملتها من أولها إلى آخرها، فكذلك العلم يشمل كل تحصيل يحصله الإنسان، ويكتسب به معرفة ويزداد به يقينا، ويصل به إلى مبتغاه.

وأيضا لو أمعنا النظر في إيحاءات هذه المادة، لوجدنا أن حروفها تبدأ من الداخل وهي (العين) إلى الخارج وهي الميم، مما يدل على أن العلم شعور مستكن في القلب كما قال د. جبل:" هو حكم تربى في النفس"[٢] وتترجمه الجوارح، فالعين بقوتها ونصاعتها تدل على أن العلم يحتاج إلى جهد وعزيمة وقوة في تحصيله وصبر ومثابرة فتضاهي بداية الحدث كما قال ابن جني[٣]، واللام بارتفاعها تدل على علو المنزلة، والميم بجهرها وغنتها تدل على قوة الحجة وثباتها ورسوخها لدي حامليه.

---

(١) ينظر:علم الأصوات د/ كمال بشر صـ ٢٤٧ ، الصوتيات اللغوية د/ عبد الغفارهلال صـ١٦٦، علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز علام صـ٥٠، مقدمة في أصوات اللغة العربية د/ البركاوي صـ ٩٢

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل صـ ١٥١٣.

(٣)ينظر: الخصائص (٢/ ١٦٤).

المطلب الثاني

الحركة وأثرها في الدلالة على المعنى

كان للحركات أثر كبير في تنوع دلالات العلم في القرآن الكريم، وذلك من خلال تشكيلها الصيغ المشتقة في إطار مادة (ع ل م) ، فقد كان لها دور رئيس في تحديد المعنى من خلال التفريق بين الصيغ الصرفية مثل تفريقها بين الفعل (عَلِمَ) والمصدر (عَلْم)، وكذا كان لها دور كبير في التفريق بين المعاني النحوية عن طريق الصائت القصير وهو (الضمة) كتفريقها بين الفعل المبني للمعلوم (عَلّم)، والمبني للمجهول (عُلّم) فقد قامت بوظائف صوتية صرفية ونحوية، وتلك هي الوظيفة الأساسية لها كما قرره بعض العلماء[1] .

*** أولا: اختلاف المعنى الدلالي للعلم في القرآن الكريم تبعا لاختلاف الوظيفة الصرفية، وقد اتضح ذلك بجلاء بين المصدر والفعل في:**

(عِلْم - وعَلِم)

أولاً : دلالة المصدر (عِلْم)، وما ورد منه، ما يلي:

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾(آل عمران: ٦٥ – ٦٦)

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى في اختصامهم في

(١) ينظر: العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان صـ٢٣١، دلالة السياق د/ البركاوي صـ١٣٦.

إبراهيم – عليه السلام– وادعاء كل فريق منهم أنه كان منهم ، فأبطل الله عليهم ذلك بأن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده، فكيف يكون يهوديا أو نصرانيا؟[١].

((**الشاهد**)) : ﴿ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾أي: حاججتم في أمر دينكم الذي جاءكم به موسى وعيسى، وهو نبوة سيدنا محمد (ﷺ)؛ لأنهم كانوا يعلمون نعته من جهة كتبهم فجادلوا بالباطل، فلم تحاجون فيما لم يأتكم به علم في كتبكم ولا أتتكم به أنبياؤكم، ولا شاهدتموه فتعلموه؟!

فالعلم هنا جاء على صيغة المصدر؛ وهو مناسب لسياق الآية؛إذ المقصود به مصدر التشريع لهم ومصدر المعرفة لهم التوراة والإنجيل، فناسب المصدر التعبير بالمصدر، وعليه فالعلم المثبت معناه فيما جاءكم به دليل من عند الله سواء كان دليلا سمعيًّا أو نظريًّا، يقول الإمام أبو حيان:" الذي لهم به علم هو دينهم الذي وجدوه في كتبهم وثبت صحته عندهم، والذي ليس لهم به علم هو أمر إبراهيم ودينه، ليس موجودا في كتبهم، ولا أتتهم به أنبياؤهم ولا شاهدوه فيعلموه"[٢].

لذا عبر عن العلم هنا بالمصدر؛ لأن معرفتهم كانت بطريق الوحي، وإن لم يعملوا بما علموا، وعدم معرفتهم؛ لأنهم لم يأتهم وحي به من عند الله.

مما سبق يتضح أن العلم هنا المقصود به الدليل السمعي، وطريقُه الوحي الإلهي للرسل ، والعلم المنفي المقصود به الجهل.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/ ٤٩٢)، تفسير السمعاني (١/ ٣٢٩)، مفاتيح الغيب للرازي (٨/_٢٥٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان(٣/ ١٩٨).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٩) .

سبب النزول:

نزلت هذه الآية في المشركين وفي استحلالهم أكل الميتة، حيث كانوا يقولون للمسلمين: إنكم تأكلون مما تقتلون ولا تأكلون مما يقتل الله، فنزلت هذه الآية[١].

((**الشاهد**)) :﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

ذكر الإمام الزمخشري أن المراد بالعلم هنا هو الشريعة الإلهية ، يقول: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، أي: يضلون فيحللون ويحرمون بأهوائهم من غير تعلق بشريعة"[٢]، أي: من غير علم علموه من قبل الله- سبحانه وتعالى[٣]، وهو ما عبر عنه الإمام ابن عاشور بقوله:" والمراد بالعلم هنا: هو الجزم المطابق للواقع عن دليل، وهذا كقوله تعالى﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (يونس: ٦٦) ، أي: من غير دليل يفيد العلم[٤]، وانتفاء الدليل دليل على انتفاء العلم، وعليه فالعلم هنا ما قابل الجهل.

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٢/ ١٣٩).
(٢) الكشاف للزمخشري (٢/ ٦١).
(٣) ينظر :زهرة التفاسيرلأبي زهرة (٥/ ٢٦٤٧)
(٤)أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٥٣٣).

قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (الحج: ٧١).

سبب النزول:

نزلت هذه الآيات في قوم من خزاعةممن كانوا متمسكين بشرع كاليهود والنصارى، حيث قالوا لأصحاب رسول الله (ﷺ): مالكم تأكلون ما تقتلون بأيديكم، ولا تأكلون مما قتله الله [١] .

المعنى: يعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما ليس لهم به سلطانا، أي دليل سمعي عن طريق الوحي، وليس لهم به علم ، أي:ليس لهم به برهان عقلي يسوغ عبادتهم، بل عن تقليد أو جهل، فوجب في كل قول هذا شأنه أن يكون باطلا [٢].

(**الشاهد**)﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ، **ذكر الإمام الرازي أن المراد بالعلم هنا هو الدليل العقلي حيث قال:" بين –سبحانه وتعالى– أن عبادتهم لغير الله –تعالى– ليست مأخوذة عن دليل سمعي وهو المراد من قوله: ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾، ولا عن دليل عقلي، وهو المراد من قوله:" ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾، وإذا لم يكن كذلك فهو عن تقليد أو جهل أو شبهه، فوجب في كل قول هذا شأنه أن يكون باطلا"[٣]، وقد سبقه الإمام السمرقندي إلى ذلك فقال:" ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ، يعني : ليس لهم بذلك حجة من المعقول"[٤]، وإذا اقترن العلم بالدليل أصبح**

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤٦٩)، الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ٣٣)، مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٤٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٦٨٣)، زهرة التفاسير (٩/ ٥٠٢٧).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٥٠).

(٤) بحر العلوم(٢/ ٤٦٩).

اعتقادًا جازمًا ويقينًا؛ لذا قال الإمام ابن عاشور في تعريف العلم في هذا السياق القرآني:" ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ أي: ليس لهم به اعتقاد جازم؛ لأن الاعتقاد الجازم لا يكون إلا عن دليل، والباطل لا يمكن حصول دليل له"(١).

ثانياً: التعبير بالفعل (عَلِم) ودلالته:

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ **(يوسف: ٥١).**

سبب النزول:

جاءت هذه الآية الكريمة على لسان عزيز مصر، وذلك أنه لما جاء الرسول إلى يوسف-عليه السلام- يسأله تفسير رؤيا الملك، وقص عليه يوسف (عليه السلام) تفسيرها، رجع الرسول إلى الملك وأخبره بتأويل يوسف (عليه السلام)، وأعجب الملك والحاضرون بحسن التعبير، فعظم أمر يوسف في نفسه، وأرسل إليه الملك مرة ثانية ليحضره عنده، ولكن يوسف-عليه السلام- أبى الخروج حتى يرجع الرسول إلى ربه ويسأله عن شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وشأن المرأة التي حُبس بشأنها؛ وقدم يوسف (عليه السلام) سؤال النسوة، حتى تتبين براءته وتتحقق منزلته من العفة والخير؛ لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره، وحط منزلته(٢).

((**الشاهد**)) : ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ ﴾ **وذلك أن الملك عندما جمعهن وسألهن في**

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ٥٣٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٦/ ١٣٣)، الكشاف (٢/ ٤٧٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٢٥٢).

شأن يوسف، وأراد بهذه المقالة امرأة العزيز خاصة، فنزهة النسوة يوسف عن كل سوء، حيث قالوا ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾، فالعلم المنفي هنا مسند إلى النسوه ، وفسره الإمام السمرقندي بالرؤية، فقال:" ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ ، أي : ما رأينا منه شيئا من الفاحشة، ولم يكن له ذنب"(١) .

فالسياق القرآني عبر عن الرؤية بالعلم، والرؤية من أفعال الحواس، وليست من أفعال القلوب؛ وذلك لأن السياق المقامي في هذه الآية يسأل عن شأن يوسف فيما اتهم به من مراودة امرأة العزيز، وهذه المراودة لا تعرف بالقلب بل تعرف بالمشاهدة والمعاينة؛لذا عبر عن الرؤية بالعلم باعتبارها طريقًا من طرق العلم، وهو العلم بالحواس؛ وأيضا لأن السوء منه ما يكون خفيًا ومنه ما يكون ظاهرًا، وسياق الآية يسأل في شأن ما هو لا يقع إلا بالرؤيا وهو المراودة؛ لذا عبر عن الرؤيا بالعلم ونظيره قوله تعالى:﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ (يوسف: ٨١)، أي: رأينا(٢).

وعبر عن تبرئته مما اتهم به بصيغة الماضي؛ لثبوت الحق في أنه بريء، يقول الإمام أبو السعود :" والتعبير بالماضي ﴿ عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ مع أنه لم يثبت إلا من إقرارها الذي لم يسبق؛ لأنه قريب الوقوع، فهو لتقريب زمن الحال من المضي، ويجوز أن يكون المراد ثبوت الحق بقول النسوة ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ ، فيكون الماضي على حقيقته"(٣).

مما سبق يتضح أن السياق القرآني كان له دور في تحديد دلالة العلم من خلال النظر في السياق المقامي، حيث أراد بالعلم الرؤية باعتبارها طريقًا من

---

(١) بحر العلوم (٢/ ١٩٧).

(٢) ينظر: السابق (٢/ ٢٠٦)، تفسير السمعاني (٣/ ٥٦).

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٩١).

طرق العلم، وأن العلم لا يقع إلا بها في مثل هذا، وهي طريق حسي.

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(القصص: ٧٥).

يخبرنا الله –سبحانه وتعالى– في هذه الآية بحال المشركين به آلهة أخرى، حين يخرج الله سبحانه وتعالى من كل أمة رسولها شاهدا عليهم بالرسالة والبلاغ، ويقول –سبحانه –للمشركين به حينئذ ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾أي: دليلكم وحجتكم بأن مع الله آلهة أخرى، فلم يكن لهم حجة ولا دليل آنذاك ، فحينئذ يعلمون صدق ما جاءت به الأنبياء، وأن الحق لله سبحانه وتعالى(١).

الشاهد:﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾المقصود من العلم في هذا السياق القرآني، هو اليقين القلبي، وهو تيقنهم بأن الله حق، مما يؤدي إلى تيقنهم مما أنذرهم به –سبحانه وتعالى– من العذاب الدائم؛ لإشراكهم به آلهة أخري، يقول الإمام الطبري: ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾، أي: فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، والصدق خبره، فأيقنوا بعذاب دائم"(٢)، وهذا اليقين يأتي لهم يوم البعث، ولم يأت لهم في الدنيا؛ لأن في الآخرة يخلق الله –سبحانه وتعالى– فيهم إدراك الحقائق، فيتيقنون من صدق ما جاءت به رسلهم إليهم حينها.

((**لطيفة**)): جاء الإخبار عن علمهم في هذا السياق القرآني بصيغة الزمن الماضي دون زمن الاستقبال، مع أن هذه الأحداث من الإخبار بالمستقبل؛ وذلك للدلالة على تحقق العلم وتيقنه كما في قوله تعالى ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(النحل: ١) .

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٩/ ٦١٥)، بحر العلوم (٢/ ٦١٧).

(٢) جامع البيان (١٩/ ٦١٥).

((**تعقيب**))

مما سبق يتضح أثر الحركة في الدلالة على المعنى؛ حيث إنها جاءت في المصدر للدلالة على الحدث كاملا وهو مصدر العلم، وهذا المصدر رباني وهو من عند الله –سبحانه وتعالى– وطريقه الوحي المرسل إلى الأنبياء(ويكون بالدليل السمعي والعقلي والنظري) وهي أقسام العلم كما مر.

أما الفعل (عَلِم) فهو يدل على حدث مقترن بزمن، والزمن هنا زمن الانقطاع، وهذا الزمن له دلالة أخرى في السياق كتحقق العلم وتيقنه كما سبق، ففي التعبير بالماضي يبين السياق القرآني درجة من درجات العلم وهي اليقين، واليقين اعتقاد، والاعتقاد يأتي بدليل وهذا الدليل تقدمه وسائل العلم وطرقه،كالرؤيا والمعاينة، أما في المصدر فيدل على مصدر العلم ومصدر التشريع سواء كان بالدليل العقلي أم النظري.

ثانيا: وظيفة الحركات في التفريق بين المعاني النحوية مثل: المبني للمعلوم والمبني للمجهول بين كل من (علَّم)، (عُلِّم):

أولا: المبني للمعلوم: الغالب في صيغ (عَلّم) في القرآن الكريم هو البناء للمعلوم، وهذا البناء للمعلوم له دلالته، ومما ورد من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يوسف: ٢١)

الشاهد: ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ ﴾ من(علّم) المتعدي إلى اثنين، وبني الفعل في هذه الآية للمعلوم؛ لأن المقام مقام نبوة؛ لذا جاء الضمير العائد على الله-سبحانه وتعالى-معلوما؛ كي يتحقق جانب النبوة في يوسف (عليه السلام) بأنه نبي مرسل من عند الله، يقول الإمام الرازي:" وقال -سبحانه وتعالى- ها هنا ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾، والمراد منه إرساله إلى الخلق بتبليغ التكاليف ودعوة الخلق إلى دين الله سبحانه وتعالى"[1]، وبما أن المقام مقام نبوة فالتعليم هنا عن طريق الوحي الإلهي، يقول الإمام القرطبي:" والمعنى: مكناه لنوحي إليه بكلام منا، ونعلمه تأويله وتفسيره وتأويل الرؤيا"[2].

وعبر الإمام السمرقندي عن التعليم هنا بالإلهام، فقال:" وكذلك مكنا ليوسف في الأرض... كي نلهمه تعبير الرؤيا وغير ذلك من العلوم"[3]، فجاء السياق القرآني بفعل (علّم) مبنيا للمعلوم تقريرًا لنبوة يوسف عليه السلام؛ لما استعبره

---

(١) مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٣٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٦٠).

(٣) بحر العلوم (٢/ ١٨٦).

الفتيان ، في قوله تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ (يوسف: ٣٦) ووصفاه بالإحسان، وصف يوسف نفسه بما هو فوق ذلك، فقال:﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ (يوسف: :٣٧) وإنما جعل ذلك تخلصا إلى أن يعرض عليهم التوحيد، ويدعوهم إلى عبادة الله – سبحانه وتعالى– وأن ذلك التعبير والتأويل من عند الله الواحد الأحد لا عن تكهن أو تنجيم[١]، يقول الإمام ابن عاشور:" أراد بهذا الجواب أن يفترض إقبالهما عليه، وملازمة الحديث معه؛ إذ هما يترقبان تعبير الرؤيا فيدمج في ذلك دعوتهما إلى الإيمان"[٢]

فهذا التمكين والتأويل تقرير لنبوته –عليه السلام – وإظهار بأن ذلك العلم ليس من قبيل التكهن أو التنجيم، بل حصل ذلك العلم بوحي من عند الله، وعلم حصل له بتعليم الله؛ لذا بني الفعل للمعلوم، وعليه فالتعليم هنا بمعنى الوحي أو الإلهام؛ لأنه من لدن حكيم عليم.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾(يس: ٦٩) .

سبب النزول

نزلت في كفار مكة، حيث قالوا عن القرآن: إنه شعر، وإن محمدًا شاعر، فرد عليهم –سبحانه وتعالى– نافيا عنه (ﷺ) ما اتهموه به وقال: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾أي: لم نرسل إليه شعرا وإنما هو قرآن، ولم يكن محمد (ﷺ) أهلا للشعر[٣].

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ٤٥٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٧٠).

(٣) ينظر: بحر العلوم (٣/ ١٣٠)، زاد المسير لابن الجوزي(٣/ ٥٣٠).

الشاهد : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ استخدم السياق القرآني البناء للمعلوم لفعل التعليم (علّم)، إظهارا للفاعل وهو الله- سبحانه وتعالى- وتأكيدا لكون سيدنا محمد (ﷺ) نبيًّا مرسلا من عند الله، فقد حكى -سبحانه- عنهم قولهم:﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٤)، وتقريرا لكونه مُعَلمًا من عند الله وليس من عند بشر ، كما قالوا:﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ (النحل:١٠٣)، يقول الإمام ابن عاشور:" وضمير ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾ عاد إلى معلوم، وبنى الرد عليهم على طريق الكناية بنفي تعليم النبي (ﷺ)الشعر؛ لما في ذلك من إفادة أن القرآن مُعلّم للنبي (ﷺ)من قبل الله -تعالى- وأنه ليس بشعر، وأن النبي ليس بشاعر"[١].

وخص الشعر بنفي التعليم مع أنهم رموه (ﷺ) بالسحر والكهانة؛ وذلك لأنه (ﷺ) ما كان يتحدى إلا بالقرآن[٢]، والتعليم في هذه الآية معناه الوحي، وهو طريق من طرق العلم، يقول الإمام ابن عاشور:" والتعليم هنا بمعنى الوحي،أي: وما أوحينا إليه الشعر، فقد أطلق التعليم على الوحي"[٣] .

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٥٦).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٠٤).
(٣) التحرير والتنوير (٢٣/ ٥٧).

ثانيا: المبني للمجهول في (عُلّم) :

جاء الفعل – (عُلّم) مبنيًا للمجهول في مواضع اقتضاها السياق منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ (الكهف:٦٦).

سبب النزول

نزلت هذه الآية في سياق قصة نبي الله موسى (عليه السلام) مع الخضر، ومفاد هذه القصة أنه لما نزل موسى (عليه السلام) وقومه مصر، خطب في قومه وذكرهم بنعم الله عليهم إذ أنجاهم من عدوهم ، وكلم نبيهم وألقى محبته عليه إلى غير ذلك من الخيرات والنعم، فقال له رجل من بني إسرائيل: فهل يوجد على وجه الأرض من هو أعلم منك؟ فأجاب موسى –عليه السلام– وقال: (لا) فعاتبه ربه –عز وجل– بذلك؛ لأنه لم يرد العلم إليه سبحانه فأراد – سبحانه وتعالى– أن يعلمه بالتجربة العملية أن في الأرض من هو أعلم منه ، فقال –عز من قائل –:(يا موسى وما يدريك أين أضع علمي؟ بل إن لي عبدا بمجمع البحر أعلم منك،) فسأله موسى أن يريه إياه، فنزلت هذه القصة[1]وفي سياق هذه الآية يطلب نبي الله موسي (عليه وعلى نبينا الصلاة السلام) من العبد الصالح (الخضر) أن يتبعه كي يتعلم من العلم الذي علمه الله إياه.

الشاهد :﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾جاء العلم في هذه الآية مبنيًا للمعلوم في الموضع الأول، ومبنيًا للمفعول في الموضع الثاني؛ وذلك لاختلاف العلمين، فهناك فرق بين تعليم الله للخضر، وتعليم الخضر لموسي؛ واتضح ذلك من خلال

(١) ينظر: الكشف والبيان (٦/ ١٨٠).

السياق القرآني، فبني الأول للمعلوم، والثاني للمجهول؛ وذلك لأن علم الخضر علم ببواطن الأمور وغيبيها، فهو من لدن لطيف خبير، أما علم موسى فعلم بظواهرها، ولذا قال له الخضر ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الكهف: ٦٧ – ٦٨)، يقول الشيخ أبو زهرة:" والعلم الذي من لدن الله –تعالى– العلم بعواقب الأمور بالإدراك الباطن، وقد وازن بعض المفسرين بين علم موسى، وعلم العبد الصالح الخضر، فقال: علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطي ظواهرها الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس"[1]؛ لذا جاء السياق القرآني مؤكدا قول الخضر لموسى (عليه السلام بـ (إنّ) الثقيلة، و (لن)النافية﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾فبني الفعل للمجهول؛ لأنه علم خفي غيبي علمه الله إياه، يقول الإمام الطبري:" قال العالم : إنك لن تطيق الصبر معي، وذلك لأني أعمل بباطن علم علمنيه الله ولا علم لك إلا بظاهر الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال، كما ذكر في الخبر عن ابن عباس قيل: إنه كان رجلاً يعمل على الغيب"[2].

وعلى ذلك فالتعليم المبني للمجهول يكون بوحي أو إلهام؛ لأنه علم خفي من عند الله تعالى، والتعليم المبني للمعلوم المسند لنبي الله موسي (عليه السلام)، يكون بمعنى التفهيم الناتج عن المتابعة، و(على) للاستعلاء المجازي، يقول الإمام ابن عاشور:" والاتباع مجاز في المصاحبة، و(على) مستعملة في معنى الاشتراط؛ لأنه استعلاء مجازي، جعل الاتباع كأنه مستعمل فوق التعليم لشدة المقاربة بينهما"[3] .

---

(١) زهرة التفاسير (٩/ ٤٥٥٩).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٧١).

(٣) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩).

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النمل: ١٦) .

يقول الله جل ثناؤه: ورث سليمان أباه داود العلم الذي آتاه الله في حياته، وهذا الإرث هو الملك والنبوة والعلم، يقول الإمام السمعاني " المراد من الإرث ها هنا هو قيامه مقام داود في الملك والنبوة والعلم"(١)، ثم قال ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ أي: أن الله تفضل علينا على ما ورثناه من داود بأن فهمنا وألهمنا أصوات الطير، أي: المعاني التي في نفوسها(٢)وكان ذلك معجزة له، أظهرها لقومه؛ ليعلموا بها صدق إخباره عن نبوته(٣).

((**الشاهد**)) :﴿ عُلِّمْنَا ﴾حيث جاء السياق القرآني بها على صيغة المبني للمجهول لعظم العلم؛ حيث إنه علم خفي غيبي منّ الله به –سبحانه وتعالى– على نبيه سليمان ولم يعطه لأحد من قبله، فهو معجزة إلهية أيده به ربه ، استجابة لدعائه حين قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ص: ٣٥)، فأطلعه الله بوحي على مختلف التقاطيع الصوتية وما تحويها من دلالات خفية، ولا يستطيع أحد غيره إدراكها، يقول الإمام ابن عاشور:" وعلم منطق الطير أوتيه سليمان عن طريق الوحي بأن أطلعه على ما في تقاطيع وتخاليف صفير الطيور ونعيقها من دلالة على ما في إدراكها وإرادتها"(٤)؛ لذا عبر عن أصوات الطير بـ ﴿ مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾؛ لأنه ذو دلالة عنده مثل منطق الإنسان، يقول الإمام السمعاني: " ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ سمي صوته

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٨٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٢).

(٣) لطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٢٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٦).

منطقا؛ لحصول الفهم بمعناه، كما يفهم معنى كلام الناس إلا من صوت الطير على صيغة واحدة، وأصوات الناس على صيغ مختلفة"[1]، فاستخدام السياق القرآني لصيغة المبني للمجهول له دلالته من حيث إنه علم غيبي مستور عن فهم الناس.

والمقصود بالتعليم هنا الإفهام عن طريق الإلهام، يقول الإمام السمرقندي:" وقال سليمان لبني إسرائيل ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ يعني: أفهمنا وألهمنا منطق الطير"[2]، وعبر عن الوحي بالإلهام من باب التوسيع في معنى العبارة لا الاختلاف فيها.

ثالثًا: المقطع وأثره في الدلالة على المعنى:

تنوعت المقاطع الدالة على العلم في القرآن الكريم، وهذه المقاطع لها دلالات تتسق ومقصود المعاني الواردة في كل مشتق من مشتقات العلم، وتتناغم في نظم بديع يحدث في النفس إيقاعا رنّانًا يرسم لوحة فنية تجسد معنى الكلمات وما تومئ إليه من دلالات ترتسم خلف الأصوات، تتسق والسياق المقامي للآيات، مما يثير في النفس انفعالا داخليًا بهذه المعاني والاستجابة الفعلية لما تهدف إليه من مقاصد شريفة، وأهداف سامية.

وقد جاء النسيج المقطعي في غالب مشتقات العلم في القرآن على النحو التالي

عِلْمَ =(عِلْ / مَ) (ص ح ص / ص ح)

عِلْمًا= (عِلْ / مَنْ) (ص ح ص/ ص ح ص)

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٨٣).

(٢) بحر العلوم (٢/ ٥٧٥).

مِنَ الْعِلْمِ=(مِ / نَلْ / عِلْ / مِ) (ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح).

عِلْمِهِ= (عِلْ / مِ / هِ)(ص ح ص / ص ح / ص ح).

عِلْمُهَا= (عِلْ / مُ / هَا)(ص ح ص / ص ح / ص ح ح).

عِلْمُهُمْ =(عِلْ / مُ / هُمْ) (ص ح ص / ص ح / ص ح ص)

عِلْمِي= (عِلْ / مِي) (ص ح ص / ص ح ح).

عَلِمَ= (عَ / لِ / مَ) (ص ح / ص ح/ ص ح ح).

عَلِمْتَ=(عَ / لِمْ / تَ) (ص ح / ص ح ص / ص ح).

عَلِمَتِ الْجَنَّةُ =(عَ / لِ / مَ / تِلْ) (ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ص)

عَلِمْتُمُ= (عَ / لِمْ / تُ / مُ) (ص ح/ ص ح ص / ص ح / ص ح)

عَلِمْتُمُوهُنَّ=(عَ/ لِمْ/تُ/مُو/هُنْ/ نَ) (ص ح/ص ح ص/تُ/ ص ح ح/ ص ح ص / ص ح).

عَلِمْتَهُ=(عَ / لِمْ / تَ / هُ) (ص ح / ص ح ص/ ص ح / ص ح).

عَلِمْنَا=(عَ / لِمْ / نَا) (ص ح / ص ح ص / ص ح ح).

لَعَلِمَهُ= (لَ / عَ / لِ / مَ / هُ) (ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح).

عَلِمُوا =(عَ / لِ / مُو) (ص ح / ص ح / ص ح ح)

أَعْلَمُ= (أَعْ / لَ / مُ) (ص ح ص / ص ح / ص ح).

تَعْلَمْ= (تَعْ / لَمْ) (ص ح ص / ص ح ص).

وَلَتَعْلَمُنَّ =(وَ / لَ / تَعْ / لَ / مُنْ / نَ) (ص ح / ص ح/ ص ح ص/ ص

ح / ص ح ص/ ص ح).

تَعْلَمُهَا= (تَعْ / لَ / مُ / هَا) (ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ح).

تَعْلَمُهُمْ= (تَعْ / لَ / مُ / هُمْ) (ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص).

تَعْلَمُونَ =(تَعْ / لَ / مُو / نَ) (ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح).

تَعْلَمُوا= (تَعْ / لَ / مُو) (ص ح ص / ص ح/ ص ح ح).

فَسَتَعْلَمُونَ=(فَ/سَ/تَعْ/لَ/مُو/نَ) (ص ح/ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح).

تَعْلَمُونَهُمْ= (تَعْ/لَ/مُو/نَ/هُ/مْ) (ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح / ص ح).

تَعْلَمُوهُمْ=(تَعْ / لَ / مُو / هُمْ) (ص ح ص/ ص ح / ص ح ح / ص ح ص).

نَعْلَمُ= (نَعْ / لَ / مُ) (ص ح ص / ص ح / ص ح)

نَعْلَمُهُمْ= (نَعْ / لَ / مُ / هُمْ) (ص ح ص/ ص ح / ص ح/ ص ح ص).

يَعْلَمُ= (يَعْ / لَ / مُ) (ص ح ص / ص ح / ص ح).

وَسَيَعْلَمُ= (وَ / سَ / يَعْ / لَ / مُ) (ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح).

وَلَيَعْلَمَنَّ= (وَ / يَعْ/ لَ/ مَنْ / نَ) (ص ح/ ص ح ص/ص ح/ ص ح ص/ ص ح).

يَعْلَمْهُ = (يَعْ / لَمْ /هُ) (ص ح ص / ص ح ص / ص ح)

يَعْلَمُهَا= (يَعْ / لَ / مُ / هَا) (ص ح ص / ص ح/ ص ح / ص ح ح).

يعلمهم =(يَعْ / لَ / مُ / هُم)(ص ح ص / ص ح /ص ح / ص ح ح).

يَعْلَمُونَ =(يَعْ / لَ / مُو / نَ)(ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح).

سَيَعْلَمُونَ= (سَ/ يَعْ / لَ / مُو / نَ) (ص ح / ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح / ص ح).

عَالِمِينَ= (عَا / لِ/ مِي/ نَ) (ص ح ح / ص ح/ ص ح ح / ص ح).

عُلَمَاءُ =(عُ/ لَ / مَا / ءُ) (ص ح / ص ح / ص ح ح /ص ح).

عَلِيمٌ = (عَ /لِي / مُنْ) (ص ح / ص ح ح / ص ح ص).

بالتأمل في التحليل الصوتي المقطعي لغالبية مشتقات العلم في القرآن الكريم، نرى أن المقاطع (ص ح/ ص ح ص / ص ح ح)كانت هي المقاطع الغالبة في مشتقات العلم، وهذه المقاطع برشاقتها وخفتها وتتابعها، تدل على أن العلم يحتاج إلى تلطف وتتابع وحركة واستمرارية في طلبه.

وأكثر هذه المقاطع وقوعا هو المقطع القصير (ص ح)، فقد تكرر هذا المقطع في المشتقات بنسب متفاوتة وصلت إلى أربعة مقاطع في المشتق الواحد مثل (فَسَتَعْلَمُونَ)، (فَلَيَعْلَمَنَّ)، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التراكم المعرفي في العلم وتتابعه واستمراره.

أما المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، فلو نظرنا إلى كل المشتقات لوجدناها تحتوي على هذا النوع من المقاطع الصوتية، وهذا يدل على أن العلم موطنه الصدر، فشبه به، لانغلاق الصدر عليه، وسكونه فيه وثباته.

أما المقطع (ص ح ح) فوُجد بنسبة تقل عن سابقيه، وهذا المقطع بانفتاحه، يدل على أن العلم علامة على علو مكانة صاحبه وارتقائه، فهو يرشده ويهديه إلى ضروب الضياء والنور، ويبعده عن الضلال والجهالة، فهو كعلم

الطريق يهدي الضال إلى الطريق الصحيح، كما أنه مستطيل يفتح الله به على من يشاء من عباده، ويدل على أنه يحتاج إلى طول نَفَس وهمة سامية وعزيمة قوية.

***وفيما يلي بيان لأثر هذه المقاطع الصوتية في الدلالة على المعنى السياقي.**

أولا: المقطع (ص ح) وأثره في الدلالة على المعنى:

احتل هذا المقطع القصير المفتوح النصيب الأوفي من جملة المقاطع التى اشتملت عليها جميع المشتقات، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التتابع والتركم المعرفي الواجب توافره في جميع مشتقات المادة، كما يهدف أيضا بخفته وسرعة إيقاعة إلى الحث على التتابع في طلب العلم والرغبة والاستمرارية في تحصيله، والاستزادة منه، كما قال تعالى لحبيبة:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤)، وعن معاوية، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [١] .

ويدل أيضا على أن المُجِد في تحصيله لا تسكن نفسه بما يحصله، بل كلما يزداد علما يزداد ظمأ في طلبه، كما قال (ﷺ): " مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُهُمَا: طَالِبُ عَلِمٍ، وَطَالِبُ الدُّنْيَا " [٢].

كما أن هذا المقطع القصير يدل على التلطف والرقة في طلب العلم، وأنَّ العلم لا يحلو إلا بصفاء النفس ولا يزداد إلا بطهارتها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ

(١) المعجم الكبير للطبرني (١٩/ ٣٩٥)٩، صحيح البخاري (١١/ ٢٤)
(٢) مسند البزار(١١/ ١٤٨)، مسند الشهاب القضاعي (١/ ٢١٢).

ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وقال تعالى:" ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨) .

** ونجد أن هذا المقطع غالبا لا يأتي إلا مقرونا بالمقطع (ص ح ص) المغلق الذي يخلق جوا من الهدوء في نفس المتعلم، وذلك بارتوائه بمعرفة ما يجهله، وتجد أنه قليلا ما يأتي مع المقطع (ص ح ح)؛ لأن هذا المقطع كالعلامة الدلالة على صاحبه وعلو منزلته وسط قومه، وهذا لا يحصل في كل المشتقات، بل يأتي في بعضها بما يحمله من المبالغة والرفعة كما في دلالة (عُلَمَاء)، والدلالة على الإحاطة في علم الله- سبحانه وتعالى- مثل وصف (عَالِم وعلّام).

❖❖**وورود** هذا المقطع في المشتقات ليس بنسبة متساوية، بل يختلف باختلاف المشتق ودلالته:

فمثلا (عَلِمَ) تحتوى على ثلاثة مقاطع من النوع القصير المفتوح (ص ح/ ص ح/ ص ح) فخلت هذه الكلمة من المقطع (ص ح ص) والمقطع (ص ح ح) ، وهذا التتابع يدل على التتابع المعرفي الموجود في العلم.

ولو نظرنا أيضا إلى الفعل (تُعَلِّمُونَهُنَّ) (ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح / ص ح ص) في قوله تعالى :﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾(المائدة: ٤).

نجد أن الكلمة قد احتوت على مجموعة من المقاطع الثلاثة(ص ح – ص ح ح – ص ح ص) وهي مقاطع متنوعة تدل على التنوع المعرفي، كما تدل الصيغة على التكثير في طلب العلم والمبالغة في طلبه.

كما أن المقطع القصير المفتوح برشاقته وسرعة حركته يدل على التلطف في التعليم والصبر مع المتعلم حتى يحصل العلم، وقد ألمح الإمام الرازي إلى بعض خصائص هذا المقطع (ص ح) نقلا عن الإمام الشافعي ، فقال:" دلت الآية

أن الاصطياد بالجوارح إنما يحل إذا كانت الجوارح معلمة ... وقال الشافعي (رحمه الله): والكلب لا يصير معلما إلا عند أمور: وهي إذا أرسل استرسل، وإذا أُخذ حُبس ولا يأكل، وإذا دعاه أجابه، وإذا أراده لم يفر منه، فإذا فعل ذلك مرات فهو معلم"[١]

** **والتعليم هنا معناه** : **التأديب**[٢].

والمقاطع الثلاثة بتنوعها تؤدي في تناسق عجيب لتجسيد المعنى المقصود في سياق الآية بشكل رائع بديع، حيث تبدأ الكلمة بالمقطع القصير (ص ح) فهو بخفته وسرعته يدل على السرعة والتلهف لطلب العلم، ثم يأتي المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) بخصائصه من الهدوء وما يبعثه في النفس من سكون وراحة، مما يدل على أن العلم شعور داخلي يحقق الهدوء والطمأنينة في نفس صاحبه؛ لارتواء نفسه من معرفة ما يريده، يقول الإمام أبو حيان مجسدًا خصائص هذا المقطع :" والمعنى: إن تعليمكم إياهن ليس من قبل أنفسكم ، إنما هو من العلم الذي علمكم الله، بأن جعل لكم روية وفكرا بأن قبلتم العلم،فكذلك الجوارح بصبر لها إدراك ما، وشعور بحيث يقبلن الائتمار والانزجار"[٣].

ثم بعد ذلك يأتي المقطع (ص ح ح) بانفتاحه وسرعته يدل على الرفعة وتميز المتعلم بين أقرانه بالعلم وأفضليته وعلو منزلته عليهم، وقد أشار إلى ذلك الإمام السمرقندي فقال:" ... وفيه دليل على أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل؛ لأن الكلب إذا عُلّم صار له أفضلية على باقي الكلاب، وأن الإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له أفضلية على سائر الناس"[٤] ، ثم يتتابع بعد ذلك

---

(١) مفاتيح الغيب (١١/ ٢٩٢).

(٢) ينظر: الوسيط للواحدي (٢/ ١٥٧)، تفسير السمعاني (٢/ ١٣)

(٣) البحر المحيط (٤/ ١٨٠).

(٤) بحر العلوم (١/ ٣٧١).

المقطع القصير (ص ح) مما يدل على التكرار والاستمرارية في طلب العلم، لأن التعليم لا يحدث مرة واحدة، بل متابعة ثم تختم الدلالة بالمقطع (ص ح ص) بإيقاعه الهادئ مما يدل على ثبوت العلم وسكونه في نفس المتعلم بعد جهد كبير، مما يجعله معلما نحريرا ومدربا تدريبا جيدا، يقول الإمام الزمخشري:" ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ فيها فائدة جلية، وهي: على كل آخذ علما ألا يأخذه إلا ممن أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه"(١)

كل هذه الإيقاعات الصوتية أساهمت بجلاء في إيضاح المعنى وتجسيده، وكأنها ترسم صورة مشاهدة للحدث، مما يثير في نفس المتلقي الانفعال بالمعنى والتأثر به.

** مما سبق يتضح الفرق بين التعليم الأول والثاني، **فالأول**: فمعناه : التأديب، لكنه لغير العقلاء؛ وطريقه: الشعور، وهو طريق حسي معنوي.

والثاني : بمعنى: الإدراك، وطريقه: الفطنة والتدبر اللذان أوجدهما الله في الإنسان، وربما يكون إلهاما.

****المقطع (ص ح ص) وأثره في الدلالة على المعنى**:

يحتل المرتبة الثانية بعد المقطع (ص ح)، من جملة المقاطع المكونة لمشتقات العلم) فلو نظرنا إلى هذا المقطع لوجدنا كل المشتقات ورد فيها هذا المقطع إلا ما ندر؛ وهذا بدوره يدل على أن العلم شعور داخلي لا يحتويه إلا الصدر، فشبه به لانغلاق الصدر عليه وسكونه فيه، فهو حكم تربي في القلب وثبت وسكن .

بيد أني أجده في بعض المشتقات مكررا مثل (علَّم، علمٌ) وهذا إن دلّ على

(١) الكشاف (١/ ٦٠٦).

شيء فإنما يدل على المبالغة في العلم وتمكنه وثباته في النفس.

*ومما ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ٥)، فلو نظرنا إلى التقطيع الصوتي لصيغة (علّم) لوجدناه على النحو التالي

(ص ح ص / ص ح / ص ح ص)، فاحتواؤها على المقطع المتوسط المفتوح في بداية الحدث ونهايته يدل على التمكن والمبالغة في ثبات العلم في النفس، وجاء هذا المقطع متناغما مع الجو العام للآية الكريمة ، حيث إن الله – سبحانه وتعالى– أمر حبيبه (ﷺ) بالقراءة ولم يكن (ﷺ) خط كتابًا قط، مما آثار في نفس المصطفى (ﷺ) وجلاً وخوفا، فأراد الله –سبحانه وتعالى– أن يثلج ويُسكن ويطمئن قلب حبيبه فقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق: ١ – ٥)،أي لا تخف يا محمد؛ لأن الذي علّم أصحاب المعرفة القراءة قادر على أن يعلمك القراءة دون سبق معرفة، وفي ذلك يقول الإمام ابن عاشور:" ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وفي ذلك اطمئنان لنفس النبي (ﷺ)بأن عدم معرفته الكتابة لا يحول دون قراءته؛ لأن الله ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فالذي علم القراءة لأصحاب المعرفة قادر على أن يعلمك القراءة دون سبق معرفة بالكتابة"(١).

والتعليم في هذه الآية معناه الإلهام، وفي ذلك يقول الإمام السمرقندي:" ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ يعني: علمه أسماء كل شيء، يعني : ألهمه"(٢).

وهذه الآية الكريمة توقفنا على مصدر المعرفة الإنسانية، وأن مصدرها

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٤١).
(٢) بحر العلوم (٣/ ٥٩٨).

الخالق -سبحانه وتعالى- فهو الذي خلق الإنسان وعلمه بما أودع فيه من القدرة على تحصيل هذا العلم، كما تدل على العلوم كلها مكتسبة، لأنها مسبوقة بجهل، فكل علم يحصل هو علم ما لم يكن يعلم؛ ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

وتتجسد خصائص هذا المقطع أيضا في (عِلْمٌ) كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾ (النمل: ٤٠) .

فصيغة (عِلْمٌ) تحتوي على مقطعين مغلقين وهما: (ص ح ص/ ص ح ص)، وهذا المقطع بخصائصه يخلق جوا من الهدوء النفسي، وهذا الهدوء جاء مناسبا للسياق العام للآية الكريمة؛ حيث إن سليمان(عليه السلام) عندما جاءه وفد بلقيس وقدموا إليه الهدية أثار هذا الأمر غضبه، وقال: أتغرونني بالمال وقد أعطاني الله من النبوة والحكم والدين والإسلام والملك خيرًا مما أعطاكم من الدنيا والمال؟! بل أنتم بهديتكم تفرحون؛ ولذ قال في غضب شديد ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ (النمل: ٣٧) ثم طلب من جنوده أن يأتوه بعرش سليمان فقام مارد من الجن وقال: أنا آتيك به وكان قضاءه إلى انتصاف النهار، فقال سليمان: أريد أسرع ، فقال الذي عنده علم الكتاب: أي عنده (اسم الله الأعظم) فدعا به فإذا السرير قد ظهر بين يدي سليمان"[١].

هذا الحوار الذي ذكرت كان بمثابة الرحلة الطويلة التي كان يلتقط فيها

(١) ينظر: بحر العلوم (٢/ ٥٨٢).

سليمان –عليه السلام– أنفاس الغضب مما فعلته معه بلقيس في إغرائه بالهدية، وكان يبحث عن متنفسًا يبعث في نفسه هدوءا بعد هذا الغضب، ودليل أنه يريد أن يتخلص من هذا الانفعال الداخلى أنه لم يصبر على أن يأتيه العفريت ما يشفي غلته هو (عرش بلقيس) عند الضحى، فقال: أريد أسرع، فكأنه يريد أن يتخلص من هذا الانفعالى الدخلى بشكل أسرع، فجاءت كلمة (علم) مجسدة لنا ما يريد أن يصل إليه سليمان –عليه السلام– بمقاطعها الصوتية (ص ح ص / ص ح ص) التي تبعث في النفس الهدوء والراحة النفسية ، فهذا العلم بعث في نفس سليمان هدوءًا وسكينة بعد غضب، كما أنها تدل على تمكن صاحبها من معرفتها ورسوخها في نفسه وحده، ولذا جاء السياق القرآني بكلمة (عنده) وهي تشبه الملكية، فلتمكنها في نفسه، أشبه الملكية المعرفية لقائلها وهو من عنده علم الكتاب.

فالعلم الذي كان عند الرجل هو (اسم الله الأعظم)، يقول الإمام الزمخشري:" ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾رجل كان عنده اسم الله الأعظم ، وهو يا حي يا قيوم، وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت، وقيل: يا ذا الجلال والإكرام"[1].

المقطع (ص ح ح) :

يحتل المرتبة الثالثة بعد المقطع (ص ح)، والمقطع (ص ح ص)في التكرار من جملة المقاطع المكونة لمشتقات العلم في القرآن، واللافت للذهن أنه لم يأت إلا في الصيغ التي تحمل معنى المبالغة في العلم مثل (عَلِيم، علّام، عالِم، عُلماء)، والملاحظ في هذه الصيغ أن منها ما جاء وصفا لله تعالى في القرآن، ومنها ما جاء وصفا للبشر، فدلالته تختلف باختلاف الموصوف به،

(١) الكشاف (٣/ ٣٦٧).

فصفات الذات مثل (عالم ، علام، وعليم) يدل انفتاح المقطع (ص ح ح) على سعة علمه –سبحانه وتعالى– وإحاطته بكل ما كان وما يكون وما هو كائن قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ (فصلت: ٥٤)، وكل ذلك علامة على أنه الخالق، جاء في لسان العرب :" من صفات الله –عز وجل– (العَلِيم والعالِمُ والعَلَّامُ) ... فهو العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولمّا يكن بعدقبل أن يكون، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء –سبحانه وتعالى– أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها، وجليلها على أتم الإمكان"[١] .

أما في صفات البشر مثل (علماء)، فإن انفتاح المقطع يدل على علو منزلة الموصوفين به، ورفعتهم وفضيلتهم على غيرهم، فيسيرون كالأعلام وسط أقوامهم يهتدون بهم في سائر شئونهم، فيرشدونهم إلى طريق الحق، ويحذرونهم من طريق الجهل والضلال، فهم دعاة الله في أرضه، وأشدهم خشية له، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: ٢٨)، وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة التي تظهر جمال التشكيل المقطعي وإيحاءه للمقطع (ص ح ح)

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤١٦) .

أولا : صيغة (عَالِم)، في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(الأنعام: ٧٣).

لونظرنا إلى التشكيل المقطعي لصيغة (عَالِمُ لْ) وهو (ص ح ح/ ص ح / ص ح ص)، نجد أنها جمعت المقاطع الثلاث المكونة لجميع صيغ مشتقات العلم، وجاءت هذه المقاطع بشكل متناغم مع دلالتها، وهذا التنوع الصوتي والمقطعي يحدث في النفس عند النطق بها انفعالا لمعناها؛ حيث إنه يبدأ بالمقطع المتوسط المفخم المتسع المفتوح مما يوحي بالتفخيم والمبالغة في الدالة على وحدانية الله وإحاطة علمه سبحانه فهو عالم بغير معلم، وهذا يثير في النفس حركة وتدبرًا وتأملًا وتفكرًا، يتبعه المقطع القصير المتحرك (ص ح) مما يدل على تتابع التفكر والتأمل، يليه بعد هذا مقطع هادئ ساكن يورث في القلب طمأنية ويقينًا بأنه الخالق، وأنه محيط بكل شيء، كما يدل على الثبوت والدوام في العلم، فهو –سبحانه وتعالى– عالم من الأمد إلى الأبد بعلم قديم أزلي محيط بما كان وما يكون وما هو كائن.

والبدء بالمقطع المفتوح والانتهاء بالمغلق يدل على إحاطة علمه سبحانه وتعالى لا سيما وهو مضاف إلى السر والعلانية، يقول الإمام السمرقندي:" الغيب ما غاب عن العباد، والشهادة: ما علم العباد به، ويقال: السر والعلانية، ويقال: عالم بما يكون وبما قد كان، ويقال: عالم بأمر الدنيا وبأمر الآخرة"(١).

وهذا يدل على الإحاطة وكمال العلم لله –سبحانه وتعالى– وكل ذلك علامة على أنه الخالق، وأن قوله حق وحكمه صدق، لذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ " يقول الإمام الرازي:" وقوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾ يدل على كمال العلم، فلا جرم أنه لزم من مجموعهما أن يكون قوله

(١) بحر العلوم (١/ ٤٦٠).

حقا، وأن يكون حكمه صدقا، وأن يكون قضاياه مبرأة عن الجور والعبث والباطل، ثم قال : ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ والمراد من كونه (حكيما) أن يكون مصيبا في أفعاله، ومن كونه خبيرا، كونه عالما بحقائقها من غير اشتباه ومن غير التباس"[١]، وعليه فالعلم في هذا السياق القرآني معناه الإحاطة.

ثانيــاً: **صــيغة**(**عُلماء**) **في قولــه تعــالى**: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(فاطر: ٢٨) .

بالتأمل في المقاطع الصوتية المكونة لهذه الصيغة (علماء) نجدها على النحو التالي (ص ح/ ص ح / ص ح ح / ص ح) فهي تبدأ بتتابع مقطعي من النوع القصير المفتوح (ص ح) مما يدل على التتابع والتراكم المعرفي واستمراريته،

وينتج عن هذا التتابع والتراكم المعرفي الرفعة والفضيلة لأهل العلم، وهو ما يجعلهم سادة في أقوامهم، وهذه الدلالة يوحي بها المقطع المفتوح (ص ح ح) فهم أعلام وسط أقرانهم يهتدون بهم في صنيع الخير؛ لأنهم أكثرهم خشية لله – تعالى- فجعل العلم علامة عليهم لا هم علامة على العلم، ثم جاء بعد ذلك المقطع الخفيف المفتوح (ص ح) السريع الحركة؛ ليبرهن على أن هذا الارتفاع الحادث من المقطع (ص ح ح) الناتج بسبب تراكم المعرفي، لابد وأن يعقبه استمرارية وحركة في طلب العلم، والاستزادة والرغبة في طلبه لا الوقوف به عند حد معين كما قال –سبحانه وتعالى-: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ (طه: ١١٤)، فالعالم لا يصير عالما إلا بالمتابعة في طلب العلم، وليس هناك نهاية لطلب العلم ولا وقوف به عند حد معين، فالعلم ثمرة المتابعة، وحياة العلم مدارسته، فثبات الارتفاع يأتي من المتابعة والاستزادة والرغبة المستمرة في تحصيل العلم، ولذا

---

(١) مفاتيح الغيب (١٣/ ٢٨).

قصر الخشية عليهم؛ لأنهم أعرف الناس وأتقاهم لله، يقول الإمام الزمخشري:" إنما يخشاه من عرفه حق معرفته، وعلمه كُنه علمه "[١].

وتزداد الخشية وتقل بحسب زيادة العلم ونقصانه، فزيادة الخشية بالمتابعة في العلم واستمراريته، يقول الإمام ابن عاشور:" إن العلماء في مراتب الخشية متفاوتون في الدرجات تفاوتا كبيرًا، فعلى مقدار العلم وزيادته تقوى الخشية"[٢].

مما سبق يتضح أثر التشكيل المقطعي في إبراز المعني وتجسيد الدلالات المختلفة للعلم؛ لما فيه من خصائص وسمات صوتية تلفت الانتباه وتثير الذهن لتخيل هذه الدلالات والانفعال بها بما يتوافق والسياق القرآني الواردة فيه هذه الدلالات، كما تثبت أن دراسة المقاطع الصوتية لا تقل أهمية عن الدراسات الصوتية الأخرى في إبراز المعنى وتجسيده.

(١) الكشاف (٣/ ٦١١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٥).

المبحث الثاني

السياق الصرفي وأثره في تحديد دلالة العلم
في القرآن الكريم

يراد بالمعنى الصرفي " ما تدل عليه الوحدة الصرفية من معاني زائدة على المعنى الأصلي أو المعجمي[١]، وللسياق بنوعيه (خارجي وداخلي) دور حاسم في تحديد المعنى المراد من الصيغة، فمثلاً : الهمزة في صيغة (أفعل) تأتي لمعاني كثيرة منها الجعل، والصيرورة، والمصادفة، والتعريض ... والتضعيف في (فَعَّل) يفيد المبالغة والتكثير، والنسبة إلى الشيء إلى غير ذلك من الصيغ ودلالاتها المتعددة.

وسأقوم –بإذن الله تعالى– بتقسيم هذا المبحث إلى ما يلي:

أولا: صيغ الأفعال.

ثانيا: صيغ الأسماء.

أولا: صيـــــغ الأفعـــال

وفيه سنتحدث عن أثر الصيغة الفعلية في تحديد دلالة (العلم) سواءً كانت صيغًا مجردة أو مزيدة.

" والتعبير عن فكرة الزمن في اللغة العربية يتم بوسيلتين، إحداهما: صرفية، والمراد بها: تخصيص علامات خاصة للدلالة على انقضاء زمن الفعل أو عدم انقضائه، والأخرى نحوية، والمراد بها: التعبير عن علاقة المتحدث بالزمن، وقد استعانت اللغة في الكشف عن الناحية الثانية بوسائل نحوية تستفاد من تركيب

---

(١) مقدمة في فقه اللغة العربية د/ البركاوي صد ٢٤٥.

الجملة والأدوات المستخدمة فيه"[1]، وسنقتصر هنا على الناحية الصرفية، أما الناحية الثانية فنتكلم عنها إن شاء الله تعالى-في المبحث التالي.

"وقد خصصت اللغة العربية للزمن الصرفي وحدتين صرفيتين هما: وحدة الماضي التي تدل على انتهاء الحدث وانقطاعه، ووحدة المضارع التي تدل على انقضاء الفعل، إما لأنه لا يزال يحدث أو سيحدث في المستقبل، أما صيغة الأمر فإنها فرع من المضارع من حيث الدلالة على الزمن ، ولها معان نحوية وسأتحدث عن دلالتها في معاني الكلام "[2]؛ لذا سأفرد الحديث عنها في المبحث الثالث إن شاء الله، هذا بالنسبة للصيغ المجردة.

كما سأتحدث عن أثر الزوائد على الصيغ الفعلية المجردة، هل كان لهذه الحروف الزائدة أثر في تحديد دلالة (العلم) أو أنها جاءت لغير معني؟

والحقيقة أن هذه الزوائد لا بد أن تأتي لمعنى؛ لأن الزيادة في المبنى لا بد أن تقابلها زيادة في المعنى.

وبالنظر في السياقات الفعلية نجد أن الفعل (عَلِم) في أغلبها جاء مضافا إلى لفظ الجلالة -سبحانه وتعالى-كما أنه في البعض الآخر جاء مضافا للبشر ؛ لذا فالحديث عن العلم هنا سيكون ذا شقين:

الأول: العلم الإلهي، والثاني: العلم الإنساني، وقبل الشروع في الحديث عن أثر الصيغ الفعلية في تحديد دلالة (عَلِم) من خلال السياق القرآني هناك بعض الأسئلة التي لا بد للبحث من الإجابة عليها؛ حيث إننا نتحدث عن (العلم) وهو صفة من صفات الله -تعالى-وكرم البشر ووصفهم بها، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١)، وقال تعالى﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(١) ينظر:دلالة السياق صـ ١٦٢.

(٢) ينظر: السابق نفسه.

(الأعراف: ٣٢) ، وقال ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق:٥).

والسؤال: هل علم الله- سبحانه وتعالى-يخضع للأزمنة من حيث الانقطاع والتجدد والاستمرار مثل علم البشر، أو لا؟ .

وإذا كان لا يخضع للأزمنة، فلماذا جاء على الصيغ الفعلية، ولم يأت فقط على الصيغ الاسمية التى تدل على الثبات والدوام؟ أو لماذا آثر السياق القرآني في هذه الآيات الصيغ الفعلية على غيرها من الصيغ الاسمية؟!!

ولا بد للبحث أن يكشف اللثام عن هذه الأسئلة، وسنبدأ – بعون الله تعالى – بالحديث عن الصيغ.

١- صيغ الماضي:

آثر السياق المقامي استخدام لفظ العلم بصيغة الماضي التي تدل على الانقطاع في سياق الحال في بعض الآيات القرآنية، ومن ذلك :

أ- العلم الإلهي:

قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧)

سبب نزولها:

ذكر الحميداني أن هذه الآية نزلت في المسلمين، وذلك أنهم كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرُم عليهم النساء والطعام إلى مثلها في القابلة، ثم إن ناسا من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء ،منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك لرسول الله (ﷺ) فأنزل الله هذه الآية"[١] .

(١) ينظر: أسباب النزول (١/ ٥٠).

الشاهد:﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ ﴾لو تأملنا السياق المقالي لهذه الآية وهو ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ نجد أن (العلم)في هذا السياق القرآني جاء مقترنًا بالزمن الماضي الدال على الانقطاع لا سيما وهو مخصص بلفظ الجلالة، وهذا التخصيص يدل على أن المقصود بالعلم هنا العلم الإلهي، ومتعلق هذا العلم (تختانون)، وأكد السياق القرآني العلم بالجملة الاسمية الداله على الثبات والدوام ، و(إنَّ) الثقيلة ، وكذا ضمير الفصل (كم) المقتضى التوكيد، وفعل (تختانون)المقترن بزمن الحال الدال على التجدد والاستمرار المؤكد بأنفسكم ، وهذا يدل على تحقيق وقوع الاختيان واستمراريته من بعضهم في الماضي قبل الإخبار بحدوثه، بدليل استخدام السياق القرآني (كان)، يقول الإمام الألوسي" والاختيان: تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة أو الخيانة البليغة فيكون المعنى: (تنقصون أنفسكم تنقيصًا تامًّا بتعريضها للعقاب، وتنقيص حظها من الثواب، ويؤول إلى معنى تظلمونها بذلك، والمراد الاستمرار عليه فيما مضى قبل إخبارهم بالحال كما ينبئ عنه صيغتا الماضي والمضارع وهو متعلق العلم:"[1].

وهذا يدل على تحريم سابق، يقول الإمام الرازي:" وهذا يدل على تحريم سابق وعلى وقوع ذلك من بعضهم"[2] خلافا لمن زعم أن الخيانة لم تحدث منهم، وأنه على تقدير محذوف تقديره، (لو دامت تلك الحرمة)، وضعفه أبو حيان فقال:" وظاهر الكلام يدل على وقوع الخيانة منهم لدلالة (كان) على ذلك...، وقيل: ذلك على تقدير:" ولم يقع بعد" والمعنى: (تختانون أنفسكم لو دامت تلك الحرمة، وهذا فيه ضعف لوجود (كان)؛ ولأنه إضمار لا يدل عليه دليل، ولمنافاة قوله تعالى:﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾(البقرة: ١٨٧) [3]؛ لأنه لولم يكن ذلك

(١) روح المعاني (١/ ٤٦١)

(٢) مفاتيح الغيب (٥/ ٢٦٨).

(٣) البحر المحيط (٢/ ٢١٢).

محرما عليهم، وأنهم أقدموا على المعصية لما صح قوله:﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ فتاب عليهم، ولو كان الحل ثابتًا في الماضي كما هو الآن لم يكن لقوله تعالى﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ فائدة، ولما ذكر في سبب النزول كل هذا يدل على تحريم سابق[١]، يقول الإمام ابن عاشور:" فقوله﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ ﴾ دليل على أن القرآن نزل بهذا الحكم لزيادة البيان"[٢]، لذا ضمن (علم الله) بفعلهم (الاختيان) الرخصة لهم في المباشرة وعدم المؤاخذة منهم، يقول الرازي:" ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾هَذَا أَمْرٌ وارد عقب الخطر، والأمر الوارد عقيب الخطر لَيْسَ إِلَّا لِلْإِبَاحَةِ"[٣].

فعلم الله هنا المقصود به العلم الإلهي الأزلي المنزه عن الزمان، يقول الكفوي:" علم الله تعالى منزه عن الزمان، ونسبته إلى جميع الأزمنة واحدة، فيكون جميع الأزمنة من الأزل إلى الأبد بالنسبة لله – سبحانه وتعالى– كامتداد واحد متصل فالله لا تخفى عليه خافية، فمهما حدثت المخلوقات لم يحدث له تعالى علم آخر بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي القديم، فالعلم بأن سيكون هو نفس العلم بكونه في وقت الكون من غير تجدد ولا كثرة، وإنما المتجدد هو نفس التعلق والمعلق به"[٤]؛ لذا فسر الإمام البقاعي العلم الإلهي في هذه الآية بالإحاطة، فقال:"﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ ﴾ أي المحيط علمه ورحمته، وله الإحاطة الكاملة"[٥]، أما التعبير بالزمن الماضي هنا فباعتبار التعلق لا باعتبار العلم .

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٣/ ٣٠٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ١٨١).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب(٥/ ٢٧١).

(٤) الكليات صـ ٦١٤.

(٥) نظم الدرر (٣/ ٧٩).

ومما ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(البقرة: ٢٣٥)

سبب نزولها:

ذكر المفسرون أن هذه الآية متعلقة بأحكام المتوفى عنها زوجها، حيث أباح الله للرجل أو الخاطب أن يتعرض لخطبة المرأة المتوفى عنها زوجها في عدتها تلويحًا لا تصريحًا بالخطبة أو عقد الزواج، وذلك كأن يقول لها:إنك لتعجبينني وإنك لي موافقة، فأرجو أن يكون بيننا زواج، أو أن يقول لها: لا تسبيقيني بالنكاح، أو أخطبك حتى إذا حللت أتزوجك، [١].

الشاهد: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ ﴾من العلماء من ذكر أن العلم هنا كناية عن الإذن المتضمن للإباحة في التعريض بالخطبة دون المؤاخذة عليها، حيث إن المؤاخذة من مستلزمات العلم، ومن علم الشيء ولم يجاز عليه دلّ على الإذن بالفعل، يقول الإمام ابن عاشور: " ولما كان العلم في مثل هذا الموضع كناية عن الإذن، كما تقول : علمت أنك تفعل كذا) تريد إني لا أؤاخذك؛ لأنك لو كنت تؤاخذه وقد علمت فعله لآخذته"[٢].

ومن المفسرين من جعله بمعنى الخوف، والمعنى:خافوا الله، يقول الإمام السمرقندي:" ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ أي: خافوا الله في العده"[٣]، وهذا الخوف فيه طرف من التوبيخ، وذلك لعدم تثبتهم لما بعد العدة؛ ولذا جاء بالسين التي تدل على تقارب الاستقبال من الحال، يقول الإمام أبو حيان:" ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ

---

(١)ينظر:جامع البيان (٥/ ٩٥)، بحر العلوم (١/ ١٥٤)، تفسير السمعاني (١/ ٢٣٩).
(٢) التحرير والتنوير (٢/٤٥٣).
(٣) بحر العلوم (١/ ١٥٥).

سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ هذا عذر في التعريض؛ لأن الميل متى حصل في القلب عسر دفعه، فأسقط الله تعالى الحرج في ذلك، وفيه طرف من التوبيخ كقوله تعالى ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧)؛ ولذا جاء بالسين التي تدل على تقارب الزمن المستقبل لا تراخيه؛ لأنهن يذكرن عندما انفصلت حبالهن عن أزواجهن بالموت، وتتوق إليهن الأنفس ويتمنى نكاحهن"[١]، فأباح الله لهم التعريض دون المواعدة سرًا، وذكروا في معنى السر أقوال أصحها: أخذ ميثاق النكاح مما نهى الشرع عنه،وقيل: الزنا، وقيل : الوطء[٢].

(**تعقيب**)

مما سبق يتضح أن (**العلم**) في هذه الآية المضاف إلى لفظ الجلالة جاء كناية عن الإذن المتضمن لمعنى الإباحة، وإن كان فيه طرف من التوبيخ؛ لعدم تثبت الخاطب إلى ما بعد العدة؛ حيث إنه –سبحانه وتعالى– لما علم أنهم لا يستطيعون الفكاك عن الرغبة فيهن، أباح لهم التعريض بالخطبة دون التصريح بها أو عقد النكاح أو قول السر، وهذا ما أكده السياق المقامي في قصة أبي جعفرالباقر.

وإذا تأملنا السياق المقالي في جملة ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ نجد أن العلم هنا قيد بالزمن الماضي الدال على الانقطاع، لا سيما وهو مضاف إلى لفظ الجلالة، وخصص العلم أو سلط في هذه الآية على الفعل المضارع (ستذكرونهن) المتضمن الاستقبال بواسطة السين، وظاهر هذا يوهم تجدد علم الله –سبحانه وتعالى– ولكن هذا لا يجوز، فعلم الله أزلي قديم يعلم كل شيء بعلم واحد، والزمان حادث والله خالق، ولا يخضع خالق لمخلوق حادث، بيد أن التجدد نقص

(١) البحر المحيط (٢/ ٥٢١).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (١/ ٢٣٩)

وهذا جائز في حق البشر لكن لا يجوز هذا في حق الله، ولكن عبر عن (علم الله) بصيغة الماضي باعتبار المتعلق وهو صدور هذا الفعل ووقوعه منهم مشاهدة، لكن قبل وقوعه علمه الله بعلمه القديم الأزلي ، يقول الإمام أبو حيان:" فعلمه ليس ناشئا عن وجود الأشياء، بل هو سابق بعلم الأشياء قبل الإيجاد، وبعد الإيجاد، وبعد العدم، بخلاف علم المخلوق، فإنه لا يعلم الشيء إلا بعد إيجاده، فعلمه مُحدث" [1] ؛ و ضمن ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ ﴾الإذن والإباحة باعتبار المتعلق به، وهو الفعل (ستذكرونهن) المفيد التجدد والاستمرار،لا سيما وأن هذا المتعلق به موكد حدوثه واستمراريته، نظرًا لتسلط العلم على الجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام، وهي مؤكدة بـ(إنّ) الثقيلة وضمير الفصل (كم) ولذا أباح لهم التعريض بالخطبة دون التصريح بالعقد وقول السر، وهذا يدل على رأفة الله سبحانه ورحمته بخلقه وكمال العناية والرعاية لهم؛ حيث دفع عنهم ما لا يستطيعون دفعه رخصة لهم كما قال تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ (الأنفال: ٦٦)، ولكن هذه الرخصة مشروطة بشروط كما في ظاهر الآية؛ وختم – سبحانه – بالتهديد والوعيد فقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، تحذيرا لمن ينقض هذه الشروط، أي خافوا الله في العدة واحذروا من عقد النكاح أو مواعدتهن سرا[2].

وهذه الآية تخبر عن تعلق علم الله تعالى بالمستقبل كما قال تعال: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (الروم: ١ – ٣) فنجد أن السياق بنوعيه كان له دور كبير في تحديد دلالة العلم وما يصاحبه من قرائن.

---

(١) البحر المحيط (٢/ ٧٥٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥/ ١١٧)

* **قوله تعالى**: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾(الأنفال: ٦٦).

سبب النزول:

ذكر السمرقندي عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية أنه قال: «فرض على المسلمين أن لا يفر رجل من عشرة، ولا عشرة من مائة يوم بدر، فجهد الناس وشقّ عليهم، فنزلت هذه الآية ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ ففرض عليهم أن لا يفر رجل من رجلين، ولا قوم من مثلهم، فنقص من النصرة بقدر ما نقص من العدد. وروى عطاء، عن ابن عباس قال: «من فرّ من رجلين فقد فرّ، ومن فرّ من ثلاثة لم يفر»(١).

((**الشاهد**)) ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ، حيث وقع العلم في هذه الآية على صيغة الزمن الماضى، وظاهر السياق يوهم بأن التخفيف عليهم ما حصل إلا بعد أن علم الله بضعفهم، وقبل ذلك لم يكن يعلمه، وهذا يوهم حدوث علم الله وتجدده، وقد عرض ابن عاشور لهذه القضية، فقال:" وجعل المفسرون موقع ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾موقع العطف، فنشأ إشكال أنه يوهم حدوث علم الله- تعالى- بعلمهم في هذا الوقت"(٢).

وقد نقل الإمام الرازي عن المتكلميين إجابتهم عن هذة بأن الحضور هنا بحصول وقوع العلم،لا باعتبار حصوله، فقال:" ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾هذا يقتضي أن علم الله بضعفهم ما حصل إلا في هذا الوقت، والمتكلمون أجابوا عن معنى الآية: أنه تعالى قبل حدوث الشيء لا يعلمه حاصلا واقعا، بل يعلم منه أنه سيحدث، أما عند حدوثه ووقوعه فإنه يعلمه حادثا واقعا، فقوله ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٣١).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٧٠)

ضَعۡفًا ﴾معناه: أنه الآن حصل العلم بوقوعه وحصوله، وأما قبل ذلك فقد كان الحاصل هو العلم بأنه سيقع أو سيحدث"(١).

فعلم الله أزلي قديم والأزمنة كلها عنده سواء فليس المراد به علمه مطلقًا، وإنما المراد به من حيث تحقق العلم ، يقول الإمام أبو السعود:" والمراد بعلمه- تعالى- بضعفهم علمه به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه مطلقا، كيف لا وهو ثابت في الأزل"(٢).

وهذا يدل على أن تقييد علم الله بـ ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾باعتبار متعلق العلم لا باعتبار العلم، يقول الألوسي:" وتقييد التخفيف بـ ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾فظاهر، أما تقييد علم الله تعالى به فباعتبار تعلقه، وقد قالو: إن له تعلقًا قبل الوقوع وحال الوقوع وبعد الوقوع"(٣).

مما سبق يتضح:

أن علم الله واحد لا يتجدد فهو علم أزلي قديم ، أما التعبير عنه بما يفيد الحدوث والتجدد فهذا باعتبار المتعلق لا باعتبار العلم، حيث إن معنى الآية: "حصل العلم بوقوع ما علم أن سيكون، فقبل وقوع ما علم أن سيكون كان علمًا بمعدوم لم يقع، ولكنه سيكون وبعد وجوده كان علمًا بوجوده من غير تجدد علم"(٤)، فالله يعلم الماضي والحاضر والمستقبل دفعة واحدة، فكأنما جميع الزمان في لحظة واحدة إذا أجيز لنا هذا التعبير؛ وذلك لأن الزمان لا يوجد وجودًا حقيقيًّا إلا بالنسبة إلى الأشياء الحادثة، أما بالنسبة إلى الله فلا مجال للحديث عن فكرة

---

(١) مفاتيح الغيب (١٥/ ٥٠٧),

(٢) إرشاد العقل السليم (٤/ ٣٥).

(٣) روح المعاني (٥/ ٢٢٨).

(٤) قضية العلم الإلهي صـ ١٦٨

الزمن"[١]

ب-العلم الإنساني:

قال تعالى: " ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ **(البقرة: ٦٠)** .

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن هذا الاستسقاء كان في التيه؛ حيث إن الله تعالى لما ظلّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى، اشتكوا إلى نبيهم الظمأ فأعطاهم الله الماء من الحجر، فنزلت هذه الآية[٢].

واختلفوا في صفة هذا الحجر على قولين، **الأول** : إن هذا الحجر كان معلوما ومعهودًا لهم، وقيل: حجر أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه، وقيل: هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه فاغتسل، فقال له جبريل، يقول لك الله تعالى:" ارفع هذا الحجر فإن لي فيه قدرة ولي فيه معجزة ، وغير ذلك من الأقوال، وعليه فاللام في الحجر للعهد.

القول الثاني: أن تكون اللام في (الحجر) للجنس، وعليه يكون المعنى اضرب الشيء الذي يقال له الحجردون تحديد حجر بعينه، ورجح هذا القول حيث إنه أظهر في الحجة وأبين في القدرة[٣].

وقد أوحى الله – سبحانه وتعالى– لنبيه موسى أن اضرب بعصاك الحجر

---

(١) قضية العلم الإلهي صـ ٢٥٠

(٢) ينظر: جامع البيان(٢/ ١٢٠)، مفاتيح الغيب (٣/ ٥٢٨).

(٣) ينظر:الكشاف (١/ ١٤٤)، مفاتيح الغيب(٣/ ٥٢٨)، البحر المحيط (١/ ٣٦٧)، الجامع لأحكام القرآن الكريم (١/ ٤٢١).

فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين معلوم مستفيض ماوها لهم[١]، وروي أنهم قالوا: لو فقد موسى عصاه متنا عطشا، فأوحى الله إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعمك[٢].

الشاهد في الآية: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ ذكر المفسرون أن المراد بالعلم الإنساني في هذه الآية (المعرفة)، والمعنى: قد عرف كل سبط منهم مشربهم(عين مائه) بحيث لا يتعداها إلى مشرب غيره من الأسباط[٣]، يقول السمرقندي:" ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، أي: قد عرف كل سبط مشربهم، أي: موردهم وموضع شربهم من العيون لا يخالطهم فيها غيره"[٤]، وهذا التفصيل والتخصيص هو الحكمة من الانقسام حتى لا يحدث بين الأسباط تنازع وخلاف، يقول الرازي:" إنما علموا ذلك؛ لأنه أمر كل إنسان ألا يشرب إلا من جدول معين؛ كيلا يختلفوا عند الحاجة إلى الماء"[٥].

و(عَلِم) في هذه الآية عُدي إلى مفعول واحد؛ لتضمنه معنى (عرف)، يقول الإمام أبو حيان:" وعلم هنا متعدية لواحد أجريت مجرى عرف، واستعمالها كذلك كثير في القرآن وفي اللسان"[٦].

والعلماء أطلقوا على العلم الإنساني هنا المعرفة دون أن يحددوا درجتها، ولا طريقها.

---

(١) ينظر: جامع البيان(٢/ ١٢٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٣/ ٥٢٨).

(٣)ينظر: جامع البيان (٢/ ١٢٠)، بحر العلوم (١/ ٥٧)، الكشاف (١/ ١٤٤)، مفاتيح الغيب(٣/ ٥٢٨)، البحر المحيط (١/ ٣٦٧)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٢١)

(٤) بحر العلوم (١/ ٥٧).

(٥) مفاتيح الغيب (٣/ ٥٢٨).

(٦) البحر المحيط (١/ ٣٧٠)، وينظر: روح المعاني (١/ ٢٧٢).

وبالتأمل في السياق الآية الكريمة نجد أن المعرفة هنا يقينة؛ لأنها علم مكتسب من نبي بطريق الوحي، وكل علم بواسطة وحي فهو علم يقيني؛ لأنه من عند رب السماء، ، ويرشح السياق اللغوى هذا المعنى في أجلى صورة، حيث أكد العلم بـ(قد) التي تقضي تحقيق المعرفة، لا سيما وهي مضافة للفعل الماضى، وكذا تعلق العلم بالجملة الاسمية التي تفيد الثبات والدوام المصدرة بلفظ (كل) المفيد عموم العلم لكل الأسباط، حيث أُضيف إلى (أناس) مما يدل على علم كل سبط منهم عين مائه محددة ومميزة عن غيرها من عيون الأسباط الأخرى، وأضاف المشرب إلى الضمير (هم) العائد على أسباط بني إسرائيل للدلالة على أن ذلك المشرب صار مستحقًا لهم فهو كالملك لهم ، يقول الرازي:" وأما إضافة المشرب إليهم؛ فلأنه –سبحانه وتعالى – لما أباح لكل سبط من الأسباط ذلك الماء الذي ظهر من ذلك الشق الذي يليه، صار كالملك لهم"[(١)]، وهذا المعنى شبيه بقوله تعالى ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾(البقرة: ١٤٦) حيث فسر العلماء المعرفة هنا بأنها يقينية، ومن دون دليل؛ حيث إن معرفة الإنسان بأبنائه معرفة يقينية لكنها هنا دون دليل، لأن الإنسان لا يحتاج إلى دليل حتى يعرف أبناءه، وهذا خلاف للمعرفة اليقينية التي يكون لها دليل مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥) أي كي يزداد إيمانًا على إيمانه ويقينًا على يقينه؛ لأنه يستحيل أن يكون نبي ولا يقين معه، أو ينظر إلى الدليل حتى يوقن بالله، وإنما كان الذي يريده هو أدلة مشاهدة للعيان، تزيد عنده طمأنينة الوحي ويقين البرهان، ومن ثم فالمعرفة في هذه الآية ﴿ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ ﴾ معرفة يقيينية، ولكنها بواسطة العلم السمعي بطريق الوحي المرسل لنبي الله موسى (عليه وعلى نبينا السلام)، فليس الدليل

(١) مفاتيح الغيب(٣/ ٥٢٩).

هو مصدر اليقين وحده، فالوحي أيضا مصدر من مصادر اليقين كما في هذه الآية، والفطرة السليمة التى تؤمن بالله من غير أن يقال لها على ذلك دليل برهان مصدر من مصادر اليقين كما في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور: ٤) .

سبب النزول

ذُكر في سبب نزول الآية الكريمة أن الله -سبحانه وتعالى- لما وصف أنوار قلوب المؤمنين، وموت قلوب الجاهلين، أتبع ذلك بدلائل التوحيد، فيقول – عز من قائل- ألم تنظر بعين قلبك يامحمد وتعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين ، والوثاقة في الوحي أوالاستدلال أن الله يسبح له ، أي: ينزهه- تعالى- على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله كل من في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الجن والإنس والطير صافات؟ [١] .

الشاهد : ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ ، قبل الولوج في تحديد دلالة العلم لا بد أولا أن نذكر آراء العلماء في المراد بالتسبيح في الآية الكريمة؛ لما له من وثيق الصلة بتفسير العلم وبيان طريقه، فذكر المفسرون أن للتسبيح ثلاثة معان[٢] في هذه الآية :

الأول: التسبيح بمعناه الحقيقي، وهو التنزيه، أي: دلالة هذه الأشياء (من في السماوات والأرض) على كونه – سبحانه- وتعالى منزها عن النقائص

---

(١) ينظر: الجامع البيان (١٩/ ١٩٩)، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٠١)، أنوار التنزيل(٤/١١٠)، مدارك التنزيل (٢/ ٥١٠)،الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٨٦).

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٠١)، البحر المحيط(٨/ ٥٦)،إرشاد العقل السليم (٦/١٨٣)، التحرير والتنوير (١٨/ ٢٥٨).

موصوفا بنعوت الجلال.

الثاني: أن المراد به أنها تتكلم بالتسبيح وتنطق به.

الثالث: حمل التسبيح على معناه الحقيقي والمجازي في آن واحد، حسب اختلاف حال الفريقين من عقلاء وغير عقلاء، كما هو المتبادر من قوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، فيكون في وصف البعض الدلالة على التنزيه، وفي وصف الباقين النطق باللسان، وإلى هذا ذهب الإمام ابن عاشور، فقال:" فتسبيح العقلاء حقيقة، وتسبيح الطير مجاز مرسل في الدلالة على التنزيه وفيه استعمال لفظ التسبيح في حقيقته ومجازه؛ ولذلك خولف بينهما في الجملة الثانية مراعاة لحال الفريقين من عقلاء وغير عقلاء وإن جمعهما لفظ (كل)، ولولا إرادة ذلك لقال: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ "(١).

ورجح الإمام الرازي أن المراد به المعنى الحقيقي، واستدل على ذلك باستخدم السياق القرآني لكلمة (من) دون (ما)، ورد الثاني؛ حيث إن من المكلفين من لا يسبح، ورد الثالث بحجة أنه لا يجوز أن يستخدم اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي في آن واحد، فقال:" والقسم الأول أقرب؛ لأن القسم الثاني متعذر؛ لأن في الأرض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى، والمكلفون منهم من لا يسبح أيضا، وأما القسم الثالث فإنه يقتضى استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا فهو غير جائز، فلم يبق إلا الأول ولذا خصص التسبيح هنا بالعقلاء دون غيرهم بذكر لفظ (من) دون (ما) في قوله ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾؛ حيث إن خلقه العقلاء أشد دلالة على وجود الصانع سبحانه؛ لأن

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٥٩) (بتصرف)

العجائب والغرائب في خلقهم أكثر وهي العقل والنطق والفهم "[1] .

وأرجح ما ذكره الإمام ابن عاشور من أن اللفظ على الحقيقة والمجاز، ولأن أصل التسبيح هو جنس العبادة ، يقول ابن فارس:" السين والباء والحاء أصلان، أحدهما: يدل علي جنس العبادة، ومنه السبحة ، وهي الصلاة، والتسبيح: وهو التنزيه"[2].

من هنا نستطيع أن نقف على المعنى الدقيق لمفرادات الشاهد القرآني، وهو قوله تعالى:" ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾

أولاً: المقصود بـ (العلم) هنا:

ذهب العلماء مذهبين في تحديد المراد بالعلم هنا [3]، فمنهم من قال:إن المراد بهذا العلم هو:

١-(العلم الإلهي) على جعل فاعل العلم هنا لفظ الجلالة،أي: (كل قد علم الله...)،

٢- ومنهم من ذهب إلى أن المراد به العلم الحادث المكتسب، وهو علم المخلوقين وعلى ذلك فالفاعل هو الضمير العائد على كل في قوله﴿ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، أي (قد علم كل مصل ومسبح...، وعليه فالمراد بالعلم هنا: المعرفة، وقد لخص الإمام ابن الجوزي هذا بأوجز أسلوب وأبلغ عبارة، فقال: "وفي المشار إليه بقوله:﴿ قَدْ عَلِمَ ﴾ قولان **أحدهما**: أنه الله تعالى، والمعنى: قد

(١) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٠٢)(بتصرف).

(٢) المقاييس لابن فارس (٣/ ١٢٥) مادة (س ب ح) (بتصرف).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٨٧) التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/ ٩٧٤).

علم الله صلاة المصلى وتسبيحه، قاله الزجاج، **والثاني**: أنه المصلي والمسبح، ثم فيه قولان:

أحدهما: قد علم المصلي والمسبح صلاة نفسه وتسبيحه، أي قد عرف ما كلف من ذلك، والثاني: قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه، أي علم أن ذلك لله وحده"(١).

وذكر الإمام الرازي أن الرأي الأول وهو (العلم الإلهي) اختيار جمهور المتكلمين، وهو اختيار الإمام الطبري(٢)، واستبعدوا الثالث ، فقال الإمام الرازي: " أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ ففيه ثلاثة أوجه: الأول: المراد كل قد علم الله صلاته وتسبيحه، قالوا : ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وهو اختيار جمهور المتكلمين، والثاني: أن يعود الضمير في الصلاة والتسبيح على لظ كل، أي أنهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح، والثالث: أن تكون الهاء راجعة على ذكر الله يعنى قد علم كل مسبح وكل مصلٍّ صلاة الله النى كلفه إياها... واستبعد المتكلمون ذلك، فقالوا: لو كانت الطير عارفه بالله تعالى لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا وإشارتنا، لكنها ليست كذلك"(٣).

والذي أرجحه أن المراد بالعلم في هذه الآية هو العلم الحادث المكتسب الخاص بالمخلوقين لا العلم الإلهي لأسباب:

الأول : أن الضمير يعود على أقرب مذكور، بناء على القاعدة التي تقول: (إذا احتمل عود الضمير إلى أكثر من مذكور، فالأصل عودها إلى أقرب

---

(١) زاد المسير (٣/ ٣٠٠).

(٢) جامع البيان (١٩/ ٢٠٠).

(٣) مفاتيح الغيب (١٤/ ٤٠٣).

مذكور)[1].

الدليل الثاني:اختلاف العلماء في تفسير العلم في الآية، ، فمنهم من جعله بمعنى مطلق الإدراك، يقول الإمام السمرقندي:" ويجوز أن يراد بالعلم مطلق الإدراك"[2]، وعبر عنه الإمام ابن عاشور بالمعرفة، فقال:" وفعل علم مراد به المعرفة لظهور الفرق بين علم العقلاء بصلاتهم، وعلم الطير بتسبيحها، فإن الثاني مجرد شعور، وقصد للعمل"[3].

ومنهم من جعله بمعنى التعليم أو الاستدلال، يقول: القرطبي:" ويجوز أن يكون المعنى(كل قد عَلّم غيره صلاته وتسبيحه)، أي: صلاة نفسه، فيكون التعليم الذي هو الإفهام... ويجوز أن يكون المعنى: كل قد استدل منه المستدل، فعبر بالاستدلال عن التعليم"[4]، وهذا بعيد بدليل صريح الآية، والصحيح المراد به المعرفة كما ذهب إليه الإمام ابن عاشور.

((**لطيفة**))

إذا كان المقصود بالعلم هنا العلم المحدث المعبر عنه بالمعرفة، فمن المخصوص بالصلاة؟ ومن المخصوص بالتسبيح؟!!

ذكر المفسرون أن الصلاة لبني آدم، والتسبيح لغيرهم من الخلق، يقول الطبري:" إن الصلاة لبني آدم، والتسبيح لغيرهم من الخلق؛ ولذلك فصل فيما بين ذلك"[5]، ويعجبني تعبير الإمام ابن عاشور في تعريف المخصوص بالصلاة، فذكر

---

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير د/ مساعد الطيار(١/ ١٥٤).

(٢) إرشاد العقل السليم (٦/ ١٨٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٥٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٨٧).

(٥) جامع البيان (١٩/ ١٩٩)، وينظر: بحر العلوم (٢/ ٥١٧)، الكشف والبيان (١١٢/٧)، زاد المسير (٣/ ٣٠٠)

أنها للعقلاء للتعميم وليس لبني آدم[١]؛ حيث إن العقلاء يدخل فيهم الملائكة، والإنس والجن، وهم مكلفون ينطقون باللسان، والرسول أرسل للإنس والجن كافة، وتظهر لنا سورة الجن ذلك قال تعالى:﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ﴾ (الجن: ١ – ٢)... إلخ الآيات التي تدل على أنهم مكلفون بكل ما جاء به سيدنا محمد (ﷺ)، ومن التكاليف الصلاة،، أما الملائكة، فقد حكي القرآن على لسانهم:﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ (الصافات: ١٦٤ – ١٦٦) وقد فسر العلماء المقام المعلوم بالمصلى المعروف لكل واحد منهم في السماء ، يقول السمرقندي:" وما منا معشر الملائكة إلا له مقام معلوم. يعني: مصلى معروفاً في السماء، يصلي فيه ويعبد الله تعالى فيه"[٢]، ولكن الكيف لا يعلمه إلا الله.

وربما أطلقه جمهور المفسرين على بني آدم تغليبا كما خص الطير بالذكر من غير العقلاء.

** ولسائل أن يسأل،: ما كل هذه التفصيلات؟ ألا نكتفى بالظاهر؟!!

أقول: إن هذه الآية من أمتع الآيات التي توقفنا على دلالات العلم، لأنها تشمل العلم الحادث بأكمله، وهوعلم المخلوقين جميعا، وبتالي ستوقفنا على مصدر المعرفة المحدثة، وطرقها أو وسائلها ودرجتها، كما سيتضح لنا الآن.

إذن فنحن الآن بين علمين ، الأول : علم العقلاء من الملائكة والإنس والجن، والآخر علم غير العقلاء بما فيها الطير.

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٨/ ٢٥٩).

(٢) بحر العلوم (٣/ ١٥٥).

أولا :علم العقلاء :(الإنس والجن)

مصدره: رباني، طريقه: الوحي المرسل إلى سيدنا محمد (ﷺ) ،وسيلته: العلم السمعي عن طريق الشرع فهي علم نظري، درجته : يقينيه؛ لأن مصدره رباني.

ويجوز أن يكون وسيلته هنا العلم المكتسب المشاهد عن طريق الوحي، والعقل والحواس، على المعنى الذي افترضه القرطبي للعلم بأنه، التعليم والإفهام.

٢- أما بالنسبة للملائكة ولغيرها من المخلوقات، فإن علمها يكون بطريق الإلهام، ودليله قوله تعالى:﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾(الأنفال: ١٢) حيث فُسر الوحي هنا بالإلهام، يقول السمرقندي:﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ ، أي: ألهم ربك الملائكة [١]، ومن الإيحاء بالإلهام إلى بعض الحيونات كالنحل، قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (النحل: ٦٨)، ففسر الوحي هنا بالإلهام، يقول الزمخشري:" الإيحاء إلى النحل : إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به،لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه"[٢].

وفي هذا رد على المتكلمين الذين زعموا أن المراد بالعلم هنا هو العلم الإلهي، وما استدلوا به من كون الطير لا تعرف الله ، مردود بقول العلماء بأن معرفتها بالله تكون إلهاما، يقول الإمام الرازي:" قال بعض العلماء: إنّا نشاهد أن الله ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالا لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء، وإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه؟!"[٣] ، وروايته عن أبي الدرداء أنها تعرف الله، حيث قال الرازي:" عن أبي الدرداء أنه قال : أبهمت

(١) بحر العلوم (٢/ ١١).
(٢) الكشاف (٢/ ٦١٨)
(٣) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٠٣).

عقول البهائم عن كل شيء إلا عن أربعة أشياء: معرفة الإله، وطلب الرزق، ومعرفة الذكر والأنثى، ويهيئ كل واحد منهما لصاحبه"[١].

إذا طريق العلم عند غير البشر هو الإلهام المعبر عنه بالوحي، كما نصت الآيات وذكره المفسرون.

((**لطيفة**))

قد يسأل سائل ويقول: الوحى يكون بواسطة ملك مرسل من رب السماء إلى الأنبياء والرسل، فيكف يكون هناك وحي لمن لا يعقل؟!!

نقول: هذا تعريف الوحي بمعناه الخاص، لكن معنى الوحي أوسع من ذلك، فأصل الوحي: الإلقاء في خفاء، يقول ابن فارس:" الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك "[٢]، فالوحي إشارة وكتابة، وإلهام وغيره، يقول الفارابي :" فالوحي: إشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك"[٣] وهو من الله إنباء وإلهام، ومن البشر إشارة، يقول ابن دريد:" والوحي من الله إنباء وإلهام، ومن الناس إشارة"[٤].

مما سبق يتضح أن تسبيح غير العقلاء وصلاة الملائكة يكونان إلهاما، وهو من أنواع الوحي؛ لذا فهي معرفة مكتسبة، ويجوز أن نطلق عليها معرفة ضرورية أو علة ضروري باعتبار تعريف الإلهام، حيث إن الإلهام: هو ما يلقى في الروع بطريق الفيض[٥]، أو أنه:" ما يبدو في القلب من المعارف بطريق

---

(١) مفاتيح الغيب (١٢/ ٥٢٥).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٩٣) مادة " و ح ى ".

(٣) الصحاح (٦/ ٢٥٢٠) مادة " و ح ى ".

(٤) الجمهرة (١/ ٢٣١)مادة " و ح ى ".

(٥)ينظر: تاج العروس (٣٣/ ٤٦١) مادة (و ح ى).

الخير ليفعل، وبطريق الشر ليترك"[1]، وهو بذلك يكون قريب المعنى بالعلم الضروري، لكن الأرجح أنه إلهام عن طريق الوحي.

وعلى ذلك، فمصدر المعرفة للملائكة وغير العقلاء : رباني، وطريقها الإلهام أو الوحي ،أما كيفيتها، فمسكوت عنها لا يعلمها إلا الله، قال تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤) ودرجتها : يقينية؛ لأنها من رب السماء .

وبما أن مصدر المعرفة هنا رباني سواء كانت للبشر أو لغيرهم، فإنها يقينية، وقد أكد السياق اللغوي ذلك، بقرائن (قد) التي تفيد التأكيد لا سيما وهي مضافة لفعل (علم) على صيغة الزمن الماضى، مما يدل على إفادة تحقيق العلم، وتصدير الجمله بـ (كل) المؤكد لكل مسبح ومصل بدليل عود الضمير عليه، وإضافة ضمير الفصل لكل مسبح ومصل دلالة أخرى على التأكيد، مثل قوله تعالى:﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾(البقرة: ٦٠).

مما سبق نستنج أن

المراد بالعلم هنا العلم الحادث المكتسب المعبر عنه بالمعرفة، لا العلم الإلهي القديم كما مر.

أن مصدر المعرفة هنا رباني، وطريقها هنا الوحي، سواء كان بطريق العلم السمعي للبشر، أو الإلهام لغيرهم من المخلوقات.

ودرجتها يقينية وهي أعلى درجات المعرفة، وذلك باعتبار مصدرها، وبقرائن السياق المقالي.

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (١/ ٨٣).

٢- صيغة المضارع :

آثر السياق القرآني في عدد من الآيات صيغة المضارع التي تعبر عن التجدد والاستمرار، ومما ورد من لفظ العلم في القرآن الكريم بصيغة المضارع ما يلي:

أولاً: العلم الإلهي:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ **(البقرة: ٢٢٠).**

سبب النزول:

ذكر الحميداني عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية: أن الله –عز وجل– لما أنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ **(الأنعام:١٥٢)، وقوله تعالى:** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ﴾ **(النساء: ١٠)، انطلق من كان عنده مال يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، وجعل يَفْضِل الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، واشتدّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله – ﷺ– فأنزل الله عز وجل :** ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾**فتخلطوا طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم**(١).

((**الشاهد**)) **: قوله تعالى:** ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ **حيث أضيف العلم إلى لفظ الجلالة، وكني به عن المعنى المجازي وهو المجازاة والمحاسبة؛ لأن من علم شيئًا جازى عليه، فهو من قبيل التعبير بالسبب عن المسبب، ولذا ضمنت الآية :** ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ **معنى التحذير، يقول الإمام أبو**

(١) ينظر: أسباب النزول(١/ ٧٢) .

حيان:" : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ ﴾ جملة معناها التحذير، أخبر تعالى فيها أنه عالم بالذي يفسد من الذي يصلح، ومعنى ذلك أنه يجازي كلا منهما على الوصف الذي قام به، وكثيرًا ما ينسب العلم الإلهي إلى الله تعالى كناية عن التحذير؛ لأن من علم بالشيء جازى عليه، فهو تعبير بالسبب عن المسبب"(١).

والقرينة الداخلية الصارفة عن إرادة المعنى الحقيقي هي اقتران العلم بصيغة المضارع التي تفيد التجدد، وعلم الله لا يتجدد وإنما المتجدد هو التعلُّق وهو المجازاة لتجدد الوصفين، وهما: المفسد والمصلح ، يقول الإمام أبو حيان:" وجاء الخبر هنا بالفعل المقتضي للتجدد وإن كان علم الله لا يتجدد؛ لأنه قصد به العقاب والثواب للمفسد والمصلح، وهما وصفان يتجددان من الموصوف بهما فتكرر ترتيب الجزاء عليهما لتكررهما"(٢) .

وجاء العلم هنا بمعنى المعرفة باعتبار التعدي إلى مفعول واحد، وضمنت المعرفة هنا معنى التمييز باعتبار معنوى وهو أنه طريقها، حيث إن التمييز يكون بالعقل ، وباعتبارآخر لفظي، وهو وجود (من) التي للتمييز، على تضمين مايتعدى بـ(من) معنى التمييز، يقول الإمام أبو السعود:" والعلم هنا بمعنى المعرفة المتعدية إلى واحد و(من) لتضمنه معنى التمييز"(٣)، والمعنى: والله يميز بعلمه بين المفسد والمصلح(٤)، والتمييز في حق الله محال؛ لأنه استعمال العقل بالنظر والفكر...، يقول الإمام أبو هلال العسكري:" إنما لم يسم علمه تمييزا؛ لأن التمييز فينا هو استعمال العقل بالنظر والفكر اللذين يؤديان إلى تمييز المعلومات، فلم يمتنع أن توصف معلوماته بأنها مميزة، وإن كان لا يوصف بأنه

(١) البحر المحيط(٢/ ٤١٣).
(٢) السابق نفسه.
(٣) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٢٠).
(٤) البحر المحيط (٢/ ٤١٢).

مميز؛ لأن ذلك صفة لها لا له، والمعرفة بها تفيد ذلك فيها لا فيه، فكل معرفة علم وليس كل علم معرفة"[١]

إذن المعرفة هنا عقلية وتتم بالنظر، والفكر وهما طريقا المعرفة العقلية (التمييز)، ومعنى ذلك أن للحواس دورًا مع العقل في المعرفة، حيث إنها تقدم للعقل صورة الواقع الخارجي ثم بعد ذلك يقوم العقل بتمييزها تمييزًا أوليًّا، أي: يلتقط لها صورة في الذهن دون صدور حكم لها، وهذا هو التصور وهو أحد أقسام العلم ، ثم بعد ذلك يحللها، أي: يصدر لها حكما وهذا هو التصديق، وبهذا يفترق الإنسان عن الحيوان[٢].

مما سبق نستنتج أن:

العلم هنا ليس بمعناه الحقيقي وإنما كني به عن المجازاة، فهو تعبير بالسبب عن المسبب.

و عرف العلم هنا بالمعرفة لتعديه إلى مفعول واحد، وطريقها العقل لذا ضمن معنى التمييز، ووسيلتها هي الحواس (العلم المشاهد)ودرجتها التصديق .

ومما جاء بصيغة المضارع قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ (النحل: ١٠٣).

سبب نزولها:

ذكر الإمام الحميداني أن سبب نزول هذه الآية ماروي عن عبد الله بن مسلم، قال:كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عَيْنِ التَّمر، اسم أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كُتُبا لهما بلسانهما، وكان رسول الله (ﷺ) يمرّ بهما

(١) الفروق اللغوية (١/ ٨٠).

(٢) ينظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة د/ راجح الكردي صـ ٦٢٥.

فيسمع قراءتهما، وكان المشركون يقولون: إن محمدًا (ﷺ) يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى مكذبا لهم فقال تعالى:" ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣)[١].

واختلف المفسرون في اسم هذا الأعجمي على تسعة أقول ذكرها الإمام ابن الجوزي[٢]ولا فائدة من تعدادها كما قال الإمام الرازي، حيث قال:" ...وبالجملة فلا فائدة من تعديد هذه الأسماء، والحاصل أن القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يظهرها من نفسه، ويزعم أنه إنما عرفها بالوحي وهو كاذب"[٣].

الشاهد في هذه الآية ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ﴾، لونظرنا إلى سياق الآية سنجد أن العلم هنا مضاف إلى الضمير العائد على اسم الجلالة وهو (نعلم نحن) فالمقصود به هنا هو العلم الإلهي، وجاء لفظ العلم على صيغة الزمن المضارع الدالة على التجدد والاستمرار ، وعلم الله أزلي يستحيل عليه الحدوث، ولكن المقصود بالتجدد والاستمرار هنا متعلق علمه- سبحانه وتعالى- لاعلمه الأزلي القديم، وهو استمراريتهم على هذه الفرية واستمرار حزن الرسول (ﷺ) لذلك، يقول الإمام أبو السعود:" وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددي في متعلَّقه، فإنهم مستمرون على تفوه تلك الفرية العظيمة"[٤]؛ لذا جاءت متعلقات الفعل في السياق القرآني على صيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار، وهي (يحزنك)، (يقولون)، (يعلمه)، (يلحدون) وهي متعلقات الفعل، فحزن الرسول (ﷺ) مستمر باستمرار هذه الفرية، وهذا الادعاء من أشد ما يكون حزنا على قلب المصطفى (ﷺ) .

---

(١) ينظر:أسباب النزول للحميداني (١/ ٢٨١).

(٢) ينظر: زاد المسير (٢/ ٥٨٤).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢٧١).

(٤) إرشاد العقل السليم (٥/ ١٤١).

وأكده السياق المقالي بـ (اللام) الواقعة في جواب القسم ، التي تصور هذا الحزن الشديد الذي ملأ قلب الحبيب محمد (ﷺ)؛ ولذا تخلص العلم للاستمرارية بواسطة حرف النون في (نعلم) المتضمنة معنى الحضور دون الياء الدالة على الغيبة، استحضارا لعظمته -جل وعلا -وإشعارًا لحبيبه (ﷺ) بمدى القرب، والمحبة والعناية والرعاية له، وتسلية لقلبه (ﷺ) كما قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢) .

وجاء في المتعلقات الأخرى (يقولون ، يعلمه، يلحدون) بضمير الغائب دلالة على غرابة قولهم وبعد مكانتهم من الإيمان، فهم مستمرون على تلك الفريةو ليس ذلك فحسب، بل يعملون على إشاعتها وترويجها على ألسنة العامة، فاهتمامهم ليس بالفرية وحدها بل وإشاعتها؛ لتضليل الناس، مما يدل على أن هذا الادعاء كان من زعماء المشركين؛ لذا جاء الخبر مؤكدا بلام القسم و(قد) التي تفيد التحقيق وصيغة الزمن المضارع المفيدة للتجدد والاستمرار، كل هذا يدل على أن الإضلال غايتهم كما قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (النجم: ٣٠)، يقول الإمام ابن عاشور:" وافتتاح الجملة بالتأكيد بلام القسم و (قد) يشير إلى أن خاصة المشركين كانوا يقولون ذلك لعامتهم... فاتخذ زعماء المشركين من ذلك تمويها على العامة، فإن معظم أهل مكة، فكانوا يحسبون من يتلو كلمات يحفظها ولو محرفة أو يكتب حروفا يتعلمها يحسبونه على علم[١]، والتأكيد كما أنه مظنة عدم التصديق[٢] فهو يفيد هنا أيضا تأكيد الوعيد لهم وهو ا يفيده علم الله، يقول : الإمام أبو السعود:" وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد"[٣]، لذا تكفل المولي -سبحانه وتعالى-بالرد عليهم تسلية

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٨٦).

(٢) زهرة التفاسير (٨/ ٤٢٧٢).

(٣) إرشاد العقل السليم (٥/ ١٤١).

لحبيبه (ﷺ)، وتكذيبًا لهم وإلزاما للحجة عليهم، فقال قولا فصلا ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣) أي يعلمه عبد رومي لا يكاد يبين، وهذا القرآن فصيح عربي معجز[١]، وهذا إظهار لكذبهم وقبحهم وقبح ادعائهم فكأنهم مسلوبو التمييز، حيث إنكم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان عجزتم عن أن تأتوا بآية من مثله، فكيف لعبد رومي أعجمي أن يأتي بهذا القرآن؟!

فجعل –سبحانه وتعالى– تكذيبهم في قولهم ومن قولهم، واستمرارهم عليه فيه استمرارية لكشف كذبهم، وهذا ألزم بالحجة عليهم.

مما سبق يتضح لنا:

أن المراد بالعلم هنا هو العلم الإلهي، وتضمن هذا العلم ا وهو المجازاة، ومجيئه على صيغة الفعل المضارع لا لتجدد علم الله بل لتجدد واستمرار متعلقه، ولذاجاء السياق القرآني بمتعلق العلم على صيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار، دلالة على استمرار هذه الفرية على ألسنتهم والعمل على إشاعتها بين العامة، وفي الاستمرار استمرار لكذبهم وإلزام للحجة عليهم، وأكده السياق المقالي بفنون التأكيد من القسم و(قد) المفيدة للتحقيق، وهذا يفيد أيضا ا للعلم وهو المجازة بالوعيد، والتأكيد تأكيد للمجازاة.

(١)التحرير والتنوير (١٤/ ٢٨٦).

ومما جاء بصيغة المضارع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦).

سبب النزول:

ذكر المفسرون[١] أن هذه الآية جاءت لتقيم الحجج على الكفار في إنكارهم البعث والجزاء، حيث قالوا: قال تعالى:﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ (ق: ٣) فيقول -جل ثناؤه-: أفعيينا بابتداع الخلق الأول الذي خلقنا، ولم يكن شيئا، فنعيا بإعادتهم خلقا جديدًا بعد بلائهم في التراب وفنائهم؟ فليس يعيينا بل نحن قادرون.

ثم يبين -سبحانه وتعالى- بعض القدرة الإلهية من خلقه للإنسان وإحاطة علمه سبحانه وتعالى-بما يخطر بباله ويهجس في ضميره من حديث النفس، فالوسوسة هي الصوت الخفي، يقول الإمام النسفي:" الوسوسة: الصوت الخفي، ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس"[٢]

((**فالشاهد هنا**)) " ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ ، فالمقصود بالعلم هنا هو العلم الإلهي، وجاء بصيغة المضارع الدالة على التجدد لا لتجدد علمه سبحانه وتعالى بل لتجدد متعلقه، وهو الوسوسة؛ لذا جيء بها هنا أيضا على نفس الصيغة، يقول الإمام ابن عاشور:" والإخبار عن فعل الخلق بصيغة الماضي ظاهر، وأما الإخبار عن علم ما توسوس به النفس بصيغة المضارع، فللدلالة على أن تعلق علمه بالوسوسة متجدد غير منتقض، ولا محدود ولإثبات عموم

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٣٤٠)، فتح القدير للشوكاني(٥/ ٨٨)، المحرر الوجيز (١٥٩/٥).

(٢) مدارك التنزيل (٣/ ٣٦٤).

علم الله تعالى"[١]

فعلمه – سبحانه وتعالى– محيط بما كان وما يكون وما هو كائن، فهو سبحانه وتعالى– كما يعلم حال الإنسان قبل خلقه بعلمه القديم، يعلم حاله كذلك علما فعليا بعد خلقه، يقول الشيخ إسماعيل حقي:" وفيه إشارة إلى أن الله – تعالى– كما يعلم حال الإنسان قبل خلقه علما ثبوتيًا، كذلك يعلمه بعد خلقه علما فعليا، ودخل فيه ما توسوس به نفسه"[٢]،وفائدة إخبار علمه –سبحانه وتعالى – بما توسوس به نفس الإنسان دلالة على شمول وإحاطة وسعة علمه –سبحانه وتعالى– يقول الإمام ابن عاشور:"وفائدة الإخبار بأن الله يعلم ما توسوس به نفس كل إنسان، التنبيه على سعة علم الله– تعالى– بأحوالهم كلها، فإذا كان يعلم حديث النفس، فلا عجب أن يعلم ما تنقص الأرض منهم"[٣]؛ لذا كني بالعلم هنا عن المحاسبة والتحذير من فعل مالا يرضي الله فإذا كان الله –سبحانه وتعالى– عالمًا بأحوالهم فسيحاسبهم عليها، وفيه ما فيه من الإنذار والوعيد، فإنه ليس هناك واعظ ولا زاجر أعظم من العلم، يقول الإمام الشنقيطي:" فعلى الإنسان أن يعلم أن هذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم، أن ربه يسمع ما يقول، ويعلم ما ينوي وما يفعل، إذا علم الإنسان هذا فإنه يُحاسب ويطيع ربه"[٤].

وأكد السياق القرآني العلم بـ(اللام) القسم، و(قد) المفيدة للتحقيق، لا باعتبار علمه –سبحانه– بل باعتبار متعلقة وهو الوسوسة، يقول الإمام ابن عاشور:" وتأكيد هذا الخبر بـ(اللام)، و (قد)مراعى فيه المتعاطفات، وهي ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ﴾؛ لأنهم وإن كانوا يعلمون أن الله خلق الإنسان، فإنهم لا

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٠).
(٢) روح المعاني (١١٢/٩).
(٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٩٩).
(٤) العذب المنير (٢/ ١٩٢).

يعلمون أن الله عالم بأحوالهم"[١].

ونجد أن (العلم) هنا تخلص للاستقبال بواسطة حرف المضارعة (النون) المفيد للحضور دون غيره، لبيان مدى قربه سبحانه من الإنسان ، وإظهارًا لكمال علمه؛ لذا عبر سبحانه عن هذا القرب المعنوي بصورة محسوسة مشاهدة لنا جميعا، وهي قوله تعالى :﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وهي جملة حالية من ضمير (نعلم) وهي تفيد تحقيق استمرارية العلم[٢]، يقول الإمام الرازي:" والوريد: العرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه، ويصل إلى كل أجزاء البدن، والله – سبحانه– أقرب من ذلك بعلمه؛ لأن العرق تحجبه أجزاء اللحم، ويخفى عنه، وعلم الله تعالى لا يحجب عنه شيء"[٣].

وتجوز سبحانه وتعالى عن قرب الذات بقرب العلم؛ تنزيها له –سبحانه– عن القرب المكاني، حيث إن القرب دلالة على العلم، يقول الإمام القاسمي :" تجوز سبحانه عن قرب الذات بقرب العلم؛ لتنزهه عن القرب المكاني إما تمثيلاً، وإما من إطلاق السبب وإرادة المسبب؛ لأن القرب من الشيء سبب للعلم به وبأحواله في العادة"[٤].

وعليه فالعلم هنا بمعنى المحاسبة وتأكيده دليل على تأكيدها.

---

(١)التحرير والتنوير (٢٦/ ١٩٩).

(٢)ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٠).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٣٤).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي(٩/ ١١).

ثانياً: العلم الإنساني :

ومما جاء منه على صيغة المضارع قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ﴾ (الحج: ٥).

سبب النزول:

نزلت هذه الآية ردًا على المجادلين للحشر والمعاد، وهو أبو جهل، وقيل: أبي بن خلف والنضر بن الحارث؛ حيث كانوا يقولون جدالا: الملاكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، فذكر الله لهم أدلة واضحة على كما قدرته –سبحانه وتعالى– ومن هذه الأدلة والأمثلة ذكره مراحل خلق الإنسان وأطوار حياته في الدنيا، فبين سبحانه أن القادر على هذه المناقل المتقن لها، قادر على إعادة تلك الأجسام التي أوجدها بهذه المناقل إلى حالها الأولى[(١)].

الشاهد: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا ﴾

ذكر المفسرون أن المراد بالعلم في هذه الآية العقل، والمعنى: ليكلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا"[(٢)]، يقول الإمام الطبري:" ومنكم أيها الناس من ينسأ في أجله، فيعمر حتى يهرم، فيرد من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده إلى أرذل العمر، وذلك الهرم حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٨٣)، المحرر الوجيز (٤/١٠٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٥٧٠)، بحر العلوم (٢/ ٤٤٩)، مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٠٥).

الأول شيئا"[١].

وعبر سبحانه وتعالى بالعلم وأراد العقل ؛ لأن تحصيل العلوم لا يتم إلا عن طريق العقل الذي به يقع التمييز، فهو وسيلة من وسائل العلم، وليس المراد من نفي العلم هنا نفي العقل تماما، فيصر الإنسان بدون عقل، وإنما المراد أن يصير نَسَّاءً بحيث إذا كسب علما في شيء سرعان أن يزول عنه وينسا؛ وذلك نتيجة لضعف البنية، وقلة الفهم، يقول الإمام الزمخشري:" وأرذل العمر: الهرم والخرف، حتي يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم ... ليصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزول عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك: من هذا؟ فتقول : فلان، فلا يلبس لحظة إلا سألك عنه"[٢].

وعبر السياق القرآني عن ذلك بلفظ المضارع (يعلم) لتجدد واستمرار ذلك باستمرار بقائه في الحياة بعد الهرم.

مما سبق يتضح أن المراد من العلم في السياق القرآني العقل، فبر السياق القرآني بالحال وأراد المحل، فالعقل محل العلوم؛ لأن به يقع التمييز الذي فضل الإنسان على سائر المخلوقات.

٣- معاني (فعّل)

يأتي التضعيف في كثير من الكلمات نتيجة لوضعها في سياق معين، يتطلب الزيادة في معناها كالمبالغة والقوة والتكثير

تأتي صيغة (فعّل) لمعان متعددة، فتأتي للتكثير غالبا نحو (غلقت الأبواب)، وتأتي للتعدية مثل (فرّحْتُه)، وللسلب نحو (جلّدته) وغير ذلك من

(١) جامع البيان (١١٨/ ٥٧٠).
(٢) الكشاف (٣/ ١٤٥).

المعاني التي ذكرها علماء اللغة، فلتُنظر في مظانها[1]وبالتأمل في الآيات التي جاء فيها لفظ العلم على هذه الصيغة، وجدناها تدل على المعاني الآتية:

أولا: **السببية** (**التعدية**)

ومما ورد من ذلك قوله تعالى:ـ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ **(البقرة: ٣١)**.

سبب النزول:

لما أخبر الله سبحانه وتعالى عن وجه الحكمة في خلق آدم عليه السلام وذريته على سبيل الإجمال، أراد أن يفصل للملائكة، فبين لهم من فضل آدم ما لم يكن معلوما لهم، وذلك بأن علمه الأسماء؛ ليظهر فضله وقصورهم عنه في العلم[2].

وهذه الآية توقفنا على مصدر المعرفة الإنسانية الأولى، وكيفيتها، حيث علّم الله آدم أبا البشر المعرفة الأولى.

الشاهد: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾ماالمراد بالعلم في هذه الآية؟ وما كيفيته؟؟

أولا: المراد بالعلم: ذهب الإمام القرطبي إلى أن المراد بالعلم في هذه الآية المعرفة، حيث قال:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ، أي: عرّف"[3] ، وهذا يدل على أن التضعيف فيها جاء لمعنى التعدية، كما ذهب إليه بعض النحويين، وقد صرح بعض المفسرين[4] بأن التضعيف فيهاللتعدية، وأن التعدية بالتضعيف غير

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٤٣٩)، شرح شافية ابن الحاجب للرضي (١/٩٢).
(٢) ينظر : تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٩).
(٤) البحر المحيط (١/ ٢٣٤)، وينظر: روح المعاني (١/ ٢٢٧).

مقيسة ، يقول الإمام أبو حيان: " والتضعيف في (علّم) للتعدية؛ إذ كان قبل التضعيف، يتعدى لواحد، فعدي به إلى الاثنين، وليست التعدية بالتضعيف مقيسة، إنما يقتصر فيه على مورد السماع، سواء كان الفعل قبل التضعيف لازما أم كان متعديًا، نحو: (عَلِم) المتعدية إلى واحد"(١).

والمراد من التعدية دلاليا، هو معنى السببية، وهو معنى أشار إليه الإمام البيضاوي بقوله:"والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا؛ لذا يقال : علمته فلم يتعلم"(٢)، وعبر الإمام ابن عاشور عن معنى السببية بقوله:" ... والتعليم مصدر علّمه، إذا جعله ذا علم"(٣).

فالتعليم هنا بمعنى المعرفة، ولا يجوز إطلاق اسم (معلم) على الله؛ لأنه مشعر بنوع نقيصة، يقول الإمام الرازي:" واعلم أنه لا يجوز أن يقال: إن الله معلم مع كثرة هذه الألفاظ؛ لأن لفظ المعلم مشعر بنوع نقيصة"(٤).

وقال في موطن آخر:" لا يقتضي وصف الله تعالى بأنه معلم؛ لأنه حصل في هذه اللفظة تعارف على وجه لا يجوز إطلاقه عليه، وهو من يحترف التعليم والتلقين... ولولا هذا التعارف لحسن إطلاقه عليه، بل كان يجب أن لا يستعمل إلا فيه تعالى؛ لأن المعلم هو الذي يحصل العلم في غيره، ولا قدرة على ذلك لأحد إلا الله"(٥).

ثانيا: **أما عن كيفية التعليم**، فقد اختلف العلماء فيها؛ نظرًا لأن مصدر هذه المعرفة هو الخالق –سبحانه وتعالى– لكن كيف علّم آدم؟ هل لقنه العلم،

---

(١) البحر المحيط (١/ ٢٣٤).
(٢) أنوار التنزيل (٦٩/١)
(٣) التحرير والتنوير(١/ ٤١١).
(٤) مفاتيح الغيب (١/ ١٣١).
(٥) السابق (٢/ ٤٢٤).

أو كان بطريق إلقاء علم ضروري في نفسه بأن ألهمه أسماء كل شيء، أو بوحي؟

وقد عرض الإمام أبو حيان لهذا السؤال، فقال:"هل التعليم بتكليم الله تعالى له في السماء، كما كلم موسى (عليه السلام)، أم بواسطة ملك، إم بالإلهام؟"(١).

وقد أجاب الإمام الأصفهاني عن هذا السؤال، فذكر أن مكالمة الله للبشر تكون عن هذه الطرق الثلاثة جميعا، حيث قال:" الدلالة على أن المسألة أن تعليم الله علي أي وجه يكون، فالقول في ذلك قد أشار إليه المولى سبحانه وتعالى بقوله:﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى: ٥١) ، وأشرف هذه الوجوه ما كان بإرسال رسول يرى ذاته ويسمع كلامه، كما حدث ذلك مع النبي (ﷺ) وجبريل (عليه السلام)، والثاني: ما كان بإلقاء الكلام في السمع من غير رؤية كحال موسى – عليه السلام- في ابتداء أمره، والثالث: ما كان بوحي، والوحي ههنا مخصوص بالإلقاء في الروع، والإلهام، والتسخير، والمنامات"(٢).

بينما ذهب بعض المفسرين(٣) إلى أن تعليم الله لآدم عليه السلام، إما بطريق التلقين، وذلك بعرض المسمى عليه، فإذا رآه لقن اسمه، أو أن الله تعالى علمه بطريق التعليم، وذلك بإلقاء علم ضروري في نفسه، بأن ألهمه وضع الأسماء لمسمياتها، يقول الإمام ابن عاشور:" وتعليم الله آدم الأسماء، إما بطريق التلقين، بعرض المسمى عليه، فإذا أراه لقن اسمه بصوت مخلوق يسمعه، فيعلم أن ذلك اللفظ دلّ على تلك الذات بعلم ضروري، أو يكون التعليم

(١) البحر المحيط (١/ ٢٣٤).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني صـ ١٤٣.

(٣) إرشاد العقل السليم (١/ ٨٤)، روح المعاني (١/ ٢٢٦)، والتحرير والتنوير(١/ ٤١٠).

بإلقاء علم ضروري في نفس آدم بحيث يخطر في ذهنه اسم الشيء عندما يعرض له، فيضع له اسم بأن ألهمه وضع الأسماء للأشياء؛ ليمكنه أن يفيدها غيره، وذلك بأن خلق قوة النطق فيه، وجعله قادرًا على وضع اللغة"(١).

ورجح الإمام أبو حيان أن يكون التعليم بطريق التلقين، فقال: " وأظهرها أن الباري –تعالى –هو المعلم لا بواسطة ولا إلهام"(٢)، ورد صاحب روح البيان القول بأن التعليم حدث بواسطة ملك كما ذهب إليه بعض المفسرين(٣)، يقول الشيخ إسماعيل حقي:" والقول بأن التعليم على ظاهره، وكان بواسطة ملك غير داخل في عموم الخطاب، بقوله﴿ أَنۢبِـُٔونِي ﴾مما لا أرتضيه اللهم إلا إن صح خبر في ذلك"(٤) .

مما سبق يتضح:

١- أن أصل العلم الإنساني رباني من عند الله، وذلك بتعليمه لأبي البشر آدم (عليه السلام).

٢- أن العلم هنا بمعنى المعرفة.

٣- أن طريق المعرفة إما أن يكون تلقينًا أو إلهامًا علمه ضرورة أو وحيًا.

٤- أما عن وسيلة المعرفة فهي إما أن تكون وقعت بالحس لمن ذهب إلى القول بالتلقين، أو بالعقل لمن ذهب إلى ضرورة علمه بالإلهام، أو بالوحي لمن قال: إن التعليم كان بواسطة ملك، وكلها جميعل وسائل العلم الإنساني.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤١٠).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٣٤).

(٣)الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٩).

(٤) روح المعاني (١/ ٢٢٧).

٥- أما عن درجة المعرفة، فهي يقينية؛ لأن مصدرها الخالق -سبحانه وتعالى-.

ومما ورد من ذلك أيضا، قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ﴾(الرحمن: ١-٢)

سبب نزولها

ذكر المفسرون في سبب نزولها قولين، **الأول**: رواية عن مقاتل، حيث قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ (الفرقان: ٦٠) ، قال كفار مكة: وما الرحمن؟ فقال تعالى:" الرحمن" الذي أنكرتموه هو الذي (علّم القرآن)، **والقول الثاني**: قيل: نزلت جوابا لكفار مكة، حين قالوا" ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ (النحل:١٠٣) ، فكذبهم الله تعالى، وقال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ (الرحمن: ١ - ٢) "(١).

((**الشاهد**)) :﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فما معنى التعليم في هذه الآية، ومن المقصود بالتعليم، ومن المعلم؟

ذكر الإمام السمين الحلبي أن علّم بمعنى عرّف[٢]، وعلى ذلك فالتضعيف فيها للتعدية، يقول الإمام أبو حيان:" وعلّم: متعدية إلى اثنين حذف أولهما لدلالة المعنى عليه وهو جبريل أو محمد (ﷺ)أو الإنسان، أقوال ... والمفعول الأول هو الذي كان فاعلا قبل النقل بالتضعيف"[٣]، بينما حمل بعض المفسرين[٤] التضعيف هنا على معنيين: الأول: التعدية كما ذكر أبو حيان، والآخر: معنى

(١) ينظر: الكشف والبيان (٩/ ١٧٧)، زاد المسير (٤/ ٢٠٥)، البحر المحيط (١٠/ ٥٤).
(٢) الدر المصون للسمين (١٠/ ١٥٣).
(٣) البحر المحيط (١٠/ ٥٥).
(٤) جامع البيان (٧/ ١٥٢)، زاد المسير (٤/ ٢٠٥)، مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٣٧)،

الصيرورة، يقول الإمام السمين الحلبي:" علّم: عرف، وفيها وجهان، الأول:أنها علّم المتعدية إلى اثنين، أي: عرّف من التعليم، والمفعول الأول تقديره: علّم جبريل القرآن، وقيل : محمد، وقيل : الإنسان، والثاني: أنها من العلامة، فالمعنى: جعله علامة، وآية يعتنى بها"(١) .

وعلى القول بأن التضعيف للتعدية، فيكون معنى التعليم تحصيل العلم، يقول الإمام ابن عاشور:" وفعل (علّم) إذا ضعف كان بمعنى تحصيل العلم، بخلاف إذا عدي بالهمزة فإنه يكون لتحصيل الأخبار والأنباء"(٢)، فالتحصيل ناتج عن العلم، ففيه معنى السببية، وهذا المعنى عبر عنه الإمام الرازي بقوله:" فإذا قيل: ما معنى التعليم؟ نقول: على أن له مفعول ثان: إفادة العلم به"(٣)، وعلى هذا فالتعدية حملت التعليم على المعنى الحقيقي، بينما الصيرورة تجعله على وجه المجاز، يقول الإمام الرازي:" ... وفيه احتمال آخر، وهو أنه جعله بحيث يُعلّم، فهو كقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ٢٢) ، والتعليم على هذا الوجه مجاز"(٤).

واستبعد الإمام أبو حيان هذا الوجه، فقال: " وأبعد من ذهب إلى أن معنى (علَّم القرآن) جعله علامة وآية يعتبر بها، وهذه جمل مترادفة من أخبار كلها عن الرحمن جعلت مستقلة لم تعطف؛ إذ هي تعداد لنعمه تعالى"(٥).

والأولى بالقبول هنا حمل التضعيف في (علّم) على معنى التعدية؛ لما نقل عن العلماء بأن التضعيف في (علّم) لا يأتي إلا للتعدية، ومراعاة لسياق الآية

---

(١) الدر المصون (١٠/ ١٥٣).
(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣١).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٣٧).
(٤)السابق نفسه.
(٥) البحر المحيط (١٠/ ٥٥).

الكريمة؛ لأن التعليم لا بد أن يكون له متعلق وفاعل للتعلق، ففاعل العلم(هو الله)، ومتعلق العلم هو المعلوم والمعلوم به، وهذا المعنى لا يأتي مع الصيرورة، يقول الإمام ابن عاشور:" وهذا الفعل هنا معدى إلى مفعولين فقط؛ لأنه ورد على أصل ما يفيده التضعيف من زيادة مفعول آخر مع فاعل فعله المجرد، وهذا المفعول هنا يصلح أن يتعلق به التعليم إذ هو اسم لشيء متعلِّق به التعليم، وهو القرآن"(١).

مما سبق نستطيع أن نحدد درجة العلم الإنساني هنا من خلال مصدره وطريقه، فنقول:

العلم هنا بمعنى المعرفة، ومصدر العلم هنا هو الله- سبحانه وتعالى- وطريقه إذا كان المتعلم سيدنا آدم إما أن يكون تلقين أو إلهام ضرورة أو حيًا كما مر في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١)، وإذا كان المتعلم سيدنا محمد (ﷺ)، فطريقة الوحي بإرسال رسول وهو جبريل السماء (عليه السلام)، وإن كان المتعلم الإنسان عامة ليس تحديد فنخصص الإنسان هنا بأمة سيدنامحمدًا (ﷺ)، فيكون المعنى (علّم محمد القرآن، وعلّمه محمد أمته)(٢) فالمعلِم الأول وهو سيدنا محمد (ﷺ) علم بالوحي، علمه مكتسب وعليه يكون طريق التعليم العلم النظري السمعي، وطريقه: العقل والحواس، وعلى كل فالعلم الإنساني هنا يكون في أعلى درجات العلم والمعرفة الإنسانية؛ لأن مصدره الخالق – سبحانه- ولذا فهو علم يقيني.

(١) التحرير والتنوير(٢٧/ ٢٣٢).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٠٥).

ثانياً: التكثير والمبالغة

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (المائدة: ٤)

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية فيما روى عن رافع، قال : جاء جبريل إلى النبي (ﷺ) يستأذن عليه، فأذن له، فقال: قد أذنا لك يا رسول الله، قال: أجل، ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب، قال أبو رافع: فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها، ثم جئت إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته، فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته، قال: فسكت رسول الله(ﷺ) ، فأنزل الله الآية [١].

وقيل: نزلت في (عدي بن حاتم الطائي) قال : قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب والبزاة فما يحل لنا منها؟ فقال (ﷺ): ما علمت من كلب أو بازي ثم أرسلته، وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك، فقلت: وإن قتله، قال: وإن قتله ولم يأكل منه، فإنما أمسك عليك، وإن أكل منه شيئا فلا تأكل فإنما أمسك علي نفسه، ونزلت هذه الآية[٢]،أي أحل لكم الطيبات من الذبائح، وصيد ما علمتم من الجوارح، وهن الكواسب من سباع البهائم[٣]..

---

(١) ينظر: جامع البيان (٩/ ٥٤٥)، بحر العلوم (١/ ٣٧٠)، زاد المسير (١/ ٥١٤).

(٢)ينظر: بحر العلوم (١/ ٣٧٠) .

(٣)ينظر: جامع البيان (٩/ ٥٤٥).

الشاهد ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾، أي تؤدبونهن مما أدبكم الله[١] ، وهنا نجد التأديب مرة مسندًا إلى البشر ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ ، ومرة إلى الله سبحانه وتعالى ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، وفرق ما بين تعليم الله سبحانه وتعالى وتعليم البشر، وقد نص الإمام الرازي على كيفية التأديب في قوله تعالى ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ فقال:" والكلب لا يصير معلما إلا عند أمور، وهي: إذا أرسل استرسل، وإذا أخذ حبس ولا يأكل منه، وإذا دعاه أجابه، فإذا فعل ذلك مرات فهو معلم، وقيل: يصير معلما بمرة واحدة، وقيل: يصير معلما بتكرار ذلك مرتين، وقيل : بثلاث مرات"[٢].

يفهم من كلام الإمام الرازي أن التضعيف في (فعّل) جاء هنا للتكثير والمبالغة في التعليم؛ لأنه لا يحدث مرة واحدة بل أكثر من مرة، وقد نص على ذلك ، فقال:" ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ حال، والمقصود منه المبالغة في اشتراط التعليم"[٣]، وتعليمها يكون بإدراك ما وشعور، بحيث يقبلن الائتمار والانزجار[٤].

أما التضعيف في قوله ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فالتضعيف فيها ليس للمبالغة، لأن تعليم الله للبشر لا يخضع للمبالغة، وإنما المقصود بالتضعيف السببية، والمعنى تعلمونهن بسبب تعليم الله لكم من الحيل وطرق التأديب، وعليه فطريق تعليم الله لهم يكون بطريق الفيض والإلهام ، يقول الإمام الثعلبي:" مما علمكم الله من الحيل وطرق التأديب، فإن العلم بها إلهام من الله تعالى"[٥]، أو أن تعليم الله لهم مكتسب عن طريق العقل الذي هو منحة من الله، يقول الإمام

(١) زاد المسير (١/ ٥١٦).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٢٩١).
(٣) السابق نفسه.
(٤)ينظر: البحر المحيط(٤/ ١٨٠).
(٥) أنوار التنزيل (٢/ ١١٥).

أبو حيان:" ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: إن تعليمكم إياهن ليس من قبل أنفسكم إنما هو من العلم الذي علمكم الله، وهو أن جعل لكم رواية وفكرًا بحيث قبلتم العلم"(١).

مما سبق يتضح لنا أن هناك فرقًا بين تعليم الله للبشر وتعليم البشر لغيرهم، فتعليم الله لهم يكون بطريق الوحي للأنبياء و الفيض والإلهام لهم ولغيرهم، أما تعليم البشر لغيرهم فيكون بصبر ومثابرة وتكرار ومبالغة في التعليم وتكثير فيه، كما هو معنا في قوله ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾، والتعليم في هذا السياق بمعنى الإدراك والشعور، كما ذكر الإمام أبو حيان.

(١) البحر المحيط (٤/ ١٨٠)

ثانياً: صيـــغ الأسماء:

١- المصدر:

المصدر : اسم يدل على الحدث مجردا من الزمان، فهو يدل على وقوع الحدث دون أن يقيد بزمن ماض أو حاضر أ مستقبل[١]، وقد آثر السياق القرآني في بعض المواضع استخدام المصدر من العلم، وكان لهذا الاستخدام دلالات، فمن صيغ العلم التي جاءت على وزن المصدر ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ (البقرة: ١٤٥).

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية، أن يهود المدينة ونصارى نجران قالوا للرسول (ﷺ): ائتنا بآية كما أتي الأنبياء من قبلك تدل على صدق ما تقول من تحويل القبلة نحو المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية، والمعنى: ولئن التمست يا محمد رضا هؤلاء اليهود والنصارى، الذين قالوا لك ولأصحابك: " كونوا هودًا أونصارى" فاتبعت قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم الإلهي إن فعلت فإنك إذا لمن الظالمين[٢].

((**الشاهد**)) ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

ذكر الإمام السمرقندي أن المراد بالعلم هو (البيان)، يقول:" من بعد ما جاءك من العلم"أي: البيان أن دين الإسلام هو الحق، والكعبة هي القبلة"[٣]،

---

(١) تصريف الأسماء صـ ١٣٠.

(٢) ينظر: جامع البيان (٣/ ١٨٦)، زاد المسير (١/١٣١)، مفاتيح الغيب (٤/ ١٠٨).

(٣) بحر العلوم (١/ ١٠١).

وعبر الإمام النسفي عنه بالبرهان، فقال:" ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ ﴾ أي: من بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هي الكعبة، وأن دين الله هو الإسلام"(١)، والبيان والبرهان هما الآيات والدلائل والمعجزات كما ذكر الإمام الرازي، ونص على لطيفة جميلة، وهي أن هذه الدلائل والمعجزات هي طريق العلم، وليست كل العلم، وأطلق العلم عليها من باب إطلاق الأثر على المؤثر، فقال:" ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ ﴾ إنه تعالى لم يرد بذلك نفس العلم جاءك، بل المراد الدلائل والآيات والمعجزات؛ لأن ذلك من طرق العلم؛ فيكون من باب إطلاق اسم الأثر على المؤثر"(٢).

وقد آثر السياق المقامي هنا صيغة المصدر دون غيرها من الصيغ مبالغة في شأن هذه الدلائل والمعجزات، وفي شأن المعلوم بها، يقول الإمام أبو حيان:" وسميت تلك الدلائل علما مبالغة وتعظيما، وتنبيها على أن العلم من أعظم المخلوقات شرفا ومرتبة"(٣).

ونص الإمام الطبري على مصدر هذا العلم هو الخالق –سبحانه وتعالى – فقال:" ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ ﴾ أي: من بعد ما وصل إليك من العلم بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل وعلى عناد منهم للحق، ومعرفة منهم أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة التي فرضت على أبيك إبراهيم –عليه السلام– وسائر ولده من بعده من الرسل"(٤)، كما أشار الإمام ابن عاشور إلى درجة هذا العلم وهي (اليقين) وهي أعلى درجات العلم؛ لأنها عن طريق الوحي

---

(١) مدارك التنزيل (١/ ١٤٠).
(٢) مفاتيح الغيب(٤/ ١١٠).
(٣) البحر المحيط (٢/ ٣٠).
(٤)جامع البيان (٣/ ١٨٦).

الإلهي، فقال:" والتعبير بـ (العلم) هنا عن الوحي واليقين الإلهي، إعلان بتنويه شأن العلم، ولفت لعقول هذه الأمة إليه لما يتكرر من لفظه على أسماعهم"[1]

مما سبق يتضح أن:

المراد بالعلم هنا: البرهان والبيان، وطريقه: هو الدلائل والمعجزات التي جاءت إلى النبي (ﷺ) بالوحي الإلهي ، ودرجته: اليقين، وهي أعلى درجات العلم.

ومما ورد بصيغة المصدر أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

سبب النزول:

ذكر في سبب نزول هذه الآية أن كفار بني إسرائيل قهروا مؤمنيهم، فقتلوهم وسبوهم وأخرجوهم من ديارهم، فطلب المسلمون من نبيهم أشمويل ابن هلقان – عليه السلام– أن يدع الله تعالى لهم أن يبعث لهم ملكا، فقال لهم نبيهم أشمويل : إن لله قد أعطاكم ما سألتم وبعث لكم طالوت ملكا، فاستبعد القوم أن يكون طالوت ملكا وذكروا أنهم أحق بالملك منه، وذكر المفسرون أن سبب الاستبعاد، أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بني إسرائيل، وهو سبط لاوي بن يعقوب، ومنه: موسى وهارون، وسبط المملكة سبط يهوذا ومنه: داود وسليمان ، وأن طالوت ما كان من أحد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين، كما أنه كان فقيرا؛ فلهذا أنكروا كونه ملكا لهم[2].

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥/ ٣٠٦)، بحر العلوم (١/ ١٦١)، مفاتيح الغيب (٦/ ٥٠٤).

الشـــاهد: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ اختلف العلماء في المراد بالعلم في هذه الآية، فذهب الإمام الطبري إلى أن المراد به النبوة، حيث قال:" ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ فإنه يعني بذلك أن الله بسط له في العلم والجسم، وآتاه من العلم فضلا على ما آتى غيره ... وذلك أنه ذكر أنه آتاه وحيًا من الله"(١)، وذهب الإمام السمر قندي إلى أن المراد بالعلم هنا هو علمه بسياسة الحرب، يقول ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ أي: كان جسيما وكان عالما بأمر الحرب"(٢)، ورجح الإمام السمعاني القول الثاني، فقال:" أراد بالعلم علم الحرب، وكان طالوت أعلمهم بأمر الحرب، وقيل: أراد به علم الدين، والأول أصح"(٣)، حيث ذكر ابن عاشور أنه لم يكن من أنبيائهم، فقال:" ولا يصح ذلك؛ لأن طالوت لم يكن معدودًا من أنبيائهم"(٤).

وأرى أن المراد بالعلم في السياق القرآني هنا هو علم سياسة الحرب؛لأن اللام في (العلم) للعهد، وتعود على ما سبق ذكره، وهو صفة الرجل الذي سألوا نبيهم أن يدعو الله أنه يرسله لهم، حيث إن جالوت وجنوده قهروهم، فأرادوا رجلا يتمتع بالقوة في الجسم وعلم الحرب أكثر من عدوهم، حتى يعيشوا في عزة ونُصرة، حيث إن هذين الوصفين يكون الانتفاع بهما في حفظ البلاد، ودفع شر الأعداء.

وقد آثر السياق المقالي صيغة المصدر (العلم والجسم) للمبالغة في هذين الوصفين، وتمكنهما فيه أكثر من غيره، بالإضافة إلى ما أفاده حرف الجر (في) من الظرفية، حيث جعل طالوت كأنه وعاء لعلم سياسة الحرب، وقوة الجسم

---

(١) جامع البيان (٥/ ٣١٣).

(٢) بحر العلوم (١/ ١٦٢).

(٣) تفسير السمعاني (١/ ٢٥٠).

(٤) التحرير والتنوير (٢/ ٤٩١).

ومصدرهما، وكأن من عداه لا يساوي علمه شيئا بجوار علمه، وهذان الوصفان أشد لاستحقاقه الملك من الوصفين الأولين،اللذين من أجلهما استبعدوا أن يكون طالوت ملكًا؛ولذا قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾أي: لا تستنكروا بني إسرائيل أن يكون طالوت ملكا،فإن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء، فهو ليس ميراثا عن الآباء، فلا تتخيروا على الله، ولذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ ، أي : يوسع على من يشاء من عباده، عليم بمقادير ما يحتاج إليه في تدبير الملك، وعالم بحال من يؤتيه الملك في الحاضر والمستقبل، فيختار – سبحانه وتعالى– لعلمه بجميع العواقب ما هو مصلحته في قيامه بأمر الملك(١).

ونجد أن الله –سبحانه وتعالى– وصف طالوت بالمصدر المعرف بالألف واللام (العلم) وفيه معنى الإحاطة بالمعهود وهو سياسة الحرب كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾(البقرة: ٢٥٥) ووصف ذاته بـ (عليم) وعلمه إحاطة بما كان وما يكون وماهو كائن، يقول الشيخ أبو زهرة:" فالبسطة معناها الاتساع، وإذا أضيفت إلى العلم فمعناها الاتساع والإحاطة بكل ما يوجه العقل إلى التفكير المستقيم مع سلامة العقل نفسه"(٢).

مما سبق نجد أن السياق القرآني والقرائن المحيطة به رجحا دلالة العلم ، وحددوا درجته، وطريقه أيضًا، فالمراد العلم هنا كما رجح السياق هو علم سياسة الحرب، وطريق هذا العلم يكون بالفيض والإلهام؛ لأنه من عند الله وليس طالوت نبيًّا حتى يكون وحيًا، فلم يبق إلا أن يكون إلهامًا، ودرجته اليقين؛ لأنه من لدن لطيف خبير.

---

(١)ينظر: مفاتيح الغيب (٦/ ٥٠٥).

(٢) زهرة التفاسير (٢/ ٨٩٢).

ومما ورد من صيغة المصدر أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٠).

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في الزنادقة، حيث إنهم قالوا: إن الله تعالى وإبليس –لعنه الله ولعنهم– أخوان ، وأن الله –سبحانه وتعالى– خالق الناس والدواب والأنعام والخيرات، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ (الصافات: ١٥٨) فتخرصوا لله كذبا ، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون [١].

((**الشاهد**))﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ .

ذكر الإمام ابن عاشور أن المراد بالعلم هنا هو العلم بمعناه الصحيح، يقول:" المراد بالعلم هنا : العلم بمعناه الصحيح، وهو حكم الذهن المطابق للواقع عن ضرورة أو برهان"[٢]،و(غير) هنا نافية وعليه يكون العلم المنفي هو الجهل بمعناه الصحيح، وهو الرمي بالقول دون دليل أو برهان، يقول الإمام الزمخشري: " بغير علم" أي: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب، ولكن رميًا بقوله عن عمى وجهالة من غير فكر وروية"[٣]، أي: أن قولهم كان من غير حجة أودليل سواء كانت حججًا وأدلة عقلية أم سمعية، فإذا انتفى الدليل انتفى العلم.

(١) ينظر:بحر العلوم (١/ ٤٧٢)،مفاتيح الغيب (١٣/ ٨٨)، البحر المحيط (٤/ ٦٠١).
(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٤٠٨).
(٣) الكشاف (٢/ ٥٣).

ونجد أن السياق القرآني آثر التعبير عن العلم المنفي بصيغة المصدر مبالغة في نفي ادعائهم، وأنه في منزلة العدم؛ ولذا نفى أن يقام عليه دليل؛ لأنه غير موجود أصلا، يقول الشيخ الشعراوي: "العلم قضية استقرائية معتقدة واقعة يقام عليها دليل، وهذا شيء لا واقع له ولا يمكن أن يوجد عليه دليل، لذلك فهو قول بغير علم بل بجهل، وإنها واقعة وليست بواقعة، ولا يقام عليها دليل؛ لأنها غير موجودة أصلا"(١) ، وفي هذا دليل على قبح تجهلهم، يقول الإمام أبوحيان:" وفيه نص على قبح تقحُّمِهِم المجهلة وافترائهم الباطل"(٢).

وختمت الآية بتنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن هذه المستحيلات عليه، فقال ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ أي: تقدس وتنزه سبحانه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد والنظراء والشركاء(٣).

مما سبق يتضح أن العلم هنا هو ما قابل الجهل، وليس له طريق ولا مصدر: لأنه ليس بعلم أصلا، فهو بمنزلة العدم، وعليه فالعلم المنفي هنا هو: الجهل المحض.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ (يونس: ٩٣) .

(١) خواطر الإمام (٦/ ٣٨٣٤).
(٢) البحر المحيط (٤/ ٦٠٣).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٨).

سبب النزول:

يعني بذلك جل ثناؤه أنه أنزل بني إسرائيل منزل صدق، وهو أرض مصر، وذلك أن الله سبحانه وتعالى، قد وعدهم أن يورثهم أرض مصر، فلما غرف فرعون ورجع موسى

(عليه السلام) إلى أرض مصر فنزلوا بها وسكنوا الديار ، وقيل: عني بها: أرض الشام ، ويقال: الأردن وفلسطين[١].

((**الشاهد**)) ﴿ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ ﴾ .

اختلف المفسرون في تحديد دلالة العلم نظرًا لاختلافهم في المراد ببني إسرائيل، أهم اليهود الذين كانوا في زمن سيدنا موسي، أم يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة الذين كانوا في زمان سيدنا محمد (ﷺ)؟

فعلى القول بأنهم اليهود في زمن نبي الله موسي، فالمراد بالعلم هنا التوارة، أي: وما تفرقوا وتشعبوا إلا بعد ما قرءوا التوراة، يقول الإمام الزمخشري:" فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه إلا من بعد ما قرءوا التوراة، وكسبوا العلم بدين الحق، ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة، وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه"[٢].

وعلى القول بأن المراد ببني إسرائيل هم اليهود الذين كانوا في زمان سيدنامحمد (ﷺ)، وهذا قول عظيم من المفسرين، فالمراد بالعلم المعلوم، يقول

(١) ينظر: بحر العلوم (٢/ ١٣١).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٦٩).

الإمام أبو حيان:" العلم بمعنى المعلوم، وهو محمد ﷺ؛ لأن رسالته كانت معلومة عندهم مكتوبة في التوراة"(١).

وذكر الإمام الرازي أن المراد بالعلم هنا القرآن فقال:"والمراد من العلم القرآن النازل على محمد (ﷺ) وإنما سماه علما؛ لأنه سبب العلم، وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور"(٢).

ثم ذكر الإمام الرازي وجه كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف ، فقال:" وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان، الأول: أن اليهود كانوا يخبرون بنبوة محمد (ﷺ) ويفتخرون به على سائر الناس، فلما جاءهم آمن به طائفة وكفرت به آخر؛ فلهذا السبب صار نزول القرآن سببا لحدوث الاختلاف فيهم.

والثاني: أن يقال: إن هذه الطائفة من بني إسرائيل كانوا كفارًا محضا، حتى جاءهم العلم فعند ذلك آمنت طائفة وبقيت أخرى على كفرهم"(٣).

وجوز الإمام ابن عاشور أن يكون المراد بالعلم في هذا السياق هو القرآن بقرينة(حتى)، فقال:" ويجوز أن يكون العلم هو القرآن ... وهذا المحمل هو المناسب لحرف (حتى) في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ ، وعقيب (فما اختلفوا) بالغاية يؤذن بأن ما بعد الغاية منتهى حالة الشكر، أي: فبقوا في ذلك المبوأ وفي تلك النعمة حتى اختلفوا فسلبت نعمتهم، فإن الله سلبهم أوطانهم"(٤).

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٠٥).

(٢) مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٩٩).

(٣) السابق نفسه.

(٤) التحرير والتنوير (١١/ ٢٨٣).

مما سبق يتضح ما يلي :

أن السياق بنوعيه المقالي والمقامي أديا دورا كبيرا في تحديد دلالة العلم، فمن نظر إلى السياق المقامي وجعل المراد ببني إسرائيل اليهودفي زمن نبي الله موسي، جعل المراد بالعلم التوراة، ومن جعل المراد ببني إسرائيل اليهود في زمن سيدنا محمد (ﷺ)، جعل المراد بالعلم المعلوم وهذا المعلوم هو سيدنا محمد (ﷺ)، حيث كان معلوما لهم من كتبهم، ومن نظر إلى السياق المقالي جعل المراد من العلم القرآن الكريم بقرينة (حتى)كما ذهب إليه الإمام ابن عاشور.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾ **(الزخرف: ٥٧ – ٦١)**

سبب النزول:

روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال لقريش: يا معشر قريش لا خير في أحد يُعبد من دون الله، قالوا: أليس تزعم أن عيسى كان عبدًا نبيا وعبدًا صالحا، فإن كان كما تزعم فهو كآلهتهم؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات[١] .

الشاهد :﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾ ، ذكر بعض المفسرين أن المراد بـ (العلم) هنا العلامة و الدليل على قيام الساعة[٢]والمعنى: إن ظهور

(١) أسباب النزول للحميدي (١/ ٣٧٦).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢١/ ٦٣١)، تفسير السمعاني (٥/ ١١٢)، مفاتيح الغيب (٢٧/ ٦٤٠).

عيسى (عليه السلام) مما يعلم به مجيء الساعة؛ لأن ظهوره شرط من أشراطها، يقول الإمام الطبري:" ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾ معنى الكلام: وإن ظهور عيسى (عليه السلام) عَلَم يعلم به مجيء الساعة؛ لأن ظهوره شرط من أشراطها، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة"(١).

وسمي الشرط علما؛ لحصول العلم به، يقول الإمام الزمخشري:" ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾ وإن عيسى (عليه السلام) لعِلْم للساعة، أي: شرط من أشراطها تعلم به، فسمي الشرط علما لحصول العلم به"(٢)

(١) جامع البيان (٢١/ ٦٣١).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٦١).

٢- اسم الفاعل :

لم يرد العلم على صيغة (فاعل) مفردا إلا وصفا لاسم الجلالة سبحانه وتعالى، وجاء على صيغة الجمع وصفا لغيره سبحانه، ولكل دلالته.

أولا: **في وصفه سبحانه وتعالى**:

قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: ٩٤) .

سبب نزولها:

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فقد روي عن ابن عباس أن هؤلاء المنافقين كانون ثمانين رجلاً، فلما رجع النبي (ﷺ) والمؤمنون من غزوة تبوك جاءوا يعتذرون فأنزل الله هذه الآية[١].

((**الشاهد**) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ مامعنى عالم في حق الله سبحانه وتعالى في هذه الآية؟

استخدم السياق القرآني صيغة (فاعل) التي تدل على ثبوت الحدث ودوامه؛لأنها خرجت من اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة، دون غيرها من الصيغ كناية عن المحاسبة، وللإشعار بإحاطة علمه سبحانه وتعالى، يقول الإمام الشوكاني:" ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ تخويف شديد لما هي مشتملة عليه من التهديد، ولا سيما ما اشتملت عليه من وضع الظاهر موضع

(١) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٨٢)، تفسير السمعاني (٢/ ٣٣٩)، زاد المسير (٢/ ٢٨٩).

المضمر؛لإشعار ذلك بإحاطته بكل شيء يقع منهم مما يكتمون، ويتظاهرون به وإخبارهم به ومجازاتهم عليه"[١].

فعلمه –سبحانه وتعالى– بهم دائم وثابت لا يتغير ؛ لذا خرج معنى الصيغة في هذا السياق من اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة به ، وجاءت مضافة إلى الغيب وهو ما غاب عن علم الناس، والشهادة، أي المشاهد[٢] ، وهما جامعان لأعمال العبد، وفي ذلك دلالة على أنه مطلع على ضمائرهم كاطلاعه على ظواهرهم لا تفاوت عنده في ذلك[٣] ؛ ولذا عدل السياق عن الضمير إلى الاسم الظاهر، وقد صرح بذلك الإمام البيضاوي حيث قال:" ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: إليه، فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم "[٤]

وفي تقديم الغيب على الشهادة هنا إشارة إلى سعة علمه –سبحانه وتعالى– وهذا يشير إلى أن علمه بما غاب كعلمه بالمشاهد، فكل أفعال العباد ظاهرها وباطنها عنده سواء، يقول الإمام الشوكاني:" وفي تقديم الغيب على الشهادة إشعار بسعة علمه –عز وجل– وأنه لا يخفى عليه شيء، ويستوي عنده كل معلوم"[٥]؛ لذا أمر النبي بعدم قبول عذرهم ونهيهم عن الاعتذار لعدم صدقهم ؛ لأنه –سبحانه –أطلعه على ما انطوت إليه نفوسهم، يقول الإمام أبو حيان: " ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾علة للنهي عن الاعتذار؛ لأن عرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به، فإذا علم أنه مكذب في اعتذاره كف عنه، ولذا قال ﴿قَدْ

---

(١) فتح القدير (٢/ ٤٤٩).
(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٨).
(٣) البحر المحيط (٥/ ٤٩٠).
(٤) أنوار التنزيل (٣/ ٩٤).
(٥) فتح القدير (٢/ ٤٥٥).

نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡ ﴾ علة لانتفاء التصديق؛ لأنه سبحانه إذا أخبر الرسول بما انطوت عليه سرائرهم من الشر والفساد لم يمكن تصديقهم في معاذيرهم"(١)؛ لذا ختمت الآية بقوله تعالى ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ لأن سياق الآية يتحدث عن علم الله بما غاب عن المسلمين مما تضمره نفوس هؤلاء المنافقين، فاستخدم هذا التذييل في لازم معناه وهو المجازاه؛ ومن علم بالشيء جازى عليه وخاصة أن المقام مقام جرم وجناية، ، يقول الإمام ابن عاشور:" ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ في لازم معناه، وهو المجازاة عن كل ما عملوه، أي: فتجدونه عالما بكل ما عملتموه؛ وهو كناية لأن ذكر المجازاة في مقام الإجرام والجناية لازم لعموم علم ملك يوم الدين بكل ما عملوه"(٢)

مما سبق نجد أن صيغة (اسم الفاعل) هنا (عالم) خرجت إلى الصفة المشبهة به؛ وهذا لا يجوز إلا في حق الله تعالى، فعلمه ثابت ودائم لا يتغير ومحيط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية" لذا أضيف الوصف إلى كل غائب وكل مشاهد دلالة على سعة علمه وشموله وإحاطته.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ (**الرعد: ٨-٩**)

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت ردًّا على منكري البعث حيث قالوا: إن أبدان الحيوانات عند تفرقها وتفتتها يختلط بعضها ببعض، فلا يستطيع التمييز بينهم، فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾(الرعد: ٥) ، منكرين قدرته

(١) البحر المحيط (٥/ ٤٨٥).

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٩).

سبحانه على إعادتهم خلقا جديدًا بعد فنائهم، فبين سبحانه أن عدم التمييز بعد الفناء يكون في حق من لا يكون عالما بجميع المعلومات، أما في حقه تعالى فإن علمه إحاطة بجميع المعلومات، واحتج على كونه عالما بجميع المعلومات بأنه يعلم ما تحمل كل أنثى على أي حال كان هو من ذكورة وأنوثة، وتمام ونقصان، وحسن وقبح وغير ذلك من الأحوال، ويعلم ما تغيض الأرحام أي تنقص من تسعة أشهر في الحمل وما تزيد عن ذلك، وكل شيء عنده بمقدار أي: بقدرٍ واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه[1].

((**الشاهد**)) ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ .

لم يصرح المفسرون بصيغة اسم الفاعل في (عالم)، وذلك لخروجها عن معناها الأصلي إلى الثبوت والدوام؛ لأنها في حق المولى –سبحانه وتعالى– وإنما الذي صرحوا به هنا هو دلالة الصيغة في وصف ذاته –سبحانه– على الإحاطة والشمولية في علمه؛ لإضافتها لعالمي الغائب والمشاهد، وهما يشملان كل المعلومات، يقول الإمام أبو حيان:" لما ذكر أنه عالم بأشياء خفية لا يعلمها إلا هو، وكانت أشياء جزئية من خفايا علمه سبحانه، ذكر أن علمه محيط بجميع الأشياء، فعلمه متعلق بما يشاهده العالم كتعلقه بما يغيب عنهم، وقيل : الغائب المعدوم والشاهد الموجود، وقيل: الغائب ما غاب عن الحسن والشاهد ما حضر للحس"[2].

لذا نزلت هذه الآية منزلة التزييل للآية التي قبلها،حيث إنها أثبتت عموم علمه جل وعلا، يقول الإمام ابن عاشور:"وهذه قضية كلية أثبتت عموم علمه

(١) ينظر: جامع البيان (١٦/ ٣٥٨)، الكشاف (٢/ ٥١٥)، مفاتيح الغيب (١٩/ ١٤)، البحر المحيط (٦/ ٣٥٦).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٣٥٦).

تعالى بعد أن وقع إثبات العموم بطريق التمثيل بعلمه بالجزئيات الخفية في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾ (الرعد: ٨)، وجملة ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ تذييل لتعميم العلم بالخفيات والظواهر وهما قسما الوجود"[١]؛ لذا ذكر الإمام القرطبي أن هذه الآية تمدّح بها المولى -جل وعلا- بإحاطة علمه بما غاب وخفي على الخلق، فقال:" هذه الآية تمدّح الله سبحانه وتعالى بها بأنه ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ، أي: هو عالم بما غاب عن الخلق وما شاهدوه... فنبه- سبحانه -على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن، الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد"[٢].

وختمت هذه الآية بوصف يدل على إحاطته بكل شيء، وهو الكبير المتعال، يقول الإمام ابن كثير:" ﴿ ٱلۡكَبِيرُ ﴾الذي هو أكبر من كل شيء بحسب القدرة والمقادير الإلهية[٣]،المتعال: أي: على كل شيء قد أحاط بكل شيء علما، وقهر كل شيء، فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعا وكرها"[٤].

فهذه الآية تدل على العلم الكامل والقدرة التامة، مما يدل على كونه سبحانه قادرا على البعث الذي أنكروه، يقول الإمام الرازي:" فهذه الآية دالة على كونه تعالى موصوفا بالعلم الكامل والقدرة التامة، ومنزها عن كل ما ينبغي، وهذا يدل على كونه تعالى قادرًا على البعث الذي أنكروه"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ٩٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٨٩).
(٣) مفاتيح الغيب (١٩/ ١٦).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٣٧).
(٥) مفاتيح الغيب (١٩/ ١٦).

مما سبق نجد أن صيغة (فاعل) في لفظ (عالم) خرجت من معنى اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة؛ وذلك لإضافتها للفظ الجلالة، وتضمنت هذه الصيغة معنى الإحاطة والشمولية في علمه سبحانه وتعالى؛ نظرًا لإضافتها إلى عالمي الوجود وهو الغيب والشهادة، وتضمن العلم هنامعنى كنائيا وهو: المجازاة والمحاسبة.

ثانيا : صيغة اسم الفاعل في وصف البشر:

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ **(يوسف: ٤٤)**

سبب نزولها:

هذه الآية وقعت جوابا لسؤال الملك للمعبرين عن تفسير رؤياه التي حكاها لنا القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴾ **(يوسف: ٤٣)** فنفوا عن أنفسهم علمهم بهذا النوع من الرؤيا المختلطة، وإنما علمهم قاصر على الرؤى الصحيحة، يقول الإمام ابن عطية:" قال المعبرون: لسنا من أهل العلم بذلك، أي: بما هو مختلط ورديء، فإنما نفوا عن أنفسهم تعبير الأحلام لا تعبير الرؤيا على الإطلاق، وقد قال النبي (ﷺ): " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان[1]"[2]

الشاهد: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾.

حيث استخدم السياق القرآني صيغة اسم الفاعل التي تدل على حدوث الفعل لا ثبوته للدلالة على أن عدم علمهم بتفسير هذه الرؤيا ليس نفيا مطلقًا، وإنما

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٧/ ١٣٣)، وصحيح مسلم(٤/ ١٧٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٢٤٨).

لهذه الرؤيا خاصة، فهم حدث لهم العلم بالتعبير لكنهم ليسوا متقنين له؛ لذا اعترفوا بجهلهم بهذا النوع الذي من الأحلام الباطلة، يقول الإمام الزمخشري:" إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة، فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل، فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير"(١).

وهذا يدل على أن علم البشر نسبي فربما عالم في علم معين يوجد من هو أعلم منه في نفس العلم كما قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٧٦) وقولهم هذا لا يدل على أنها ليس لها تأويل أصلا بل المتقن لهذا الفن يستطيع الوصول إليها، يقول الإمام الرازي:" وكأنهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة، وما كان كذلك فنحن لا نهتدي إليها ولا يحيط عقلنا بها، وفيها إيهام أن الكامل المتبحر فيه قد يهتدي إليه"(٢)؛ ولذا أكدوا نفي علمهم بالباء لتأكيد أن هذا النوع من الأحلام لا مدلول لها(٣)، وعليه فالمراد بعالم هنا المتقن النحرير.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ﴾ (العنكبوت: ٤٣) .

سبب النزول:

ذُكر أن هذه الآية نزلت في شأن الجهلة والسفهاء من قريش حيث كانوا يقولون: إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فأنزل

(١) الكشاف (٢/ ٤٧٥).

(٢) مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٦٤).

(٣) ينظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٨٢٩).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ ، أي لا يعقل حسنها وفائدتها [١] .

الشاهد: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ روى بعض المفسرين أن رسول الله (ﷺ) تلا هذه الآية وقال: العالم: من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه"[٢]، أي أن العالم لايكون عالما إلا إذا أوصله علمه إلى طاعة الله، وأبعده عن غضبه وعقابه، يقول الشيخ إسماعيل حقي:" والعالم حقيقة من حجزه علمه عن المعاصي، فالعاصي جاهل، وإن كان عالمًا صورة"[٣].

وعرف بعض المفسرون (العالمون) هنا بـ (الموحدون)، يقول الإمام السمر قندي:"﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ ، أي: لا يفهما ولا يعلمها إلا العالمون، يعني : الموحدون"[٤]، وذلك لأن هذه الأمثال ينضوي بداخلها معان وأستار لا يستطيع إدراكها والوصول إليها إلا بالتدبر والتفكر المستمر المؤدي إلى الإيمان بالله والبعد عن سخطه، وقد أشار الإمام الرازي إلى لطيفة جميلة في هذه الآية، وهي التفريق بين العلم الحدسي والعلم الفكري الدقيق، فقال:" العلم الحدسي يعلمه العاقل، والعلم الفكري الدقيق يعقله العالم"[٥]، وهذا العلم الفكري الدقيق هو المقصود في هذه الآية؛ لذا قصر سبحانه وتعالى عقل أي: تدبر هذه الآيات على العالمون قصرًا حقيقيًا، ولم يقصر علمها على العقلاء ؛ لذا قدم العقل على العلم، يقول الشيخ إسماعيل حقي:" فإن قيل: لم لم يقل:" وما يعلمها إلا العاقلون"، والعقل يسبق العلم؟ قلنا: لأن العقل آلة تدرك بها معاني الأشياء

(١) ينظر: الكشاف (٣/ ٤٥٥)، البحر المحيط (٨/ ٣٥٩).
(٢) الكشف والبيان (٧/ ٢٨٠).
(٣) روح المعاني (٦/ ٤٧٢).
(٤) بحر العلوم (٢/ ٦٣٤).
(٥) مفاتيح الغيب (٢٥/ ٥٩).

بالتأمل فيه، ولا يمكن التأمل فيها والوصول إليها إلا بالعلم"[١]، والإنسان مُيز عن الحيوان بالعقل الذي هو موطن العلم والتدبر والتفكر، فلما عطل الإنسان هذه الآلة عن وظيفتها صار كالحيوان بل هو أضل، قال تعالى:﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وهذا يدل على أن طريق العلم الإنساني هنا هو: العقل، ووسيلته: العلم المشاهد عن طريق المثل، وفي هذه الآية يبرز لنا القرآن دور المثل في خدمة الإدراك العقلي.

مما سبق نجد أن اسم الفاعل هنا استعمل في معناه الحقيقي ، حيث إنّ فَهم هذه الآيات لا يأتي بمجرد العلم بها بل بالتدبر والتفكر والتأمل الدقيق، وهذا يأتي قد يصيب مرة ويخطئ أخرى، وفي ذلك يقول الإمام الأزهري:" والعلم وإن كان في غاية الضب والإتقان، فإنه لا يكاد يخلو من زلة"[٢]، وهذا عين دلالة صيغة اسم الفاعل.

((**تعقيب**))

من خلال ما سبق نستطيع أن نفرق بين العلم الإلهي، والعلم الإنساني في صيغة اسم الفاعل، فالعلم الإلهي ثابت ودائم، وقد أضيف إلى عالما الوجود وهما (الغيب والشهادة) مما يدل على إحاطة علمه سبحانه وشموله لكل ما كان وما يكون وما هو كائن بعلم واحد ثابت أزلي؛ لذا خرج الوصف (عالم) من معنى اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت والديمومه.

أما علم البشر فهو علم متغير وغير ثابت ويزيد وينقص، علم نسبي ، كما قال تعالى:﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٧٦) ، وقوله تعالى:﴿ وَلَا

(١) روح المعاني (٦/ ٤٧٢).

(٢) تهذيب اللغة (٤/ ٦٨) مادة (ع ل م).

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ (البقرة: ٢٥٥) ويكون علم البشر من جهة واحده لا إحاطة بكل المعلومات.

فالعالم في حق البشر هو من برع في علم من العلوم وإن جهل غيره، ولذا يقال: عالم الشريعة، وعالم الفضاء، وعالم الكمياء ، وهذا ما أثبته لنا القرآن من خلال إطلاق هذا الوصف (عالم) مرة على من يتدبر الآيات القرآنية ويعقل تشبيهاتها ويفهم ما تحويها من أسرار وعبر ومواعظ، ومرة أخرى أطلقة على المتقن أو النحرير بعلم التعبير ؛ وذلك يدل على أن العقل البشري قاصر لا يستطيع أن يدرك كل العلوم، بل إنه ربما يخطئ في تخصصه الدقيق، ويوجد من هو أعلم من كما مر، وفي ذلك يقول الأزهري:" والعالم وإن كان في غاية الضبط والإتقان، فإنه لا يكاد يخلو من زلة"[١]، فيقال للعالم بالشيء عالم وإن عرف من جهة واحدة ، أما علمه سبحانه وتعالى فإحاطة، فهو يعلم الأشياء جميعها من جميع وجوهها بعلمه القديم الأزلي قال تعالى:﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق:١٢) فالفرق بينهما كبير[٢].

كما أن علم البشر يسبقه جهل، وعلم الله يستحيل عليه الضد، و علم البشر يزداد بالمتابعة والمدارسة والتأمل والتدبر وهذا فيه كد وجهد لتحصيل المعلوم، ولذا يقال للعالم : النحرير، وهي درجة من درجات الترقي في العلم وهذا يؤكد نسبية علم البشر، أما علم الله فيستحيل عليه ذلك، فهو يعلم الأشياء كلها بعلم واحد قديم أزلي .

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٦٨) مادة (ع ل م).

(٢) ينظر:الفروق اللغوية (١/ ٩٥).

٣- صيغة التفضيل:

من المعلوم أن صيغة(أفعل) التي للتفضيل، تأتي للمفاضلة بين شيئين مشتركين في صفة واحده، لكن أحدهما يزيد على الآخر في هذه الصفة، هذا في التفاضل بين البشر، لكن هل يكون أفعل التفضيل على بابه إذا جاء مضافا إلى اسم الجلال؟

يجيب السياق القرآني على هذه التساؤل من خلال الآيات التي جاء العلم فيها على صيغة التفضيل ومضافًا إلى اسم الجلالة، فيما يأتي:

أولا : **صيغة التفضيل المضافه إلى اللّه تعالى**:

قوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴾ **(النساء: ٤٥)**

سبب النزول

ذكر الإمام الرازي أن هذه الآية نزلت في اليهود، فقد روى ابن عباس أن هذه الآية نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه، فيثبطونهم عن الإسلام(١).

الشاهد:﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾.

اختلف المفسرون بين في الإلغاء والإعمال في صيغة التفضيل هنا، هل هي باقية على بابها من الدلالة على التفضيل أو لا؟

من المفسرين من حملها على معناها من التفضيل، ومنهم من حملها على الإلغاء والسلب، فذهب الإمام الرازي إلى أن هذه الصيغة على بابها في التفضيل، ونقصد بالتفضيل هنا التفضيل في المتعلق وهي المعلومات لا العلم؛ حيث إن

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/ ٩١).

علم الله سبحانه وتعالى لا يقبل المفاضلة، وإنما المفاضلة في المتعلق، يقول الإمام الرازي:" ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾ ، أي: هو أعلم بكنه ما في صدورهم من العداوة والبغضاء"[1]، وعليه فالآية تحذير للمؤمنين من الاستنصاح بهم والاستنامة إليهم، يقول الإمام أبو حيان:" ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾ فيه تنبيه على الوصف المنافي لوداد الخير للمؤمنين وهي العداوة، وفيه إشارة إلى التحذير منهم، وتوبيخ على الاستنامة إليهم، والمعنى: أنه تعالى أخبر بعداوتهم للمؤمنين، فيجب حذرهم كما قال تعالى ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾ (المنافقون: ٤)"[2].

فالمفاضلة هنا أتت من أن الله يعلم ما يضمرونه مثل علمه بالمشاهد من أحوالهم، أما أنتم أيها المؤمنون فلا تعلمون إلا المشاهد من حال هؤلاء اليهود، ولو علموا ما يضمرونه، لما استنصحوهم ، يقول صاحب زهرة التفاسير:" ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾، أي: أن الله جلت قدرته أعلم منكم بأعدائكم؛ لأنكم تعلمون ما يبدون من أفعالهم، وما يظهرون على ألسنتهم، والله سبحانه يعلم ما تخفي الصدور[3].

ومن المفسرين من جعل (أعلم) هنا بمعنى (عليم)، وعلى ذلك (فأعلم) مسلوب المفاضلة، يقول الإمام القرطبي:﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾ ويجوز أن يكون أعلم بمعنى عليم، كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ﴾ (الروم: ٢٧) "[4]، وعلى المعنى الثاني فالخبر وعيد لهم (اليهود)، أي أن الله مطلع على ما تضمرنه نفوسكم، وسيحاسبكم عليهم؛ لأن مقتضى العلم المجازاة، يقول الإمام

---

(١) مفاتيح الغيب (١٠/ ٩٢).

(٢) البحر المحيط (٣/ ٦٥٨).

(٣) زهرة التفاسير (٤/ ١٦٩٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٢).

السمرقندي:" ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾ وعيد لهم، فكأنه يقول:" هو أعلم بعذابهم، كما قال في آية أخرى﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٨) يعني : عليم بعقوبتهم، ومجازاتهم"[١].

((**تعقيب**))

مما سبق يتضح من قول المفسرين جواز أن يكون علم الله في هذه الآية على جهة المفاضلة أوعلى سلب المفاضلة إلى الصفة المشبهة (عليم) ، وعلم الله –سبحانه وتعالى– أزلي ثابت قديم محيط بما كان وما يكون وما هو كائن بعلم واحد يستحيل عليه الجهل، أما علم البشر فهو علم مكتسب حادث، وهو صفه لهم لا ذاتية فيهم، وعلمه –سبحانه– ذاتي ، ويستحيل عليه الكسب، والحدوث؛ وهذا يرجح قول من حمل صيغة التفضيل على معنى الصفة المشبهة (عليم)، ولذا خرجت الآية مخرج الوعيد لهؤلاء اليهود بأن الله مطلع على سرائرهم، ومجازيهم على ذلك؛ حيث إن العلم بالشيء يقتضى المحاسبة عليه.

أما من حمل الصيغة على حقيقتها من التفضيل، مع أن علم الله لا يتفاضل مع علم حادث؛لاختلاف الكُنه، فالتفضيل هنا في المعلومات لا في العلم، حيث إن معلومات الله بأنهم أعداء المؤمنين أكثر من علمهم بهم، وحدث التفاضل في المعلومات؛ نظرًا لأن حصول العلم لهم بأنهم أعداؤهم ليس من عند أنفسهم، وإنما أفاض الله عليهم به ، وأخبرهم به عن طريق الوحي كما قال تعالى﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾ وكما قال أيضا:﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ (النساء:٨٩) فلما كان هذا العلم من عند الله صح التفاضل فيه لا في ذاته.

فالمفاضلة هنا في معرفة أعداء اليهود خاصة لا مطلق العلم، ومع أن الله

---

(١) ينظر: بحر العلوم (١/ ٣٠٦).

أخبرهم بذلك إلا أن منهم من استمال إلى قولهم واستنصح بهم؛ لذا حذرهم المولي -سبحانه- ووبخهم لذلك، وأتت مفاضلة علمه -سبحانه وتعالى- على علمهم، في أن علمه سبحانه محيط، فهو عالم الغيب والشهادة، يعلم بعلمه القديم ما تضمره قلوبهم سابقا على ما تظهره ألسنتهم؛ حيث إن اللسان لا ينطق بالقول إلا بعد انعقاد القلب على حقيقته وهو علم السر، قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (التوبة: ٧٨) أما أنتم أيها المؤمنون فعلمكم قاصر على ما تبديه ألسنتهم، ولو علموا ما تضمره نفوسهم لما انجذبوا إلى قولهم، فأخبرهم -سبحانه- وحذرهم بأنهم يؤذونكم بطريق النصح وإظهار المحبة والله أعلم بأعدائكم، والمراد بالتفضيل في العلم هنا كما ذكرت سابقا، التفضيل في المعلومات لا العلم؛ لأن علم الله لايقبل التفاضل.

وآثر السياق هنا صيغة التفضيل (أعلم) دون غيرها من الصيغ؛ لأن المقام هنا خطير؛ حيث إن هؤلاء اليهود ليس ضلالهم قاصرًا عليهم بل يريدون أن تضلوا أنتم أيضا أيها المسلمون الطريق وتحيدوا عن عبادة الله حسدًا منهم عليكم، كما قال تعال:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ (البقرة: ١٠٩) فضلا عن أن هؤلاء الضالين علماء؛ حيث أوتوا نصيبا من الكتاب، أي: يعرفون المواطن التي يستطيعون من خلالها أن ينفذوا إلى مقصدهم من إضلالكم؛ فالله محذركم من عدم الإنصات إليهم؛ لأن جُل همهم هو إضلالكم كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (النساء: ٤٤)، أي: أنهم لن يؤمنوا أبد، ولن يرضوا لكم الإيمان فاحذروهم.

مما سبق يتضح أن العلم في حق الله -تعالى-معناه الإحاطة وكني به عن معنى مجازي وهو المحاسبة والمجازاة؛ لأنها من مقتضايات العلم، فمن علم شيئًا جازى عليه.

ومما ورد على صيغة التفضيل أيضا، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (المائدة: ٦١) .

سبب نزول الآية:

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في ناس من اليهودكانوا يدخلون على النبي (ﷺ) ويظهرون له الإيمان ويقولون: آمنا بك وصدقناك، ويضمرون له الكفر، فأخبره الله بشأنهم ، وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بقلبهم شيء، مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك[١].

الشاهد ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ ذكر كثير من المفسرين أن صيغة التفضيل هنا (أعلم) ليست على بابها بل خرجت إلى المبالغة، والمعنى: (والله عليم)، وعليه فالخبر متضمن معنى المجازاة والوعيد تهديدًا لهؤلاء اليهود؛ لأنهم إن أظهروا خلاف ما يضمرون، فالله مطلع على سرائرهم ومجازيهم عليها، وكثيرا ما يعبر عن العلم بالمجازاة باعتبار لازمه، يقول الإمام السمرقندي:" ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ يعني: عليم بمجازاتهم، وهذا تهديد لهم"[٢]، والمبالغة هنا ليست في علم الله وإنما في متعلقه، وهي للمعلومات التي بداخلهم من الحقد والكره والمكر بالمسلمين، يقول الإمام الرازي:" ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ والغرض منه المبالغة فيما في قلوبهم من الجد والاجتهاد في المكر بالمسلمين والكيد بهم، والبغض والعداوة لهم"[٣].

---

(١) ينظر: بحر العلوم (١/ ٤٠٣)، الكشاف (١/ ٦٥٣)، مفاتيح الغيب (١٢/ ٣٩٢).

(٢) بحر العلوم (١/ ٤٠٣).

(٣) مفاتيح الغيب (١٢/ ٣٩٢).

ونفوا أن يكون التفضيل على بابه، بل عبر بالتفضيل تقريبًا لا تحقيقًا؛ لأن علم الله لا يقبل المفاضلة، فعلم الله لا يدانيه علم، قال صاحب زهرة التفاسير: "وأفعل التفضيل ليس على بابه، لأنه لَا يوجد من يكون علمه من جنس علمه، حتى يكون علم أكبر وأعظم... فعبر بافعل التفضيل تقريبا لَا تحقيقا"(١).

وقد أكد السياق القرآني علم الله سبحانه بما يضمرونه، وأنهم لم يريدوا الإيمان بل أرادوا خداعكم، أكد ذلك بقول(بالكفر ، وبه) ، أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، وأكده أيضا بـ (قد) التي لتقريب الحال من الاستقبال، يقول الإمام الزمخشري:" وقوله(بالكفر)، و (به) حالان ، أي: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ، وفيه دلالة على أن الإيمان لم يخالط قلوبهم طرفة عين، وتقديره: (ملتبسين بالكفر) حال الدخول والخروج؛ ولذا دخلت (قد) تقريبًا للماضي من الحال"(٢)، وأكد نسبة الكفر إليهم أيضا بضمير الحصر (هم) في حالة الخروج خاصة، لدفع توهم أن يكون النبي سبب في ذلك، يقول الإمام الرازي:" والفائدة من ذكر (هم) التأكيد في إضافة الكفر إليهم، ونفي أن يكون من النبي (ﷺ)، أي: لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم معك ما يوجب كفرًا، فتكون أنت الذي ألقيتهم في الكفر، بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار أنفسهم"(٣)، وجمع السياق القرآني بين صيغتي الماضي والمضارع في قوله تعالى﴿ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ للدلالة على إحاطة علمه بما كان وبما يكون وما هو كائن، قال صاحب زهرة التفاسير:" والتعبير بقوله تعالت كلماته: ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ بالجمع بين الماضي والمستقبل، يفيد أنه يعلم ما كتموه في الماضي، وما يكتمونه في الحاضر والقابل، فهو سبحانه يعلم ماضي أمرهم، وحاضره، ومغيبه، ولفظة (كانوا) على

(١) زهرة التفاسير (٥/ ٢٢٧٠).

(٢) الكشاف (١/ ٦٥٣).

(٣) مفاتيح الغيب(١٢/ ٣٩٢) بتصرف.

هذا المعنى تفيد العلم المستمر"[١].، وعلى ذلك فـ (أعلم) هنا بمعنى (عليم) التي للمبالغة، ولكن ليست المبالغة في علم الله بل في متعلقه، ومتعلق العلم هنا هو معرفة ما يضمروه هؤلاء اليهود من الكيد والحقد للإسلام والمسلمين، وإخباره سبحانه بإحاطة علمه بما يسرون وما يعلنون كناية عن مجازاتهم على ما يسرون، وفيه وعيد شديد .

قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحج: ٦٨).

سبب نزول الآية:

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في كفار قريش وخزاعة، حين جادلوا الرسول (ﷺ) في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتله الله؟! فأنزل الله الآية[٢]

الشاهد:" ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ذكر المفسرون أن (أفعل) التفضيل هنا (أعلم) ليس على بابه من التفضيل، بل خرج إلى المبالغة في تعلق علمه سبحانه وهو علمه بما يعملون وما يضمرونه في نفوسهم؛ حيث إن علمه- عز وجل- لا يقبل المفاضلة؛ لأنه لا يدانيه أحد في علمه فعلمه محيط بما كان وما يكون وما لم يكن، يقول الإمام الزمخشري:" هذه الآية مسلاة للرسول (ﷺ) مما كان يلقي منهم، وكيف يخفى عليه ما يعملون، ومعلوم عند العلماء أن الله يعلم كل ما يحدث في السماوات وفي الأرض، وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه، والإحاطة بذلك، وإثباته وحفظه عليه يسير؛ لأنه عالم لذاته ، ولا يمتنع تعلق علمه بمعلوم"[٣].

---

(١) زهرة التفاسير (٥/ ٢٢٧٠).

(٢) ينظر: زاد المسير (٣/ ٢٤٩)، البحر المحيط (٧/ ٥٣٤).

(٣) الكشاف (٣/ ١٦٩).

وقد صرح صاحب زهرة التفاسير بخروج التفضيل عن بابه إلى معنى التكثير والمبالغة في تعلق العلم وهو ما يعملون ، فقال:" وأفعل التفضيل هنا ليس على بابه، فلا مفاضلة في علم الله تعالى، إنما المعنى: أن الله يعلم ما تعملون علما ليس فوقه علم"(١)، ومقتضى العلم يجلب المحاسبة، لذا كنى بالعلم هنا عن المحاسبة والمجازة، أي: أن الله سيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم بما تستحقون، يقول الإمام النسفي:" والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء، فهو مجازيكم به، وهذا وعيد وإنذار، ولكن برفق ولين وتأدب يجاب به كل متعنت"(٢) .

ثانيا:التفضيل في العلم الحادث:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٢) .

سبب نزول الآية:

ذكر في سبب نزول هذه الآية ما روي عن حبر الأمة ابن عباس (رضي الله عنهما) أن سيدنا إبراهيم (عليه وعلى نبينا السلام)لما علم من قِبل الملائكة أن قرية لوط تعذب، أشفق على المؤمنين فجادل الملائكة وقال لهم: أرأيتم إن كان فيهم مائة بيت من المؤمنين أتتركونهم؟ قالوا: ليس فيهم ذلك، فجعل ينحدر حتى انتهي إلى عشرة أبيات، فقال له الملائكة: ليس فيهم عشرة ولا

(١) الكشاف (٩/ ٥٠٢٤).

(٢) مدارك التنزيل (٢/ ٤٥٣).

خمسة ولا ثلاثة ولا اثنان، فحينئذ قال إبراهيم: إن فيها لوطا، فراجعوه وقالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾[١].

الشاهد ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾

استخدم السياق القرآني صيغة أفعل التفضيل في هذه الآية على بابها من المفاضلة، وهي المرة الوحيدة التي أتت فيها المفاضلة على حقيقتها، يقول الإمام أبو حيان: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ أي : منك"[٢] ، ففضلت الملائكة على إبراهيم في معرفة من في القرية من الأخيار والأشرار فقط لا في عموم العلم ، ثم إن سيدنا إبراهيم- عليه السلام - لما سمع منهم(إنا مهلكوا...) قال متعجبا: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ إشفاقا عليه، فقالت الملائكة: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ وزادوا على لوط دليل زيادة علمهم عليه في هذا السياق خاصة، فقالوا: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾، يقول الإمام الرازي:" ثم إن الملائكة لما رأوا ذلك منه، زادوا عليه وقالوا: إنك ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجي معه أهله، ثم استثنوا من الأهل امرأته، فقالوا: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ "[٣].

وعلل الإمام ابن عاشور لأفضلية علم الملائكة في هذا الشأن على علم سيدنا إبراهيم-عليه السلام - فقال:" وإنما كان الملائكة أعلم من إبراهيم -عليه السلام- لأن علمهم سابق على علمه، ولأنه علم يقين من وحي الله... وكونهم

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٣١٥).
(٢) البحر المحيط (٨/ ٣٥٥).
(٣) مفاتيح الغيب (٥/ ٥٢).

أعلم من إبراهيم في هذا الشأن لا يقتضي أنهم أعلم من إبراهيم في غيره، فإن لإبراهيم علم النبوة والشريعة وسياسة الأمة"[1].

مما سبق يتضح أن درجة العلم هنا هي: اليقين، وطريقه: الوحي (الإلهام أو التلقي) كما ذكرنا سابقا، ومصدره: رباني؛ لذا فهو في أعلى درجات العلم الحادث.

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٤٢).

٤- صيغ المبالغة :

تأتي صيغ المبالغة في القرآن الكريم مراعاة لمقتضيات السياق المقامي والمقالي، وقد تنوعت الصيغ التي جاء عليها لفظ العلم في القرآن الكريم تبعا لتنوع دلالة العلم على النحو التالي:

أ- صيغة فعيل :

في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٩)

سبب نزول الآية:

ذكر المولى- سبحانه وتعالى- هذه الآية تذكيرا للمشركين بنعمه -سبحانه وتعالى- عليهم؛ لكي ينزجروا ويرجعوا عما أقدموا عليه من كفر وإلحاد، وذلك أنه -سبحانه وتعالى- لما ضرب المثل للمشركين بالذباب والعنكبوت، ضحكت اليهود، وقالوا ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل سبحانه﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة: ٢٦) فاستنكر سبحانه عليهم فعلهم هذا، وقال لهم تبكيتا وتعنيفا ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨)، فذكر لهم من دلائل نعمه عليهم بل من أعظم النعم وهي نعمة الإحياء، ثم بعد ذلك ذكرهم بنعمة أخرى مرتبة على النعمة الأولى، وهي خلق الأرض والسماء، وهو ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم، حيث إن الانتفاع بالسماء والأرض إنما يكون بعد حصول الحياة لا قبلها، فلهذا ذكر سبحانه أمر الحياة أولا ثم أتبعه بذكر الأرض

والسماء[1].

((**الشاهد**)) ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

ذكر المفسرون أن العلم الإلهي في هذه الآية معناه الإحاطة والشمول بكل ما خلق جزئيا كان أو كليًا، يقول الإمام الرازي:" ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يدل على أنه -سبحانه وتعالى- لا يمكن أن يكون خالقا للأرض ومن فيها، وللسماوات وما فيها من العجائب والغرائب، إلا إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها"[2].

وقد آثر السياق القرآني صيغة المبالغة(عليم) دون غيرها من الصيغ ليس للمبالغة في علمه سبحانه فعلمه لا يتكثر، وإنما للمبالغة في تعلق علمه -سبحانه- يقول الإمام أبو حيان:" و(عَلِيم)أحد الأمثلة الخمسة التي للمبالغة، وقد حدث فيها بسبب المبالغة من الأحكام ما ليس في فعلها، ولا في اسم الفاعل، والمبالغة بأحد أمرين، إما بالنسبة إلى تكرير وقوع الوصف سواء اتحد متعلَّقه أم تكثر، وإما بالنسبة إلى تكثير الوصف، ومن هذا الثاني المبالغة في صفاته؛ لأن علمه -سبحانه وتعالى- واحد لا تكثير فيه"[3]، فعلمه- سبحانه -قديم أزلي يستحيل عليه التكثير أو التقليل، يعلم كل المعلومات بعلم واحد من الأزل إلى الأبد، يقول الإمام القرطبي:" قوله تعالى﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي: بما خلق، وهو خالق كل شيء فوجب أن يكون عالما بكل شيء، قال تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤) فهو العالم والعليم بجميع المعلومات بعلم قديم أزلي

(١) ينظر:أسباب النزول (١ / ٢٣) مفاتيح الغيب (٢/ ٣٧٥-٣٧٩)، أنوار التنزيل (٦٦/١).

(٢) مفاتيح الغيب (٢/ ٣٨٣).

(٣) البحر المحيط (١/ ٢١٩- ٢٢٠) بتصرف.

واحد قائم بذاته"[١].

وأكد السياق القرآني علمه -سبحانه وتعالى- السرمدي باسمية الجملة، وذكر الإحاطة التامة في (كل شيء) وصفة المبالغة، يقول الشيخ إسماعيل حقي:" وأكد سبحانه وتعالى علمه السرمدي، بثلاثة مؤكدات ، بالجملة الاسمية التي تدل على دوام العلم وثباته؛ لأنه علم أزلي دائم لا يجري عليه ما يجري على علم الناس، وأكده -سبحانه وتعالى- بذكر الإحاطة التامة بكل شيء، وأكده سبحانه بذكر صفة من صفاته، فقال:" عليم" سبحان من أحاط بكل شي علما"[٢]، وكل هذه المؤكدات ليست للعلم بذاته، وإنما لما كني به عن العلم، وهي: المجازاة.

ومنه – أيضا-قوله تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٥).

سبب النزول:

ذكر الإمام الواحدي أن سبب نزول هذه الآية ما رُوي عن أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها)، قالت: أُنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله (ﷺ) عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وحثهم على الطواف بقوله تعالى:﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦١).
(٢) زهرة التفاسير (١/ ١٩١).
(٣) ينظر:أسباب النزول (١/ ٤٥).

(**الشاهد**) قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .

فـ(عليم) هنا جاء وصفا لله –سبحانه تعالى– وجاء على صيغة المبالغة الدالة على التكثير، والتكثير محال في علم الله– تعالى– فعلمه أزلي قديم ثابت من الأزل إلى الأمد –كما ذكرنا آنفا– وإنما وقعت المبالغة والتكثير على تعلّق العلم، وهو تكثير معلوماته سبحانه وتعالى؛ لأنه –سبحانه– لا تخفى عليه خافية، ومن كان عالما بدقائق الأمور كبيرها وصغيرها، فهو يجازي عليها ولا ينقص من حقها شيئًا، يقول الإمام أبو السعود:" " عليم" مبالغ في العلم بالأشياء، فيعلم مقادير أعمالهم وكيفيتها، فلا ينقص من أجورهم شيئا"[1].

فالوصف هنا كناية عن المجازاة ، قال صاحب زهرة التفاسير:" وصف سبحانه نفسه بالعلم؛ للدلالة على أنه عالم بمن يقوم بالطاعات فيجازيه، ومن يعمل بالمعصية فيجازيه بالسوء سوءا، فهو إشعار للطائع بأن يعمل تحت رعاية الله تعالى"[2].

والشاكر هو المظهر للإنعام عليه وذلك في حقه محال، وإنما الشاكر في حقه تعالى هو المجازي على الطاعة[3]، يقول الإمام النسفي:" ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾مجاز على القليل كثيرا"[4]، وفي هذا ترغيب في الطاعة، وقد وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن باعتبار الفعل والقصد المناسبين للتطوع، يقول الإمام أبو حيان:"وقد وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن؛ لأن التطوع بالخير

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ١٨١).
(٢) زهرة التفاسير (١/ ٤٧٨).
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب(٤/ ١٣٩).
(٤) مدارك التنزيل (١/١٤٦).

يتضمن الفعل، وذكر العلم باعتبار القصد"[١].

وأكد السياق القرآني علمه -سبحانه وتعالى- في هذه الآية بـ(إنَّ) المؤكدة، واسمية الجملة الدالة على دوام وثبوت علمه بكل شيء، وبالوصف العليم، وتأكيد العلم دلالة على تأكيد المجازاة.

ثانياً : **وصف** (**عليم**) **للإنسان**.

مما ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٥).

سبب النزول:

قال المفسرون: لما عبر يوسف -عليه السلام رؤيا الملك بين يديه، قال له الملك: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعًا كثيرًا، وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام، فإذا جاءت السنون المجدبة بعنا الغلات، فيحصل بهذا الطريق مال عظيم، فقال الملك: ومن لي بهذا الشغل، فقال يوسف: اجعلني على خزائن...."

((**الشاهد**)) ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .

في هذا السياق القرآني وصف يوسف (عليه السلام) نفسه ومدحها بصفة الأمانة والكفاية، وهما صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن[٢]، وغاية الملوك ممن يولونهم، يقول الإمام أبو حيان:" وصف نفسه بالأمانة والكفاية، وهما مقصود الملوك ممن يولونه، إذ هما يعمّان وجوه التثقيف والحياطة، ولا

(١) البحر المحيط (٢/ ٦٨).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٩٠).

خلل معهما لقائل"[1]، ولم يطلب يوسف لنفسه هذه المكانة للمباهاة والمفاخرة، وإنما طلبها ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل، يقول الإمام الزمخشري:" وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الدنيا، عن النبي (ﷺ):«رحم الله أخى يوسف، لو لم يقل: اجعلنى على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك، سنة[2]"[3]، فقال: إني حفيظ لما استودعتني ووليتني وحفيظ للحساب، عليم بسني المجاعة وعليم بالألسن؛ وذلك لأن الناس كانوا يَرِدُون على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة[4].

ووصف نفسه هنا بـ (عليم) ولم يقل (عالم)؛ دلالة على أنه لا يوجد أحد ممن هو في أرض مصر يشاركه في هاتين الصفتين، ولا في إحداهما حتى الملك نفسه، فقد روي أن الملك كان يتكلم بسبعين لسانا، وأجابه يوسف بهم جميعًا، وعجز الملك أن يجيب يوسف بلسان العبرية والعربية، يقول الإمام السمرقندي:" لما دخل يوسف على الملك وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا، فأجابه يوسف بذلك كله، ثم تكلم يوسف بالعبرانية، فلم يحسنها الملك، فقال: ما هذا اللسان يا يوسف؟، قال: هذا لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب -عليهم السلام- ثم كلمه بالعربية فلم يحسنها، فقال: ما هذا اللسان؟ فقال: لسان عمي إسماعيل، فلما كلَّمه قال: إنك اليوم لدينا مكين أمين"[5]، فاستحق أن يمدح نفسه بـ(عليم)

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٢٩١).

(٢) ينظر: كتاب الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني صـ ٢٥٦.

(٣) الكشاف (٢/ ٤٨٢).

(٤) ينظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٣١)، زاد المسير (٢/ ٤٥٠).

(٥) بحر العلوم (٢/ ١٩٨).

دون (عالم)؛ لأن صيغة فاعل توحي بأن غيره ربما يشاركه في هذا، مثل جواب المعبرين للملك عندما عجزوا عن تفسير رؤياه، فقالوا: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ (يوسف: ٤٤).

وذكر الإمام الرازي أن الكامل المتبحر فيه قد يهتدي إليه[١]، فلفظ (عالم) متغير، أما (عليم) فهو وصف دائم وثابت لا يتغير له في إدارة البلاد في هذه الفترة؛ وما ذلك إلا لأنه أُعلم عن طريق الوحي بتفسير هذه الرؤيا، ولعله -سبحانه- أعلمه بكيفية تدبيرها، فكما أن الوحي لا يكون لغيره من أهل مصر، فكذا الوصفان لا يكونان إلا له؛ لأنه مُعَلم من عند الله، يقول الإمام الرازي:" إنه -عليه السلام- علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم، فلعله -تعالى- أمره بأن يدبر في ذلك، ويأتي بطريقٍ لأجله يقلُّ ضرر ذلك القحط في حق الخلق"[٢]، فهذا من المعجزات التي يؤيد الله بها رسله؛ ولذا وصف نفسه بعليم، دلالة على أن هذا لا يكون إلا له.

واستخدم السياق المقالي (إنّ) الثقيلة التي تفيد التأكيد، واسمية الجملة وصيغة المبالغة (عليم)؛ لتأكيد علمه بذلك حيث إنه علم من لدن حكيم عليم، لا يأتي بجهد وكد وعناء بل بوحي من الله، ووحيه يقين.

مما سبق نستطيع أن نحدد هنا مصدر درجة العلم وطريقه، فمصدر العلم هنا: هو الله -سبحانه وتعالى- وطريقه: الوحي، ودرجته: اليقين.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٦٤).

(٢) السابق (١٨/ ٤٣٧).

ومما جاء من وصف عليم، قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٠٩) .

سبب النزول:

لما طلب فرعون من موسى –عليه السلام– إقامة الحجة على نبوته بين الله – تعالى– أن معجزته كانت قلب العصا ثعبانًا، وإظهار اليد البيضاء، فقد ذكر ابن عباس والسدي أن موسى ألقى عصاه فتحولت ثعبانا عظيما، فاغرة فاها واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والآخر على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رآها ذعر منها ووثبت وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك ، وصاح: يا موسى خذها وأنا أؤمن بك، وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصا، ثم أدخل يده في جيبه ثم أخرجها فإذا هي تبرق مثل البرق لها شعاع غلب نور الشمس ، فخروا على وجوههم ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت[1].

الشاهد ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ هذا الوصف ذكر مرة على لسان فرعون في سورة الشعراء (الآية: ٣٤)، وهنا ذكر على لسان ملئه، فيجوز أن يكون قاله هو، وقالوه هم، فحكى قوله ثم قولهم هاهنا، أو قاله ابتداء فتلقته منه الملأ، فقالوه لأعقابهم[2]، فوصفوا موسى بأنه مبالغ في السحر حاذق فيه، يقول الإمام أبو السعود:"﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي مبالغ في علم السحر ماهر فيه"[3]، حيث أنكر الملأ من قوم فرعون نبوة موسى (عليه السلام) تصديقا لفرعون وتقريرا

---

(١) ينظر: زاد المسير (٢/ ١٤٢)، مفاتيح الغيب (١٤/ ٣٢٧)، تفسير القرآن العظيم (٣/٤٥٥).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/ ١٣٩).

(٣) إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٥٩).

لكلامه، وقصدوا بوصفه بالسحر الحط من شأنه (عليه السلام) لا مدحه، يقول الإمام أبو حيان:" قصدوا ذمه بوصفه بالسحر وحط قدره؛ إذ لم يمكنهم في ظهور ما ظهر على يده نسبة شيء غير السحر، وبالغوا في وصفه بأن قالوا: عليم، أي: بالغ الغاية في السحر وخدعه وخيالاته وفنونه"[١] ووصفوه بالسحر خاصة ووصفوه بأنه عليم؛ لشيوع السحر في زمانهم، وتفاوت درجة السَحرَة في إتقانه، يقول الإمام الرازي:" وذلك لأن السحر كان غالبا في ذلك الزمان، ولا شك أن مراتب السحرة متفاوتة، ولا شك أنه يحصل منهم من يكون غاية في ذلك العلم ونهاية فيه، فالقوم زعموا أن موسى (عليه السلام)؛ لكونه في النهاية من علم السحر أتوا بتلك الصفة"[٢].

مما سبق نجد أن دلالة (عليم) هنا تطلق على الماهر أو الحاذق في السحر، لا في كل العلوم، وإنما في علم خاص كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(البقرة: ٢٥٥) فهو إحاطة في فرع من فروع العلم لا في كل مجالات العلم، بخلاف علم الله فهو إحاطة تامة بكل العلوم.

(١) البحر المحيط (٥/ ١٣١).

(٢) مفاتيح الغيب (١٤/ ٣٣٠).

ب-صيغة فعّال (علاّم)

ومما جاء من العلم على هذه الصيغة، قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ **(المائدة: ١٠٩)**

هذه الآية تحكي موقفًا من مواقف يوم القيامة، فيجمع الله الرسل على رأس أممهم ويسألهم سؤال من هو أعلم بجوابه، توبيخا لأمم الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ (التكوير: ٨) تحقيرا لهؤلاء الأقوام إذ جهلوا مع أسباب العلم، وكفروا مع قيام ذرائع الإيمان؛ ولأن الصلة بينهم وبين رسلهم قد قطعت في هذا اليوم، فلا ينالون شرف الاتصال إليهم ، فأجابه –سبحانه وتعالى– رسله: لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء إنك أنت علام الغيوب، فتعلم ما نعلمه مما أظهروه لنا وما لا نعلمه مما أضمروه في قلوبهم وضمائرهم ، وممن أتى منهم بعدنا ولم نعرفه[1] لكثرته.

((**الشاهد**)) : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ استخدم السياق القرآني صيغة المبالغة (علام) دون غيرها من الصيغ، مبالغة في معلومات الله– سبحانه وتعالى– لا مبالغة في علمه، فهو يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن بعلم واحد قديم أزلي ويستحيل على علمه التكثير، وإنما التكثير في متعلق العلم وهو (الغيوب) لذا جاء على صيغة الجمع والمبالغة لدقة علمه –سبحانه –يقول الإمام ابن الجوزي:" العلاّم بمنزلة العليم، وبناء (فعّال) بناء تكثير، فأما الغيوب فهو جمع (غَيْب) وهو: كل ما غاب عنك"[2]، وليس معنى كلام الإمام ابن الجوزي أنها مثلها في الإفادة في هذه الآية، وإنما في دلالة المبالغة عامة مع

---

(١) ينظر: بحر العلوم (١/ ٤٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٦١)، البحر المحيط (٣/٢٢٢) زهرة التفاسير (٥/ ٢٣٩١).

(٢) زاد المسير (١/ ٦٠٠).

الاختلاف في درجة المبالغة وفي المتعلق، فخصصت هذه الصيغة للغيب فقط، وهذا لا يكون إلا لله، فكذلك هذه الصيغة لا تكون إلا لله؛ ولذا جاءت على أقوى صيغ المبالغة درجة، فهو يعلم غيب كل مخلوق، فناسب استخدام السياق صيغة (فَعّال) دون غيرها من صيغ المبالغة، يقول الشيخ إسماعيل حقي:"﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾أي: إنك أنت وحدك العالم علما ليس فوقه علم؛ لأن التعبير بصيغة المبالغة﴿ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾أي: لكل ما يغيب عن الناس أجمعين"(١).

والسياق الداخلي هنا أكد علمه سبحانه وتعالى بـ (إنّ) الثقيلة، وضمير الفصل، واسمية الجملة الدالة على ثبوت علمه ودوامه، وصيغة المبالغة(علام) وجمع الغيوب، كل ذلك لتأكيد إحاطة علمه- سبحانه- بكل غيب، وأتي السياق القرآني بكل هذه المؤكدات؛ لأن المقام مقام اعتراف وإقرار، ومحاسبة.

ومثل ذلك قوله سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ **(المائدة: ١١٦)** .

سبب النزول:

لما رفع سبحانه وتعالى عيسى (عليه السلام)، قالت النصارى ما قالوا، فسأله ربه سبحانه سؤال من هو أعلم بجوابه﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أخذته الرعدة من هيبة ذلك القول حتى سمع صوت عظامه في

(١) زهرة التفاسير (٥/ ٢٣٩٢).

نفسه، فنزه الله سبحانه وتعالى، وقال: ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ... الآية[1].

((**الشاهد**)) " ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾

نزلت هذه الجملة منزلة التقرير والتأكيد لقوله﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾، وقوله﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾، أي تعلم معلوماتي ولا أعلم معلوماتك، يقول الإمام الزمخشري:" ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ تقرير للجملتين معا؛ لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي لعلمه أحد"[2]؛ ولذا استخدم السياق القرآني صيغة المبالغة (عَلّام) مبالغة وتكثيرا لمعلوماته- سبحانه وتعالى- لا لعلمه الأزلي.

وأكد نبي الله عيسى - عليه السلام -علم الله المحيط بما كان وما هو كائن وما سيكون بأربعة مؤكدات، وهي: (إنّ) المؤكدة، وضمير الحصر (أنت) وصيغة المبالغة (علاّم)، وجمع (الغيوب) أي تعلم الغيوب بكل أنواعها ما وقع في الماضي، وما هو واقع في الحال، وما سيقع في المستقبل بعلمك القديم الدائم، يقول الإمام ابن عاشور:" وقوله ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ علة لقوله: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾؛ ولذا جيء بـ (إن) المفيدة التعليل، وقد جمع فيه أربعة مؤكدات وطريق الحصر، فضمير الفصل أفاد الحصر، و(إنّ)وصيغة الحصر وجمع الغيوب وأداة الاستغراق"[3].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١١/ ٢٣٤)، بحر العلوم (١/ ٤٣١)

(٢) الكشاف (١/ ٦٩٤).

(٣) التحرير والتنوير (٧/ ١١٥).

ومما ورد من وصف (علام) قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (التوبة: ٧٨) .

سبب نزول :

نزلت هذه الآية في ثعلبة بن حاطب الأنصاري عندما طلب من الرسول (ﷺ) أن يدعو الله له أن يرزقه مالا كثيرا، ويعطي كل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (التوبة: ٧٥)، فلما أعطاه مالا بخل به ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (التوبة: ٧٦) أنزل الله فيه قرآنا [١]، فقال تعالى:" ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم، وما أكنته نفوسهم، فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة، فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه، وإظهار خلاف ما يعتقدونه[٢].

الشاهد ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

فـ (علام) وصف مبالغة الغرض منه تكثير معلومات الله –تعالى– لا تكثير علمه، فعلمه –تعالى– إحاطة، وهذا يقتضي علمه –سبحانه وتعالى– بجميع المعلومات ما دق منها وما لطف وعظم، يقول الإمام الرازي:" ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ علاّم صيغة مبالغة في العالم، والغيب كل ما غاب عن الخلق، والمراد أنه تعالى ذاته يقتضي العلم بجميع الأشياء، فوجب أن يحصل له العلم بجميع المعلومات، فيجب كونه عالما بما في الضمائر والسرائر "[٣]، فالمبالغة في تعلق

---

(١) أسباب النزول (١/ ٢٥٤).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٣٨١).

(٣) مفاتيح الغيب (١٦/ ١١٠).

العلم وهو الغيب لا مبالغة في العلم، وفيه من الفخامة ما لا يخفى ،وتكرار العلم في هذه الآية أكثر من مرة يدل على المجازاة والمحاسبة ؛ لأن من علم شيئًا جازى عليه، ، يقول الإمام أبو السعود :" وفي إيراد العلم المتعلّق بسرهم ونجواهم بصيغة الفِعلِ الدالِّ على الحدوث والتجدد والعلمِ المتعلقِ بالغيوب الكثيرةِ الدائمةِ بصيغة الاسم الدالِّ على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة مالا يخفى، وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على أنه- تعالى- مؤاخِذُهم ومجازيهم بما علم من أعمالهم"(١).

فـ(علاّم) تؤكد علم الله -سبحانه وتعالى- فهو يعلم خافية الأعين وما تخفي الصدور، وأكد علمه سبحانه بـ(أنّ) الثقيلة، واسمية الجملة وصيغة المبالغة، مع أن علمه -سبحانه وتعالى- لا يحتاج إلى تأكيد؛ توبيخا لفعل ثعلبة، وإنزاله منزلة المنكر لعلمه -سبحانه- بما يضمره؛ لأنه لم يعمل بمقتضى علمه، ولو عمل لما بخل، فمقتضى العلم المحاسبة والمجازاة.

((**تعقيب**))

مما سبق يتضح لنا أن صيغة (علاّم) من الصفات الخاصة بالله -سبحانه وتعالى- لايشاركه فيها أحد، كماأثبته القرآن الكريم، وأنها اقترنت بالغيب، وربما يكون هذه سبب اختصاصها به سبحانه، لأن علم الغيب لا يعلمه أحد غيره قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾(الجن: ٢٦).

كما أن وصف (فعال) (علاّم) أعلى درجات المبالغة، وليست المبالغة في علم الله كما ذكرت بل في معلوماته سبحانه؛ لأن الغيب ليس واحدًا، فهو غيب المخلوقين جميعا، ولكل واحد منهم غيب ماض وحاضر ومستقبل، فضلا عن المخلوقين جميعا؛ لذا كثر بتكثير الغيوب.

(١) إرشاد العقل السليم (٤/ ٨٦).

والملاحظ أيضا أن هذا الوصف وقع تذييلا لأفعال السرائر، والغيوب التي لا يعلمها إلا المولى –سبحانه وتعالى– كما حدث في يوم الحساب يوم يجمع الله الرسل، وفي قصة ثعلبة، وفي قول النصارى على سيدنا عيسى (عليه السلام) بعد ما رفعه الله إليه مما ذكرناه سابقا، وهناك قول رابع أمر الله به نبيه (ﷺ) حين قال: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (سبأ: ٤٨) ، فأمر نبيه محمدًا (ﷺ) أن يقول لمشركي قريش:إن هذا القرآن والوحي من عند الله وهو علام الغيوب.

وهنا لطيفة جميله:

إن هذه الصفة ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ لم تذكر على لسان أحد من البشر إلا على لسان رسل الله، في موطن الإقرار والاعتراف بإحاطة علمه – سبحانه– وأنهم لا يمكن أن يعلموا شيئًا هو لم يعلمه، وهو أعلم بذلك منهم، تأكيدا لأممهم بأن الغيب لا يعلمه أحد غيره سبحانه ووعيدًا لهم، فالعلم كناية عن المجازاة والمحاسبة، وتأكيده تأكيد للوعيد شديد؛ لذا أكد علمه –سبحانه وتعالى– في كل مرة، وعلمه لا يحتاج إلى تأكيد، لأنه نزل من يعلم منزلة من لا يعلم، فهو سبحانه يفتح أمامهم باب التوبة علهم يعودون إلى رشدهم وصوابهم .

المبحث الثالث

السياق النحوي وأثره في تحد يد دلالة العلم في قرآن الكريم.

يراد بالمعنى النحوي: " تلك الوظيفة التي تنهض بها الألفاظ في الجملة, أو التركيب، وذلك ككون هذه الكلمة فاعلاً أو مفعولاً، أو حالاً أو تمييزًا، أو نعتًا أو توكيدًا... إلخ "(١).

ومعاني النحو تطلق ويراد بها :

أ-معاني الأبواب النحوية التي تنهض بها المفردات أو ما في حكمها من الجمل التي لها محل من الإعراب، وذلك مثل الخبر والحال والفاعل.

ب-معاني الأدوات أو الحروف مثل:(ما -لا-إنَّ-إذا) ويلحق بذلك ويتصل به معاني حروف الجر.

جـ - معاني الجمل والأساليب، مثل:(معاني الشرط والاستفهام والنهي، وغير ذلك مما يطلق عليه معاني الكلام، وقد أطلق الدكتور تمام حسان على هذا الصنف الأخير مصطلح (المعاني النحوية العامة)، وعلى الصنف الأول (المعاني النحوية الخاصة) أو (معاني الأبواب المفردة) ومثل لها بالفاعلية والمفعولية والحالية(٢).

مما سبق نستطيع أن نقسم الوحدات النحوية وفقًا للمعاني التي تدل عليها إلى مطلبين:

المطلب الأول:الوحدات النحوية الإفرادية.

المطلب الثاني: الوحدات النحوية التركيبية.

---

(١) مقدمة في فقه اللغة العربية صـ ١١٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها صـ٣٦ ، مقدمة في فقه اللغة العربية صـ ١١٩.

المطلب الأول

❁ الوحـــدات النحـــوية الإفـــرادية❁

يقصد بالوحدات النحوية الإفرادية:" الوحدات الصغرى التي تدخل ضمن مكونات جملة ما بحيث تدل على معنى مستقل عن معاني النحو"[١].

وهذه الوحدات تنقسم قسمين:

القسم الأول:

" ما دل على معنى نحوي ومعجمي معًا، ويمثله ما يسمى في الاصطلاح اللغوي الألفاظ الممتلئة، مثل: رجل، وامرأة، وجبل، وفرس، وغير ذلك من الألفاظ التي إذا سمعها ابن اللغة يحدث في ذهنه صورة لما تشير إليه في العالم الخارجي، فإذا وقعت في جملة ما فإنها تعبر بحسب إعرابها على معنى من معاني النحو، بالإضافة إلى دلالتها الفرعية" [٢] .

القسم الثاني:

ما دلّ على معنى نحوي فقط، ويطلق على هذا النوع من الكلمات مصطلح الكلمات الفارغة، أي: التي لا تحدث في الذهن صورة مقابلة لها في العالم الخارجي، أي أنها لا تشير إلى شيء إذا استعملت خارج التركيب ... ويمثل هذا الصنف في العربية ما يعرف بـ" حروف المعاني" مثل: أدوات العطف، والشرط، والاستفهام، وحروف الجر وغير ذلك مما أطلق عليه ابن هشام مصطلح المفردات[٣]، وهذه الأدوات لا معنى لها خارج السياق أساسًا، وإنما تعيش ضمن

---

(١) دلالة السياق صـ ١١٩.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق صـ ٢٢٨.

سياقها الذي تقع فيه، وتأخذ من خلاله معنى محددًا [1].

ويعنى المفسرون ببيان معاني الأدوات في التفسير ، فإن توجهت الأداة على أكثر من معنى في سياق بعينه لجأ المفسر إلى قرائن السياق ليستعين بها في تحديد معنى الأداة.

وسأقتصر في هذا المبحث على دراسة معاني الأدوات؛ لما لها من الأثر العظيم في بيان دلالة العلم في القرآن الكريم، ومما ورد منها ما يلي:

أولاً: السياق وأثره في دلالة الباء على معنى العلم:

تنوعت وظيفة (الباء) بحسب السياق الواردة فيه في آيات العلم في القرآن الكريم، مما كان له أثر بالغ في تحديد دلالته، فمرة نجدها بمعنى:

١-الملابسة:

ومما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ **(الأنعام: ١٤٣)**

سبب النزول:

أن عبدة الأصنام كانوا يحرمون ذكور الإناث تارة وإناثها تارة ، وأولادها تارة أخرى كيفما كانت ذكورا أو إناثا، فخاطب الله نبيه محمد (ﷺ) أن يأتوا له بدليل وحجة من كتاب سماوى أو أمرٍ رباني يثبت صحة قولهم، فأنكر -سبحانه وتعالى- ذلك عليهم فقال ﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ ﴾ ، أي بأمر معلوم على صحة قولكم، يقول الإمام الزمخشري:"﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ ﴾ ، أي: أخبروني بأمر معلوم من جهة الله

(١) السياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير ابن كثير نموذجًا صـ ١٣٧.

تعالى يدل على تحريم ما حرمتم، إن كنتم صادقين في أن الله حرم هذا)[١].

الشاهد : ﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ ﴾ الباء في (بعلم) للملابسة، أي نبئوني بنبأ مستعينين بعلم وحجة واضحة ودليل صادق من عند الله على صدق قولكم، يقول الإمام أبو السعود:" نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادر عنه إن كنتم صادقين في دعواكم"[٢]، وانتفاء الدليل منهم دليل على انتفاء العلم، حيث إن الدليل لا يكون إلا عن وحي سماوي، وهم لا يؤمنون بالرسل، فدل ذلك على جهلهم وفحش قولهم، بدليل قول الله تعالى بعد ذلك ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤٤).

وعليه فالعلم هنا ما قابل الجهل، يقول الإمام ابن عاشور:" والباء في (بعلم) يحتمل أن تكون للملابسة، أي أنبئوني إنباء ملابسا للعلم، فالعلم ما قابل الجهل ، أي : إنباء عالم، ولما كانوا عاجزين عن الإنباء دلّ ذلك على أنهم حرموا ما حرموه بجهالة وسوء عقل لا بعلم، وشأن من يتصدى للتحريم والتحليل أن يكون ذا علم"[٣].

((**تعقيب**))

مما سبق يتضح أن الباء أسهمت في دلالة العلم؛ حيث إن مصاحبة القول وملابسته بالعلم من جهة العالم حجة له، أما من جهة غير العالم فهي حجة عليه، ودليل مكابرة منه وعناد فيما يذهب إليه وجهل مركب منه؛ لأنه يعلم الحق ويحيد عنه عنادًا، فعدم إتيانه بالحجة والبرهان على زعمه، دليل على قبح قوله وجهله فيما يذهب إليه يقول الإمام أبو زهرة:" ... والعجز عن الدليل في وقت

---

(١) ينظر:الكشاف (٢/ ٧٤).

(٢) إرشاد العقل السليم (٣/ ١٩٣).

(٣)ينظر:التحرير والتنوير (٨أ/ ١٣٣).

الاحتجاج تسليم بالمدعي بحكم المنطق المستقيم والتفكير القيم"[1] وعليه فالعلم هنا ما قابل الجهل.

قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤) ﴾ (هود: ١٣ – ١٤)

سبب النزول:

كما هو ظاهر الآيات أن المشركين ادعوا أن القرآن الكريم ليس من كلام الخالق بل افتراه واختلقه محمد (ﷺ) ويريدون من ذلك أن يبطلوا دعوته وأن يصرفوا الناس عن اتباعه، فأمر الله –سبحانه– نبيه محمدًا أن يطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، فإن لم يستجيبوا لك فأيقنوا أن هذا القرآن أنزل من علم الله، وأنه لايستحق العبادة والألوهية غيره سبحانه[2].

(**الشاهد**) ﴿ أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ ذكر بعض المفسرين أن الباء في هذا السياق القرآني جاءت لمعنى الملابسة، والمعنى: أنزل القرآن بما لا يعلمه إلا الله من المعلومات الغيبية، ومن النظم المعجز الذي لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله، يقول الإمام الزمخشري:" ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ ، أي: أنزل ملابسًا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل له إليه"[3].

والعلم في هذه الآية هو العلم الإلهي، وهو صفة ثابتة له سبحانه، وعلم الله يكنى به غالبا عن متعلقه، وهي معلوماته –سبحانه وتعالى– فهو عالم بعلم

---

(١) زهرة التفاسير (٥/ ٢٧٠٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١١٧/ ٣٢٦)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٨٣).

أزلي قديم، وعليه فمعنى الملابسة لعلمه، أي: لمعلوماته، وهذه المعلومات لا تقع ولا تتحقق في الواقع إلا بمراده وإذنه سبحانه؛ لذا نجد أن بعض المفسرين فسروا العلم في هذه الآية بمعنى المعلومات و الإذن ، يقول الإمام ابن عطية:" قوله تعالى:﴿ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: بإذنه وعلى علم منه، والثاني: أنه أنزل بما علمه الله تعالى من الغيوب، فكأنه أراد المعلومات له"(١).

- **قوله تعالى**: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(النساء: ١٦٦)

سبب النزول :

نزلت هذه الآية في قوم من اليهود دعاهم النبي (ﷺ) إلى اتباعه، وأخبرهم أنهم يعلمون حقيقة نبوته، فجحدوا نبوته (ﷺ) وأعرضوا عنه، فأنزل الله هذه الآية(٢).

(**الشاهد**)﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ ، أي: أنزل إليك القرآن يا محمد ملابسًا لعلمه -سبحانه- وأمره، يقول الإمام ابن عاشور:" معنى ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ ، أنزله ملابسا لعلمه، أي بالغًا الغاية في الكتب السماوية، شأن ما يكون بعلم من الله – تعالى- ومعنى ذلك أنه معجز لفظا ومعنى، فكما أعجز أهل اللسان أعجز العلماء من أهل الحقائق العالية"(٣)، وذهب الإمام السمعاني إلى أن الباء هنا بمعنى (مع) ، فقال:"قوله تعالى﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ ، أي مع علمه، كما يقال: جاءني

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٥٦).
(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٣٨).
(٣) التحرير والتنوير (٦/ ٤٥).

فلان بسيفه، أي: مع سيفه، وفيه دليل على أن لله علما"[1].

وسواء كانت الباء بمعنى الملابسة أو بمعنى (مع) فالآية تدل على معنى جليل، وهو وصف القرآن بغاية الحسن ونهاية الكمال، والتعبير بالعلم كناية عن متعلقه كما مر في الآية السابقة وهو المعلومات، يقول الإمام ابن عطية:" فالعلم عبارة عن المعلومات التي في القرآن"[2].

٢- التعدية، ومما ورد في القرآن من ذلك ما يلي:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(ص: ٦٩) .

سبب النزول:

لَمَّا دَعَا سيدنا محمد (ﷺ)الناس إلى عبادة الله وأنه لا إله إلا الله ، وإلى أنه رسول من عند الله، أظهر الكفار السفاهة وقالوا: إنه ساحر كذاب واستهزءوا بقوله، فخاطب الله –سبحانه وتعالى– نبيه بدليل واضح وبرهان ساطع يحتج به لهؤلاء المشركين على صدق نبوته وصحة دعوته لا حجة تودد لهم، بل حجة دحض لدعوتهم وإفساد زعمهم فيما يقولون وإثبات لجهلهم وعنادهم فهي حجة عليهم لا لهم، قل لهم: بأن هذا القرآن وحي من عند الله ولس كما تقولون إن هذا إلا اختلاق ، بدليل علمك بالملأ الأعلى فهم يشهدون بأنك لم تشهد زمانهم ولا تعرف أخبارهم؛ لأنه ليس لك اتصال بأهل السماء، فقل لهم: ما كان لي من سابق علم بالملاكة حين اختصموا في السماء بشأن استخلاف آدم، حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

(١) تفسير السمعاني (١/ ٥٠٤).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ١٣٨).

مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠) وما علمت ذلك إلا بوحي من الله تعالى[١].

(**الشاهد**) :﴿ مِنۡ عِلۡمٍ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ ﴾ أسهمت (الباء) من خلال دلالتها السياقية في هذا المقام القرآني بشكل واضح في تحديد دلالة العلم، فذكر الإمام ابن عاشور أنها جاءت لمعنى التعدية وشأنها مع (علم) تضمينه معنى الإحاطة، يقول الإمام ابن عاشور:" والباء في قوله تعالى﴿ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ ﴾ ، لتعدية (علم) لتضمنه معنى الإحاطة، وهو استعمال شاع في تعدية العلم"[٢].

ومعنى الإحاطة هنا الإلمام بخبر أهل السماء في اختصامهم في شأن آدم، فالإحاطة هنا إحاطة بمعلوم واحد من معلومات الله الغيبية في شأن أهل السماء، لا إحاطة كاملة بشأنهم، فضلا عن الإحاطة بكل المعلومات ، فهذا لا يكون إلا لله تعالى، وفيما يحيط به البشرمن معلومات فهي إحاطة جزئية ولا يكون ذلك إلا بمراد الله، قال تعالى:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾(البقرة: ٢٥٥) "، وكما قال الخضر لنبي الله موسى عليه السلام(ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص العصفور من هذا البحر) [٣]، ومعناه من علم الله الذي بث في عباده، أي معلوماته[٤] ، أما أحاطة علم الله فهي إحاطة تامة بكل ما كان وما يكون وما هو كائن.

ومثله قوله تعالى:﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩ ﴾ (يونس: ٣٨ – ٣٩).

---

(١) ينظر: جامع البيان(٢١/ ٢٣٥)، الكشاف (٤/ ١٠٤)، مفاتيح الغيب (٢٦/ ٤٠٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٩٨).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/١٤٥).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٣٨).

سبب النزول:

نزلت هذه الآية احتجاجا على الكفار بمعجزة القرآن، فإنهم كانوا يقولون : إن محمدا قد افتراه، فقال لهم الله –تعالى–: إن كان قد افتراه، وأتى به من عند نفسه، فأتوا أنتم بمثله، ثم يقول الله– سبحانه وتعالى– لنبيه: يا محمد إن هؤلاء المشركين لم يكذبوك، فأنت مشهور عندهم بالصدق ، ولكنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، أي بما لم يعرفوا معلوماته من وعد ووعيد وثواب وعقاب وهو القرآن الكريم(١).

الشاهد ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ﴾**الباء في سياق الآية الكريمة جاءت لمعنى التعدية بقرينة** ﴿ يُحِيطُواْ ﴾**، وشأنها مع فعل الإحاطة أن تدخل على المعلوم وهو هنا القرآن الكريم، يقول الإمام ابن عاشور:" والباء هنا للتعدية وشأنها مع فعل الإحاطة أن تدخل على المحاط به وهو المعلوم، وهو هنا القرآن الكريم"(٢)، ودخولها على المعلوم مباشرة يدل على أنه توافر لهم الأدلة والبراهين على صدق ما جاء به سيدنا محمد (ﷺ) ولكنهم أعرضوا عنه لعنادهم وقبح اعتقادهم، فسمعوه ولم يفقهوه ولو فقهوه لآمنوا كما قال تعالى:** ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ ﴾**(الجاثية: ٧ – ٨) ؛ وقد عدل السياق القرآني للتعبير عن ذلك ، بقوله** ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ﴾**، ولم يقل (بما لم يحيطوا به علما)، يقول الإمام ابن عاشور:" وعدل عن أن يقال" بما لم يحيطوا به علما" إلى** ﴿ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ﴾**للمبالغة، إذ جعل العلم معلوما، فأصل العبارة قبل النفي (أحاطوا بعلمه) ، أي: أتقنوا علمه أشد إتقان، فلما نفى صار لم يحيطوا بعلمه، وكان الحق أن يحيطوا بعلمه؛ لأنه توفر لهم الأدلة على**

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٢/ ٣٨٤).

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ١٧١).

صدقه، وفي هذا مبالغة في تجهيلهم، وأنهم سارعوا إلى تكذيبه لا عن تأمل وفقه بل عن مكابرة وعناد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٨٤) "[١].

فالعلم في هذه الآية بمعنى المعلوم، والمعلوم في سياق الآية الكريمة هو القرآن الكريم.

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٧١).

- **السياق وأثره في دلالة اللام على معنى العلم**:

جاءت اللام في سياق آيات العلم على عدة معان، مما كان له الأثر الواضح في تحديد دلالته، ومن هذه المعاني ما يلي:

١- التعليل:

قد أسهمت اللام بدور إيجابي في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ **(المائدة: ٩٧) .**

فالمعنى: أن الله سبحانه وتعالى صير البيت الحرام قواما للناس في دينهم ودنياهم، أما في الدين؛ فلأنه تقوم به المناسك، وأما في المعايش، فلأن العرب كانت تسفك الدماء بغير حلها، وتأخذ الأموال بغير حقها، فإذا دخلوا البيت الحرام كفوا عن ذلك، ولا يتعرضون لأهل الحرم، ويقولون:(هم أهل الله) وذلك بأن ألهمهم الله هذا الاحترام، ففعل –سبحانه وتعالى– ما فعل كي تعلموا أن الله – سبحانه وتعالى– لما علم بعلمه القديم طباع البشر من حب القتل وأنه لو دام ذلك لهلك الناس جميعا صير لكم البيت قياما للناس (١)

الشاهد :﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

فاللام هنا جاء لمعنى السببية، حيث إن تصييره البيت الحرام قيامًا للناس كان مسببًا عن علمه –سبحانه وتعالى– بما فيه مصالح العباد، يقول الإمام الرازي:"قوله تعالى﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، والمعنى: أنه تعالى لما علم في الأزل أن مقتضى طباع العرب الحرص الشديد على القتل

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٢/ ٦٩)، زاد المسير (١/ ٥٨٨).

والغارة، وعلم أنه لو دامت بهم هذه الحالة لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون إليه من منافع البشر؛ ولأدي إلى فنائهم دبر في ذلك تدبيرًا لطيفا، وهو أنه ألقى في قلوبهم اعتقادا قويا في تعظيم البيت الحرام، وتعظيم مناسكه، فصار ذلك سببا لحصول الأمن في البلد الحرام وفي الشهر الحرام"[١] .

والعلم في هذه الآية هو العلم الإنساني، ووقوع لام التعليل قبله يمنحه أقوى درجات العلم، وهي اليقين؛ لأن هذا العلم تقدمه أدلة وحجج تقع لهم بالمعاينة، ويدركون صدقها بالتدبر والتعقل، وهذه الأدلة ترتقي بالعلم إلى درجة اليقين، فمعنى الآية (ذلك لتوقنوا أن الله ...)، يقول الإمام أبو السعود:" فإن تشريع هذه الشرائع والأحكام لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الأولوية والأخروية من أوضح الدلائل على حكمة الشارع، وعدم خروج شيء عن علمه المحيط"[٢].

فاستخدام السياق القرآني لحرف اللام في هذه الآية التي تربط السبب بالمسبب أدي ذلك إلى تحديد درجة العلم في هذا السياق وهي درجة اليقين، وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الذي لا شبهة فيه.

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (يوسف:٥٢) .

سبب النزول:

وقعت هذه الآية تعليلاً للآية التي قبلها، وهي قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ (يوسف: ٥١)، أي: فعلت ما فعلت من مسألتي للعزيز أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيدهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن ليعلم

(١) مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٤١).

(٢) إرشاد العقل السليم (٣/ ٨٢).

أني لم أخنه في زوجته بالغيب.

الشاهد: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾فاللام هنا لام كي؛ لأن علمه بأنه لم يخنه مسبب عن سؤال هؤلاء النسوة، يقول الإمام ابن عاشور:" قوله تعالى﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾هي في موقع العلة لما تضمنته جملة ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ وما عطف عليها من إقرار ببراءة يوسف (عليه السلام) بما كانت رمته به... واللام في (ليعلم) لام كي"[1]، وشأن هذه اللام أنها تأتي بعد شاهد ودليل، وهذا الشاهد وذلك الدليل يأتي لتقوية النتيجة؛ لذا ارتقت بالعلم إلى أعلى درجاته، وهي: اليقين بالدليل المشاهد، وهو إقرار امرأة العزيز ببراءة يوسف مما رمته به، وليس هناك دليل أقوى من ذلك، لتحقق وتيقن علم العزيز ببراءة يوسف، فالعلم هنا بمعنى اليقين.

٢- التأكيد:

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ (الحجر: ٢٤).

سبب النزول:

روي عن ابن عباس أنه قال: «كانت امرأة حسناء تصلي خلف (النبيّ صلّى الله عليه وسلّم) فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لكي يراها، ويتأخر بعضهم. فإذا ركع، نظر من تحت إبطيه، فنزلت الآية[2]

ذكر بعض المفسرين أن المراد بالمستقدمين أهل الطاعة، وبالمستأخرين المتخلفون عن الطاعة، أو بالمستقدمين في الصف الأول في الصلاة وبالمستأخرين في الصف الأخير، حيث إن النبي (ﷺ) حث المسلمين على

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٩٢).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني(٢/٣٨٤).

الصف الأول في الصلاة[١] .

وجاءت اللام في هذا السياق القرآني لتأكيد علم الله بالمستقدمين، والعلم بالمستأخرين، يقول الشيخ أبو زهرة:" ولقد أكد علمه بالمتقدم والمتأخر بأبلغ المؤكدات، فأكد باللام وبقد، وكلاهما للتأكيد والتحقيق"[٢].

والعلم في هذه الآية هو العلم الإلهي، وعلمه -سبحانه وتعالى- لا يحتاج إلى تأكيد، فلماذا استخدم السياق هذه المؤكدات؟

نجد أن السياق القرآني استخدم هذه المؤكدات لا لتأكيد علمه سبحانه، وإنما لتأكيد متعلق العلم، وهو هنا المجازاة بالوعد لأهل الطاعة، وبالوعيد للمتخلفين، أو لمجازاة كل إنسان على قدر نيته كما في الازدحام على الصف الأول في الصلاة، يقول الإمام الطبري:" يقول -جل ثناؤه-: نحن نعلم أعمال الخلق كلها خيرها وشرها، فنجازي كلا بأعماله إن خيرا وإن شرًا"[٣]

فجاءت اللام هنا لتأكيد متعلق العلم الإلهي وهي المجازاة.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ (الحاقة: ٤٩) .

سياق الآية يتحدث عن علم الله الأزلي بأنه سيكون في المستقبل في أمة محمد (ﷺ) من يكذب بدعوته وبما أنزل عليه من القرآن، فيقول: إنا بعثنا إليكم الرسول بهذا القرآن ونعلم أن سيكون منكم مكذبون له وبه بسبب حب الدنيا، وعلمنا بذلك لم يصرفنا عن النصح والتذكير لكم ليكون حجة عليكم يوم القيامة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة[٤].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٩/ ١٣٦).

(٢) زهرة التفاسير (٨/ ٤٠٨٢).

(٣) جامع البيان (١٧/ ٩٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ١٤٩).

الشاهد: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ ﴾ أكد –سبحانه وتعالى– علمه بكذبهم بالقرآن باللام، وعلمه غني عن التأكيد؛ ولكن المقصود بالعلم هنا هو المحاسبة؛ لذا أكد العلم لتأكيدها' فسياق الآلآية لا يتحدث عن إخبارهم بأن الله يعلم أنهم مكذبون، ولكن يخبرهم بأنه سيجازيهم على ذلك، فكني بالعلم في هذا السياق عن المجازاة ، وتأكيد العلم تأكيد للمجازاة ، وفيه من التهديد والوعيد ما فيه،يقول الإمام البيضاوي:" ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ فنجازيهم على تكذيبهم"[1]، والجزاء من جنس العمل، وجزاء كذبهم بالقرآن وبالرسول الوعيد الشديد، فالتأكيد تأكيد للوعيد، يقول الإمام أبو حيان :" ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ وعيد، أي: مكذبين بالقرآن وبالرسول (ﷺ)"[2].

(١) أنوار التنزيل (٥/ ٢٤٣).

(٢) البحر المحيط (١٠/ ٢٦٧).

- **أثر السياق في دلالة (على) وأثر ذلك في تحديد معنى العلم في القرآن الكريم**:

١- الاستعلاء:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٢).

سبب النزول:

وردت هذه الآية في سياق مجموعة آيات تبين مشهدًا من مشاهد يوم القيامة حين يتحاج أصحاب النار بأصحاب الجنة بأن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله قال أصحاب الجنة إن الله حرمهما على الكافرين، ويقول لنبيه محمد: لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب وهو القرآن الكريم مفصلا مبينا فيه الحق والباطل، والوعد والوعيد على علم منا بحق ما فصل فيه[١] .

الشاهد: ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾آثر السياق القرآني حرف الجر (على) دون غيره في هذا المقام من حروف الجر، لدلالته على معنى الاستعلاء المجازي، حيث إن هذا العلم من لدن حكيم عليم، يعلم بعلمه الأزلي القديم ما فيه من المصالح المتكاثرة لعباده فيأمرهم به، ويعلم ما فيه الضرر فينهاهم عنه، ومن كان شأنه هكذا يستعلى بعلمه على شئون خلقه، ويدل على أن علمه ذاتي، يقول الإمام ابن عاشور:" على للاستعلاء المجازي تدل على التمكن من مجرورها كما في قوله تعالى﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (البقرة: ٥)، ومعنى هذا التمكن أن علم الله ذاتي لا يعزب عنه شيء من المعلومات"[٢]، وعليه فالعلم هنا هو الأزلي القديم.

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٢/ ٤٧٧)، أنوار التنزيل (٣/ ١٥).

(٢) التحرير والتنوير (٨ب/١٥٢).

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ **(القصص:٧٨).**

سبب النزول:

لما أمر الله –سبحانه وتعالى– نبيه موسى بالزكاة، طلب من قارون أن يعطيه زكاة ماله، وأن يحسن العطية من الصدقة والخير كما أحسن الله إليه، فرد عليه قارون ممتنعا عن إعطائه الزكاة بقوله﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ ﴾ أي ما أوتيت هذا المال إلا على خير علمه الله عندي؛لذا فضلت بهذا المال عليكم لعلمه سبحانه بفضلي عليكم(١).

الشاهد ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ صرح الإمام ابن عاشور أن (على) جاءت في هذا السياق القرآني لتدل على التمكن من مجرورها فقال:" و (على) للاستعلاء المجازي بمعنى التمكن، أي ما أوتيت المال الذي ذكرتموه في حال من الأحوال إلا في حال تمكني من علم راسخ"(٢).

وسياق الآية يرجح هذا المعنى، لأن (على) سبقها شيء عظيم وهو المال، أي أن قارون ما استعلى بملكه عليهم إلا باستعلائه بعلم خاص فضله به الله عليهم، يقول الإمام أبو السعود:" ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ ﴾ ، أي : فضلت على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه"(٣).

واختلف المفسرون في العلم الذي فضل به قارون على قومه، فمنهم من

---

(١) ينظر: جامع البيان (٩/ ٦٢٦)، بحر العلوم (٢/ ٦٢٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٨٠).

(٣) إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٥).

قال: علم التوراة، وقيل: علمه بوجوه المكاسب والتجارة، وقيل: علم الكمياء، ورصد لنا الإمام ابن عطية هذا الاختلاف فقال:" اختلفوا في العلم الذي أشار إليه ما هو: فقال بعضهم: علم التوراة وحفظها، قالوا: وكانت مغالطة ورياء، وقيل: أراد العلم بالتجارب ووجوه تثمير المال، فكأنه قال: أوتيته بإدراكي وسعيي، وقيل: أراد علم الكمياء "(١).

٢- التعليل:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٤٩) .

في هذه الآية يحكي المولى سبحانه وتعالى طريقة أخرى من طرق عبدة الأوثان الفاسدة الدالة على تناقض أعمالهم، وسوء اعتقادهم؛ وذلك أنهم عند وقوعهم في ضر أو مرض أو فقر يلجئون إلى الله سبحانه ليكشف عنهم ما بهم من ضر، لكنهم في حالة الرخاء والسعة لا يشكرون الله على ذلك، ولا ينسبون هذا الفضل له سبحانه بل ينسبونه لأنفسهم، أي أن ذلك الخير حصل لهم بسبب جهدهم وكسبهم(٢).

الشاهد :﴿ عَلَىٰ عِلْمٍۚ ﴾ ، حيث جاء حرف الجر (على) في سياق الآية الكريمة لمعنى دلالي وهو التعليل (السببية)، والمعنى : ما أوتينا هذا المال إلا بسبب صنيعنا، يقول الإمام ابن عاشور :" (على) للتعليل، أي: لأجل ، أي بسبب علم "(٣)، وقد أشار الإمام إلى لطيفة جميلة، وهي اختلاف دلالة(على) في سياق هذه الآية عنها في سياق آية القصص ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٣٠٠).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ٤٥٨).
(٣) التحرير والتنوير (٢٤/ ٣٥).

(الآية: ٧٨) ، فذكر أن في آية القصص أفضلية لقارون على باقي قومه، بعلمه الخاص الذي منحه الله له، وهذا السياق يرجح استعمالها لمعنى التمكن والاستعلاء، أما في الآية التي بين أيدينا، فليس هنا علم خاص يفضل به شخص على غيره بل هو علم يشترك فيه كثير؛ لذا استعملها السياق القرآني هنا بمعنى التعليل ، يقول الإمام ابن عاشور:" وخولف بين هذه الآية وبين آية سورة القصص في قوله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ لأن المراد بالعلم هنا مجرد الفطنة والتدبر، وأريد هناك علم صوغ الذهب والفضة والكمياء التى اكتسب بها قارون في معرفة تدبيرها مالا عظيًما، وهو علم خاص، وأما هنا: فهو العلم الذي يوجد في جميع أهل الرأي والتدبر ، والمراد: العلم بطرق الكسب ودفع الضرر كمثل حيل النوتي وهو في البحر"[١].

مما سبق نجد أن السياق القرآني قام بدور كبير في تحديد دلالة العلم من خلال حرف الجر (على) ومعانيه المختلفة.

(١) التحرير والتنوير (٢٤/ ٣٥).

**السياق وأثره في دلالة(قد) وأثر ذلك في تحديد معنى العلم .

قال تعالى:﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٣) .

سبب النزول:

هذه الآية مسوقة لتسلية قلب النبي (ﷺ)عما أصابه من الحزن بسبب ما رماه به قومه من السحر والجنون وقول الشعر، والكذب، ورفضهم دعوته ودينه جهارا ، فأمره –سبحانه وتعالى– بالصبر ووعده بالنصر، فقال –جل ثناؤه–: إنهم لا يكذبونك يا محمد بما أتيتهم به من وحي، ولكنهم يجحدون حقيقته قولا فلا يؤمنون به ويعلمون صحته، فقد روى السدي أن الأخنس التقى بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق أم كاذب؟ فقال: ويحك، والله إنه لصادق، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ [(١)].

الشاهد:﴿ قَدْ نَعْلَمُ ﴾ ، اختلف المفسرون في دلالة (قد) في سياق الآيةالكريمة، فذكر الإمام الزمخشري أنها بمعنى (رب) التي تأتي للتكثير في الفعل، فقال:" ﴿ قَدْ نَعْلَمُ ﴾ بمعنى (ربما) الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله الشاعر:

قدْ أترُك القِرنَ مُصْفَرًّ أنامِلُه ... كأنَّ أثوابَه مُجَّتْ بفِرْصَادِ[(٢)] "[(٣)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١١/ ٣٣٣)، مفاتيح الغيب (١٢/ ٥١٨)، إرشاد العقل السليم (١٢٦/٣).

(٢) لم أستطع الوقوف على قائله .

(٣) الكشاف (٢/ ١٧).

ورد الإمام أبو حيان على الزمخشري هذا القول وحكم بعدم شهرته، ونص على ما استشهد به الزمخشري على أن (قد) تفيد التكثير، فنص على أن التكثير مستفاد من سياق القول لا من طبيعة (قد)، أما في الآية الكريمة فالتكثير في علم الله محال، و (قد) جاءت في سياق الآية للتأكيد والتحقيق، ، فقال:" وما ذكره الإمام الزمخشري من أن (قد) تأتي لتكثير الفعل والزيادة، فقول غير مشهور، وما استشهد به من البيت من أن قد فيه تكون للتكثير، فإن التكثير لم يفهم من (قد) وإنما من سياق الكلام؛ لأنه لا يحصل الفخر والمدح بقتل قرن واحد، وإنما يحصل بكثرة وقوع ذلك، وعلى تقدير أن قد تكون للتكثير في الفعل وزيادته، فلا يتصور ذلك في قول الله تعالى﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ ﴾ ؛ لأن علمه سبحانه لا يمكن فيه الزيادة والتكثير، (وقد) تأتي هنا لتأكيد الشيء وإيجابه وتصديقه"(١).

وعليه (فقد) في سياق هذه الآية جاءت لمعنى التحقيق والتأكيد، وهذا القول قال به جمع من المفسرين، يقول الشيخ أبو زهرة:" (قد) هنا للتحقيق وتأكيد العلم، وقد حاول بعض العلماء أن يجعلها للتكثير، ولكن التحقيق جاء في موضوعها لا في ذاتها، وإني أقول: لا أعلم أنها جاءت في القرآن داخلة على المضارع إلا بمعنى التأكيد ، وكتاب الله فوق ما يقرره علماء النحو"(٢).

و(قد) هنا مدخولها هو العلم الإلهي، وشأنها مع مدخولها التأكيد والتحقيق، هذا ظاهر الكلام في (قد)، ولكن علم الله- سبحانه وتعالى- لا يحتاج إلى تأكيد وتحقيق، وإنما المراد من التحقيق في هذه الآية هو تحقيق متعلق العلم، وهو حزن النبي (ﷺ)، وما يترتب على هذا الحزن من تسلية قلب النبي (ﷺ) وأنه في معية الله فهو يحميه من كيدهم ومكرهم، وأيضا تأكيد الوعيد الشديد لهؤلاء المشركين بسبب إيذائهم لحبيبه محمد (ﷺ)، يقول الإمام أبو

(١) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٨٧).

(٢) زهرة التفاسير (٥/ ٣٤٨٤).

السعود:" قوله تعالى﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ﴾ استئناف مَسوق لتسليةِ رسولِ الله (ﷺ) عن الحزن الذي يعتريه مما حُكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه، ببيان أنه (عليه الصلاة والسلام) بمكانة من الله- عز وجل - وأن ما يفعلونه في حقه فهو راجعٌ إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشدَّ انتقام وكلمةُ (قد) لتأكيد العلم بما ذكر المفيدِ لتأكيد الوعيدِ"(١).

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣) .

سبب النزول:

نزلت هذه الآية في شأن المنافقين، حيث كان يثقل عليهم الحديث يوم الجمعة والجلوس في المسجد، فكان إذا استأذن رجل من المسلمين، قام المنافق إلى جنبه يستتر به على سبيل الخفية، فأخبرهم -سبحانه وتعالى- أنه أخبر رسوله (ﷺ) بهم، فقال﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢)

الشاهد: ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ﴾حيث دخل حرف (قد) على العلم الإلهي، وأسهمت (قد)في سياق الآية القرآنية بشكل جلى في تحديد دلالة العلم، وهو إفادتها معنى التحقيق والتوكيد للخبر، يقول الإمام ابن عاشور:" وقد لتحقيق الخبر بأنهم يظنون أنهم تسللوا مستترين لم يطلع عليهم النبي (ﷺ) فأعلمهم الله

(١) إرشاد العقل السليم (٣/ ١٢٦).

(٢) ينظر : الدر المنثور (٦/ ٢٣١).

أنه علمهم، أي: أنه أعلم رسوله بذلك"[1].

وليس معنى تأكيد الخبر إخبارهم بعلم الرسول بهم- فلم يكن للإعلام فقط- ولكن تأكيد لما يترتب عليه هذا العلم من المجازاة بالتهديد والوعيد لصنيعهم، يقول الإمام أبو حيان:" وأدخل (قد) ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد"[2]، ويقول الإمام ابن الجوزي:" ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ ﴾التهديد بالمجازاة "[3].

فدخول (قد) هنا على العلم الإلهي، أسهم في دلالته، حيث أخرج العلم من معناه الحقيقي إلى معنى كنائي وهو المجازاة والمحاسبة، وإفادتها معنى التوكيد أدت إلى توكيد المجازاة؛ لأن من علم شيئًا جازى عليه، وهي هنا وعيد.

قال تعالى:"﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف: ٥) .

سبب النزول:

نزلت في شأن أصحاب الرسول (ﷺ)، حيث إنهم بعد ما فروا يوم أحد، قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى، وأفضل لفعلناه، فنزل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢)، وقيل : قالوا ذلك قبل يوم أحد،فابتلوا بذلك وفروا، فنزل تيسيرا لهم في ترك الوفاء ،

ثم خاطب الله- سبحانه وتعالى- نبيه محمدًا (ﷺ) بطريق التلوين، فقال له: اذكر يا محمد لهؤلاء المعرضين عن دينك، حال بني إسرائيل حين أعرضوا عن

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٣١٠).

(٢) البحر المحيط (٣/ ٢٦٠).

(٣) زاد المسير (٣/ ٣١٠).

نبيهم موسي (عليه السلام)، فلم يمتثلوا لأمره، وعصوه أشد العصيان وهم موقنون أنه رسول الله، وعلمهم بذلك يفضي إلى المسارعة لطاعته، فلما عدلوا عن قصد السبيل ومالوا عن الحق، أمال الله قلوبهم عن الهدي فثبتوا على اليهودية(١).

الشاهد: ﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾، دخلت (قد) في هذه الآية على العلم الإنساني، وذهب المفسرون أن (قد) في سياق الآية الكريمة جاءت لمعنى التوكيد والتحقيق، وهو هنا لتأكيد العلم لا متعلقه، حيث إن العلم هنا علم إنساني، وربما يكون شكًّا أو ظنا أو يقينا، لأنه حادث يحتاج في إثباته إلى دليل، و(قد) شأنها هنا مع مدخولها التحقيق، وتحقيق العلم وتأكيده يجعله اعتقادا جازما مطابقًا للواقع ، بالدليل المشاهد وهي المعجزات التي أظهرها الله على يد نبيه، فليس الخبر كالعيان، وهذه الأدلة ترتقي بالعلم إلى أعلى درجاته، وهي اليقين، يقول الإمام أبو السعود:"﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ﴾(قد) لتحقيق العلم... والحال أنكم تعلمون علمًا قطعيًا مستمرًا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة"(٢).

وهذه الأدلة من شأنها أن ترتقي بالعلم إلى أعلى درجاته، لا سيما وإن كان الدليل مشاهد بالعين، وهذا ما جعل الإمام الزمخشري يحكم على العلم هنا باليقين، فقال:" معنى (قد) في قوله ﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ﴾ التوكيد، كأنه قال : وتعلمون علما يقينيًا لا شبهة لكم فيه"(٣)، لا سيما وأن مدخولها فعل مضارع، يقتضى تجدد العلم واستمراريته، وهذا يقتضي منهم دوام الامتثال لما يأمرهم به؛

(١) ينظر: جامع البيان (٢٣/ ٣٥٨)، وإرشاد العقل السليم (٨/ ٢٤٣).
(٢) إرشاد العقل السليم (٨/ ٢٤٣).
(٣) الكشاف (٤/ ٥٢٤).

لدوام تأكيد علمهم بنبوته، يقول الإمام ابن عاشور:" والإتيان بعد (قد) بالمضارع هنا للدلالة على أن علمهم بذلك مجدد بتجدد الآيات والوحي، وذلك أجدى بدوام امتثاله"(١)؛ ولذا ذيلت الآية بأشد عقاب وهو قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ تهديد ووعيد لهؤلاء المكذبين لموسى (عليه السلام) بعدم هدايتهم بعد ظهور الأدلة المشاهدة التي لا شبهة فيه في صدق نبوته (صلى الله عليه وسلم)فكانت هذه الأدلة حجة عليهم لا لهم لعدم عملهم بما يقتضيه علمهم، وتأكيد العلم هنا يقتضي أيضا تأكيد العقاب الأليم لهم.

مما سبق نجد أن (قد) أسهمت بشكل إيجابي من خلال السياق القرآني في تحديد دلالة العلم، وما يترتب على هذه الدلالة من وجوب الاتباع والطاعة، والعقاب الأليم عند عدم العمل بما يقتضيه يقين علمهم بنبوته (ﷺ)، وجاء العلم هنا في أعلى درجاته وهي: اليقين بطريق الدليل المشاهد المعاين، وهو المعجزات الظاهرة الدالة على صدق نبوته (ﷺ).

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٨).

* (أنْ) **الجازمة وأثرها في تحديد دلالة العلم من خلال السياق**:

قال تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٤).

سبب النزول:

لما فرض الصوم رخص الله –سبحانه وتعالى– لذوي الحاجات الخاصة رخصًا تيسيرًا لهم فقال تعالى:﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ ثم رغب –سبحانه وتعالى –في الصيام للمستطيع الذي يفتدي في سفره وقال﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، أي إن كنتم تعلمون ثوابه على الاحتمالات الأخرى(١).

(**الشاهد**)-﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وهي جملة جواب الشرط، فعلمهم بفوائد الصوم سبب لقيامهم بالواجب المفروض عليهم، واستخدم السياق القرآني من أدوات الشرط (إنْ) لعدم تحقق علمهم بفوائد الصوم؛ لأن معناها الاحتمالية، يقول الإمام ابن عاشور:" ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: إن كنتم تعلمون فوائد الصوم دُنْيا وثوابه أخرى، أو إن كنتم تعلمون ثوابه على الاحتمالات الأخرى، وجيء بكلمة الشرط (إنْ)؛ لأن علمهم بالأمرين من شأنه ألاّ يكون محققًا؛ لخفاء الأمرين"(٢).

وقد أشار الشيخ أبو زهرة إلى معنى دلالي آخر لـ (إنْ) وهو الحث على فرضية الصيام والصبر، فقال: " وقد ذكر التعليق بـ(إنْ)حثا على طلب علم

(١) ينظر: بحر العلوم (١/ ١٢١)، مدارك التنزيل (١/ ١٥٨).
(٢) التحرير والتنوير (٢ / ١٦٨).

الغاية من فرضية الصيام، وهو تربية نفوسكم على الصبر"[١].

مما سبق يتضح أن استخدام السياق القرآني لـ (إنْ) الشرطية دون غيرها من الأدوات؛ لما فيها من معنى الاحتمالية، وشأنها مع فعل العلم ألا تجعله يقينيا، بل تجعله ظنيا، وعليه فالمعنى (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تظنون".

قال تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٣٣).

سبب النزول:

نزلت هذه الآية في غلام لحويطب بن عبد العُزى يقال له: صبيح سأل مولاه أن يكاتبه، فأبي فنزلت هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين فأداها[٢].

الشاهد : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾حيث عَلَّقت (إنْ) الشرطية تحقيق الجواب بشرط تحقيق الشرط، والشرط هنا لا يكون محققًا إلا بدليل مشاهد، وقبل المكاتبة ليس هناك دليل، وعدم وجود دليل يخرج العلم من اليقين إلى الظن ، وقد صرح الإمام ابن عاشور بظنية مدخول (أنْ)، فقال:" ومعنى:﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾أي: إن ظننتم أنهم لا يبتغون بذلك إلا تحرير أنفسه، ولا يبتغون بذلك تمكنا من الإباق، وذلك الخير بالقدرة على الاكتساب وبصفة الأمانة، ولا يلزم أن يتحقق دوام ذلك؛ لأنه إن عجز عن إكمال ما عليه رجع عبدًا كما كان"[٣].

---

(١)زهرة التفاسير (١/٥٥٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٧٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ٢١٨).

****أثر (السين وسوف) في تحديد دلالة العلم من خلال السياق القرآني.**

قال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ **(هود: ٣٨ – ٣٩) .**

سبب النزول:

روي أنه لما أتى جبريل (عليه السلام) نوحا (عليه السلام) فقال : إن ربك يأمرك أن تصنع الفلك، قال : كيف أصنع ولست بنجار؟ فقال : إن ربك يقول: اصنع الفلك فأنت بعيني، فأخذ القدوم وجعل يصنع الفلك فلا يخطئ موضعا، وكان قومه إذا مروا عليه، سخروا منه وقالوا: إن هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجارا، فقال لهم نوح إن تسخروا مني فسترون عَاقِبَة سخريتكم، بنزول عذاب دام عليكم عَذَاب دَائِم، وَهُوَ الْغَرق(١).

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله –سبحانه وتعالى– نبيه بمشهد من مشاهد إيذاء قوم نوح له وسخريتهم من نبيهم نوح (عليه السلام) حينما كانوا يمرون عليه وهو يصنع السفينة، فقال لهم: إنّا نسخر منكم كما تسخرون، مهددا لهم بالوعيد فقال عز من قائل: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ **، أي: فسوف تعلمون أيها القوم إذا جاء أمر الله من الهالك ويحل عليه يوم القيامة عذاب أليم(٢).**

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٢٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٣١٧).

الشاهد:﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ، حيث دخلت (سوف) على فعل (العلم) الإنساني ، وسوف حرف تنفيس للمستقبل البعيد واستخدمه السياق القرآني في هذه الآية الكريمة للدلالة على تحقيق هذا العلم في المستقبل، وقد نص الإمام أبو السعود على أن العلم هنا عرفاني فقال:" ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ سوف تأكيد لمضمون الجملة والعلم هنا عرفاني"(١)، وقد حدد الشيخ أبو زهرة طريق هذا العلم ودرجته، فذكر أن طريقه العلم المشاهد في المستقبل، والمعاينة دليل تيقن وقوعه، وعليه فالعلم هنا يقيني؛ لأنه بالدليل المشاهد، وليس الخبر كالعيان، يقول الشيخ أبو زهرة:" كلمة (فسوف) لتحقيق العلم؛ لأنه سيكون علم بالدين المشاهد لا إخبار"(٢)، وليس المراد من قول نوح (عليه السلام) مجرد إخبارهم بأنهم سيعرفون من يكون يوم القيامة في العذاب الأليم، وإنما الخبر يحمل ا وهو الوعيد لهم بسبب صنيعهم، يقول الإمام السمرقندي:"قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني: فسوف تعرفون بعد هذا من أحق بالسخرية، وهذا وعيد لهم"(٣)، وهو وعيد محقق، يقول الإمام ابن عاشور: قوله تعالى﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ هذا صريح في التهديد؛ لأن إخبارهم بأنهم سيعلمون يفيد وقوع ذلك لا محالة"(٤).

مما سبق يتضح أن حرف التنفيس جاء للتأكيد، وتأكيد العلم ارتقى به إلى درجة اليقين بطريق الدليل المعاين، وكني عن تيقن العلم بتيقن المجازاة، وهي الوعيد بالعذاب الدائم لقوم نوح.

---

(١) إرشاد العقل السليم (٣/ ١٨٨).

(٢) زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٠٨).

(٣) بحر العلوم (٢/ ١٥٠).

(٤) التحرير والتنوير (٨أ/ ٩١).

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ **(مريم: ٧٥)**.

سبب النزول:

ذكر في سبب نزول هذه الآية أن المشركين كانوا يقولون لفقراء المؤمنين : نحن أعز مجلسًا وأحسن مكانًا وأكثر مالًا، وإن الله إنما يحسن لأحب الخلق إليه، وينعم على أهل الحق، فأمر الله –سبحانه وتعالى– نبيه أن يقول لهم ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ وعند الوصول إلى الغاية المحتومة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا[١].

الشاهد: ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ **استخدم السياق القرآني حرف السين في هذا الموضع للدلالة على توكيد وتحقيق حصول المعلوم لهم في المستقبل، وليس للدلالة على الاستقبال، يقول الإمام ابن عاشور:" وحرف الاستقبال لتوكيد حصول العلم لهم حينئذ، وليس للدلالة على الاستقبال؛ لأن الاستقبال استفيد من الغاية"[٢]، والمقصود بالمستقبل يوم القيامة، والعلم في هذا اليوم لا يكون بالخبر ولكن بالمعاينة والمشاهدة، فحينئذ يوقنون بالعذاب، أما في الدنيا فهم ينكرونه؛ لأنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم، أما المؤمنون فعلمهم يقيني في الدنيا بذلك عن طريق الوحي، بأنهم شر مكانا وأضعف جندا، يقول الإمام الزمخشري:" فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه، وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مكانا وأحسن نديا"[٣]، والمعاينة طريق حسي برؤية العين، يقول**

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ٣٠٩)، المحرر الوجيز (٤/ ٢٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٦/ ١٥٧).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٧).

الإمام ابن عطية:" قوله ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾والرؤية رؤية العين"[1]

مما سبق يتضح من خلال السياق القرآني أن العلم يقيني بدلالة السين على التوكيد، وطريقه هو حاسة البصر، وهذا من أقوى الأدلة على تيقن حصوله، وكني به عن المجازاة لا مجرد إخباره بالعلم، وعليه فتأكيده تأكيد للمجازاة وهي تهديد بالعذاب اللاحق بهم يوم القيامة إذا ثبتوا على زعمهم ولم يهتدوا بالآيات الواضحات المنزلة من عند رب الأرض والسماوات لا تأكيد بحصول العلم.

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٢٩).

المطلب الثاني

الوحـــدات النحــوية التركيبية وأثرها في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم

يـراد بالوحـدات النحويـة التركيبيـة هنـا: كـل مـا دلّ علـى معنـى يوصـف بـه التركيب أو الجملة بأسرها، وذلك مثل: الاستفهام والأمر ، أو غير ذلك مما أسماه ابن فارس[١] " معاني الكلام "[٢].

وتنقسم هذه الوحدات التركيبية وفقًا لعلاقتها بالمتكلم والمخاطب إلى قسمين هما:

الأول: وحدات نحوية تتعلق بموقف المخاطب من موضوع الحديث، ويمكن أن يطلـق علـى هـذه الوحـدات النحويـة التركيبيـة المتعلقـة بالمخاطـب " الوحـدات النحوية الخبرية، وقد ترد هذه الوحدات في حالة النفي وفي حالة الإثبات وهذا النوع تختص به اللغة العربية، إذ لا نجد تقسيمًا مماثلاً لذلك فيما نعرفه عن المعاني النحوية في اللغات الأخرى"[٣].

الثاني: وحدات نحوية تتعلق بموقف المتحدث أو علاقته بموضوع الحديث، ويطلق عليها" الوحدات النحوية الإنشائية " وتوجد في جميع اللغات وإن كانت تختلف في العدد من لغة إلى أخرى"[٤].

---

(١) ينظر: الصاحبي صـ ١٣٣.

(٢) دلالة السياق صـ ٢٢٨.

(٣) السابق صـ ٢٣٠ (بتصرف).

(٤) السابق صـ ٢٢٩ (بتصرف)، وينظر: الظواهر الدلالية في تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (٢/٦٦٠).

أولا: الخبر:

يقول ابن فارس: " أهل اللغة لا يقولون في الخبر أكثرَ من أنّه إعلامٌ، تقول: (أخبرتُه، أخُبِرْه) والخبر هو العلم، وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه. وهو إفادة المخاطَب أمرًا في ماضٍ من زمان أو مستَقبل أو دائم. نحو (قام زيد)، و(يقوم زيد)، و(قائم زيد) "[1].

والغرض من إلقاء الخبر: إما إفادة المخاطب أمرًا كان يجهله، مثل قولك "جاء محمد" لمن يجهل مجيئه، ويسمى هذا النوع فائدة الخبر.

وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بالحكم وهذا يسمى لازم الفائدة[2].

وفي كلتا الحالتين لا بد من مراعاة حال المخاطب من حيث موقفه من الخبر إيجابا وسلبا، فيكون بقدر الحاجة لا زائدا عنها ولا ناقصا؛ لئلا يخل بالغرض، فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ألقي إليه الكلام دون تأكيد ويسمى (ابتدائيا) نحو: (محمد قائم)، وإن كان المخاطب مترددا في الحكم طالبا له أكد له الكلام ، ويسمى ذلك الضرب (طلبيا)، تقول للمتردد: (إن محمدًا قائم)، وإن كان المخاطب منكرا للحكم وجب توكيد الكلام بما يتناسب مع إنكاره قوة وضعفا ويسمى هذا الضرب (إنكاريا)، تقول للمنكر:" إن عبد الله لقائم" ، أو " والله إن عبد الله لقائم".

وبالنظر في الآيات الدالة على العلم وجدت أن الخبر مؤكدا أو غير مؤكد يخرج خروجا دلاليا في اتجاهين:

الأول: خروج الخبر عن مراعاة حال المخاطب إلى مراعاة حال المتكلم،

---

(١)ينظر: الصاحبي صـ ١٣٣.

(٢) جواهر البلاغة (١/ ٥٥).

فينزل المتكلم المخاطب منزلة غير منزلته، ومن ذلك:

١-تنزيل خالى الذهن منزلة المتردد، ومنه:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠) .

لما أخبر الله –سبحانه وتعالى– الملائكة باستخلافه لآدم في الأرض أثار هذا الخبر سؤالا من الملائكة، حيث قالوا على سبيل المحاورة لا الاعتراض ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ﴾ **فأجابهم الله –سبحانه وتعالى– بقوله:** ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، **أي: أعلم من الحكمة في خلق آدم واستخلافه في الأرض ما لا تعلمون، فنبههم– سبحانه وتعالى– على قصور علمهم إنهاءً للمحاورة، وإجمالا للحجة على الملائكة بأن سعة علمه سبحانه وتعالى تحيط بما لم يحط به علمهم، يقول الإمام ابن عاشور:"** ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **جواب لكلامهم على أسلوب المقاولة في المحاورة ... وقد كان قول الله تعالى هذا تنهية للمحاورة، وإجمالا للحجة على الملائكة بأن سعة علمه سبحانه وتعالى تحيط بما لم يحط به علمهم، وأنه حين أراد أن يجعل آدم خليفة كانت إرادته عن علم بأنه أهل للخلافة"(١).**

الشاهد: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **جاء السياق القرآني في هذه الآية مؤكدًا الخبر بـ (إنّ) الثقيلة، وكان الأحرى أن يأتي الخبر خاليًا من التوكيد؛ لأن المخاطب لا ينكر هذا الحكم، ولا يتردد في أن علم الله يحيط بما لم يعلموا به، ولكن تقدم في الكلام تساؤل للملائكة وهو قوله تعالى:** ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٠٦).

وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ ﴾ فحسن عندئذ تأكيد الكلام؛ تنزيلا لخالي الذهن منزلة السائل (المتردد في الحكم)، يقول الإمام ابن عاشور: " وتأكيد الجملة بإن؛ لتنزيل الملائكة في مراجعتهم وغفلتهم عن الحكمة منزلة المترددين "(١) .

***ومما ورد من ذلك قوله تعالى**: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل: ١٥).

هذا إخبار من الله –سبحانه وتعالى– لنبيه محمد (ﷺ) تسلية لقلبه، عما أصابه من تكذيب قومه لرسالته، مع علمهم بصدقها، فقص عليه قصص من سبقه من الأنبياء، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ﴾ فهذه الآية وما قبلها من قصص سيدنا موسى –عليه السلام– كالبيان والتقرير لما سبق ذكره من أنه (ﷺ)يلقى القرآن من لدن حكيم عليم(٢)،

الشاهد: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ﴾ حيث جاء السياق القرآني في هذه الآية مؤكدًا بلام القسم، وحرف التحقيق (قد) مع أن المخاطبين لا ينكرون ذلك، ولكن باعتبار جحود نبوة مثل داود وسليمان ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤)؛ لذا نزّل المخاطبين منزلة من يتردد في الحكم، فناسب ذلك تأكيد الخبر ، يقول الإمام ابن عاشور: " وافتتاح الجملة بلام القسم وحرف التحقيق؛ لتنزيل المخاطبين منزلة من يتردد في الحكم؛ لأنهم جحدوا مثل نبوءة داود وسليمان"(٣).

(١)التحرير والتنوير (١/ ٤٠٧).
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٧٦)، فتح القدير (٤/ ١٤٩).
(٣) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٤).

والمراد من العلم هنا طائفة من العلم أو علما سنيًا عزيز، يقول الإمام أبو حفص سراج الدين:" والمراد من العلم، أي: علم القضاء ومنطق الطير والدواب، وتسبيح الجبال، والمعنى: طافة من العلم، أو علما سنيًا عزيزًا"(١)

٢-تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، إذا بدا عليه أمارات الإنكار، ومن ذلك:

قوله تعالى :﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (هود: ٧٩).

جاءت هذه الآية في معرض حوار دار بين نبي الله لوط-عليه السلام- وقومه، حيث إن الملائكة جاءوا إلي بيت نبي الله لوط، ولم يكن يعرف أنهم رسل الله، فساءه مجيئهم، فذهبت امرأته الكافرة إلى قومه وأخبرتهم بمجيء هؤلاء، فلما سمعوا جاءوا لقصد الفاحشة، وهي إتيان الرجال، وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش، فأراد أن يقي أضيافه ببناته، فقال لهم﴿ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾(هود: ٧٨) ، فقالوا له على وجه الخلاعة مستشهدين بعلمه ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (٢)، أي : إنك تعلم أنه ليس لنا حاجة في النساء، وإنك لتعلم ما نريد، أي أننا نريد أدبار الرجال.

الشاهد :﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ حيث أكد القوم لنبيهم لوط (عليه السلام) الخبر، وهو علمه بشأنهم وطبائعهم مع أن نبي الله لوطًا غير منكر لعادتهم، ولكنه لما بدا عليه شيء من علامات الإنكار بقوله بخلاف مقتضى علمه وهو ﴿ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أكدوا له الخبر بأكثر من مؤكد وهو (إنَّ)، واللام تنزيلا له منزلة من ينكر الحكم، يقول الإمام

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ١٢٢)

(٢) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٤٨)، تفسير السمعاني (٢/ ٤٤٦)، الكشاف (٢/ ٤١٤).

ابن عاشور:" ولقد علمت، تأكيدا لكونه يعلم، فأكد بتنزيله منزلة من ينكر أنه يعلم؛ لأن حاله في عرضه بناته كحال من لا يعلم خُلُقُهم، وكذلك التوكيد في قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ وكلا الخبرين مستعمل في لازم فائدة الخبر"(١).

ومما ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٥) .

ذكر ذلك الخبر في معرض حديث سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مع أهل الشرك حين كسر أصنامهم، فسألوا سؤال من يعلم الإجابة (من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟)، فأجابهم بقوله: بل فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فأجابوه بقولهم: (لقد علمت يا إبراهيم أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!(٢).

الشاهد :﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾

فقولهم (لقد علمت) تأكيد لكونه يعلم، وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) لا ينكر عجزهم عن النطق وهم يعلمون ذلك؛ لكنهم نزلوه منزلة من ينكر الحكم؛ لما بدا عليه من أمارات الإنكار، لقوله بخلاف مقتضى علمه؛ لذا آثر السياق القرآني التأكيد هنا بأكثر من مؤكد، حيث أكدوا علمه بـ (اللام)، وحرف التحقيق (قد) وبالنفي، يقول الشيخ أبو زهرة:﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ مؤكدين أنه يعلم أن هؤلاء التماثيل لا تنطق ، وليس من شأنها أن تنطق؛ لأنها ليست كائنا حيا، فضلا عن أن يكون إنسانا ينطق، وأكدوا أنه يعلم ذلك بـ(اللام)وبـ (قد) وبالنفي بـ (ما) الدالة على النفي بالماضي"(٣)، وتأكيد العلم دليل على

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٩).
(٢) ينظر: مدارك التنزيل(٢/ ٤١١)، البحر المحيط (٧/ ٤٤٩)، روح المعاني (٥/ ٤٩٦).
(٣) زهرة التفاسير (٩/ ٤٨٨٩).

تيقنه،وعليه فالمراد من العلم هنا: اليقين، وهي أعلى درجات العلم الإنساني، وطريقه: الدليل المشاهد، وهو انعدام آلة النطق (الألسن) لديهم، وقوي الاتصاف بعدم النطق بقوله تعالى:﴿مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾[١]

كان الغرض من قول سيدنا إبراهيم بسؤالهم إظهار عجز هذه الأصنام، وأنها لا تنفع ولا تضر ، وإظهارا لفرط جهل قومه وعنادهم؛ حيث إنهم احتجوا على إبراهيم بما هو حجة له، وفي ذلك دليل لنفي ألوهيتهم[٢].

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ١٠٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٥٧).

الاتجاه الدلالي الثاني هو: خروج الخبر عن معناه الأصلي (لازم الفائدة) إلى أغراض أخرى منها:

١-المجازاة سواء كانت وعدًا ووعيدا،

١- الوعد والوعيد :

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ **(محمد: ٢٩ - ٣٠)**

سبب النزول:

كان المنافقون يخاطبون النبي (ﷺ) بكلام تواضعوه فيما بينهم، وكان النبي (ﷺ) يأخذ بظاهر كلامهم، فنبهه -سبحانه وتعالى- إلى ذلك، فكان بعد ذلك يعرف المنافقين إذا سمع كلامهم(١).

الشاهد: قوله سبحانه﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾

هذه الآية خطاب عام يشمل المؤمن والمنافق، وقيل: خطاب للمؤمنين فقط(٢)، وعلى جعل الخطاب خاصًّا بالمؤمنين ، ففي هذا الخبر وعد بالإثابة للمؤمنين؛ لكون حالهم خلاف حال المنافقين، يقول الإمام الرازي:"﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ وعد للمؤمنين، وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافقين، فإن المنافق كان له قول بلا عمل، والمؤمن كان له عمل ولا يقول به"(٣)، فهنا خرج

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١٢٢).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٧٥).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٨/ ٥٩).

الخبر عن معنى إفادة الحكم إلى معنى دلالي آخر وهو وعد من الله- سبحانه وتعالى- بالإثابة للمؤمنين على حسن صنيعهم، وإن كان الخطاب يشمل المؤمن والكافر، ففي الخبر وعد للمؤمن ووعيد للكافر، يقول الإمام ابن عاشور:" ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ تذييل، فهو لعمومه خطاب لجميع الأمة، المقصود منه التعليم، وهو مع ذلك كناية عن لازمه وهو الوعيد لأهل الأعمال السيئة على أعمالهم، والوعد لأهل الأعمال الصالحة على أعمالهم، وتنبيه لأهل النفاق بأن الله يوشك أن يفضح نفاقهم، كما قال تعالى:" ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴾ "[(١)]

ومثله قوله تعالى:﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

يقول الله -سبحانه وتعالى- لنبيه (ﷺ): اقرأ ما أوحي إليك من القرآن، وأقم الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها، فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولا شيء أكبر من ذكر الله سبحانه وتعالى، والله يعلم ما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم به.

فالآية إخبار من الله -سبحانه وتعالى- لنبيه محمد (ﷺ) بأنه يعلم ما تصنعون ، فليس المراد منه إثبات الحكم وهو علم الله بصنيعهم؛ لأن النبي (ﷺ) يعلم ذلك، بل خرج إلى معنى آخر وهو المجازاة خيرًا أو شرًا؛ حيث إن المجازاة من مقتضيات العلم، يقول الإمام السمرقندي:" والله يعلم ما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم به"[(٢)]، فالخبر يتضمن الوعد بالثواب الجزيل من الله

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٢٢)
(٢) بحر العلوم (٢/ ٦٣٦).

للمطيع، والوعيد بالعذاب الشديد للعاصي،، يقول الإمام ابن عاشور:﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ تذييل لما قبله، وهو وعد ووعيد باعتبار ما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ "[1]

٢ – الوعيد والتحذير:

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرَا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (الأنعام: ١١٩) .

الآية إخبار من الله –سبحانه وتعالى– لنبيه بإحاطة علمه –سبحانه– بكل معتد يعلمه الرسول والمسلمين أو لا يعلمونه، ولكن ليس المقصود الإخبار فحسب، بل أفاد مع الإخبار معنى آخر وهو المجازاة لهؤلاء المعتدين، حيث إنها من مقتضيات العلم ، يقول الإمام الرازي:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾والمراد منه أنه هو العالم بما في قلوبهم وضمائرهم من التعدي، وطلب نصرة الباطل، والسعي في إخفاء الحق، وإذا كان عالما بأحوالهم وكان قادرًا على مجازاتهم، فهو تعالى يجازيهم عليها"[2].

ولهذا أكد الخبر في حين أن المخاطب لا ينكر علم الله بهم، وذلك لخروج الخبر عن معناه الحقيقي –في إفادة الحكم بعلم الله بالمعتدين– إلى المجازاة بالوعيد الشديد لهم على جرمهم، يقول الإمام أبو حيان:" ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ أي بالمجاوزين الحد في الاعتداء ... وهذا إخبار يتضمن الوعيد

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٦١).
(٢) مفاتيح الغيب (١٣/ ١٣٠).

الشديد لمن اعتدى"[١]؛ لذا أكد السياق القرآني الخبر بـ (إنّ) وضمير الفصل (هو) الدال على اختصاص علمه- سبحانه- وحده بهم، يقول الشيخ أبو زهرة:" وقد أكد سبحانه وتعالى علمه بهم بضمير الفصل (هو) وهذا يدل على أنه وحده العليم بالمعتدين، وأكده بـ (إنّ) وفيه إنذار شديد للمعتدين"[٢]

* وهنا لطيفة جميلة أخرى أشار إليها الإمام ابن عاشور في لازم فائدة الخبر، وهى: تنبيه المؤمنين وتحذيرهم من الانسياق وراء قول المشركين- فهو وعيد للمعتدين- وتنبيه وتحذير للمؤمنين من اتباع قول المشركين، يقول:" قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ تحذير من التشبيه بالمشركين في تحريم بعض الأنعام على بعض أصناف الناس"[٣] .

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ **(يونس: ٤٠)**

يخاطب الله -سبحانه وتعالى- نبيه ويخبره ببعض الغيبيات التي ستقع في المستقبل، فيقول لنبيه (ﷺ): ومن قومك يا محمد من يؤمن بالقرآن في المستقبل بأن يتوب عن الكفر ويبدله بالإيمان، ومنهم من يصر ويستمر على الكفر ، وربك وحده العالم بالمفسدين، فليس المراد من الخبر هنا إفادة النبي (ﷺ) بأن الله عالم بالمفسدين؛ حيث إنه يعلم ذلك ويعلم أن علمه محيط بكل شيء ، وإنما أراد من الخبر التعريض بالوعيد والإنذار الشديد لهؤلاء المفسدين، يقول الإمام ابن عاشور:" وجملة ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ تعريض بالوعيد والإنذار "[٤] ، فتعلق

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٦٣١).

(٢) زهرة التفاسير (٥/ ٢٦٤٨).

(٣) التحرير والتنوير (٨أ/ ٣٥).

(٤) السابق(١١/ ١٧٥).

العلم بالمفسدين تهديد ووعيد وإنذار شديد لهم، يقول الشيخ أبو زهرة:" وذكر العلم بالمفسدين، إنذار بالعقاب من الله –تعالى– الذي لا يغيب عن علمه كبيرة ولا صغيرة في السماء ولا في الأرض"(١)

٥-الوعيد والامتنان، ومنه:

قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ (الأنفال: ٦٠).

لما اتفق أصحاب النبي (ﷺ) في قصة بدر أن يقصدوا الكفار بلا آلة ولا عدة، أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله، وأن يعدّوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة وقوة، حيث إن تكثير الآلات وأدوات الحرب كما يرهب الأعداء الذين يعلم أنهم أعداء، كذلك يرهب الأعداء الذين لا يعلم أنهم أعداء(٢) فجملة﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ چخبر، لكن ليس مقصودها الإخبار بالحكم فقط، حيث إن المخاطب يعلم أن الله عالم بكل شيء، ولكن استعمل الخبر في معنى آخر، وهو التهديد للأعداء، والامتنان على المسلمين بأنهم محل عناية خالقهم –سبحانه– يقول الإمام ابن عاشور:" وجملة ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾تعريض بالتهديد لهؤلاء الآخرين، فالخبر مستعمل في معناه الكنائي وهو تعقبهم والإغراء بهم، وتعريض بالامتنان على المسلمين بأنهم بمحل عنايته –تعالى –فهو يحصي أعداءهم وينبههم إليهم"(٣)؛ لذا آثر السياق القرآني تقديم المسند إليه على الخبر لتقوية الحكم وتأكيده، يقول الإمام ابن عاشور: " وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي؛ للتقوية، أي: تحقيق الخبر وتأكيده، والمقصود تأكيد لازم معناه، أما أصل المعنى فلا يحتاج إلى

---

(١) زهرة التفاسير (٧/ ٣٥٧٥).
(٢) ينظر : مفاتيح الغيب (١٥/ ٤٩٩).
(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٧).

تأكيد؛ إذ لا ينكره أحد"[١].

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبة: ١٠١).

فيخاطب الله نبيه وأصحابه، ويخبرهم بأن من حول بلدتهم وهي المدينة منافقون، وثبتوا على النفاق ولم يتوبوا عنه، ثم أخبرهم -سبحانه وتعالى- بإحاطة علمه وحده بهم فقال: ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾، وفي هذا الإخبار وعيد شديد لهؤلاء المنافقين؛ حيث إن الحكم معلوم للمخاطب؛ لذا خرج عن إفادة الحكم إلى معنى إضافي آخر وهو الوعيد الشديد، وفيه أيضا امتنان على نبيه (ﷺ) بألا يشغل نفسه بمعرفتهم؛ لأن علمه -سبحانه وتعالى- بهم كاف، فهو يحميه منهم ومن شرورهم، يقول الإمام ابن عاشور:" وجملة ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ مستأنفة، والخبر مستعمل في الوعيد كقوله تعالى: ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (التوبة: ٩٤)، وإلا فإن الحكم معلوم للمخاطب، فلا يحتاج إلى الإخبار به، وفيه إشارة إلى عدم الفائدة للرسول (ﷺ) في علمه، فإن علم الله كاف"[٢]، وترتب على هذا التهديد عذابهم مرتين، يقول الإمام أبو حيان:" وفي قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ تهديد، وترتب عليه بقوله ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾"[٣].

٤- التسلية:

ومما ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٥٧).
(٢) السابق (١١/ ٢٠).
(٣) البحر المحيط (٥/ ٤٩٧).

يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (يوسف: ١٩) .

يقول الله جل ثناؤه: مخبرا نبيه (ﷺ) عن بعض القصص الغائبة عنه، فيقص له -سبحانه- قصص يوسف مع إخوته وما فعلوه به من إلقائه في الجب، ومجيء السيارة ليستقوا من هذا الجب، وإخراجهم يوسف منه، وما فعله إخوته تجاه هؤلاء السيارة، حيث قالوا لهم: هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا ، وصبر يوسف تجاه ما أصابه وصبره على أذى أخوته، ثم أخبر -سبحانه- نبيه بأن علمه سبحانه محيط بما يعملون بيوسف[١].

فالله -سبحانه- يخبر نبيه بذلك تسلية لقلبه (ﷺ) عما أصابه من قومه،وأنه سبحانه يكللؤه برعايته وعنايته، وجملة﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ خبر، وليس المقصود منها إخبار النبي بإحاطة علمه سبحانه فقط؛ لأنه (ﷺ) يعلم ذلك، وإنما خرج الخبر لغرض دلالي آخر وهو تسلية قلب النبي (ﷺ) عما يلقاه من أقاربه، وحثه على الصبر على أذاهم، يقول الإمام الطبري:" قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ وإن كان خبرا من الله -تعالى- ذكره عن يوسف لنبيه (ﷺ)، فإنه تذكير من الله نبيه محمد (ﷺ) وتسلية منه له عما كان يلقي من أقربائه، وأنسبائه المشركين من الأذى فيه، فيقول: اصبر يا محمد على ما نالك في الله، فإني قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون كما كنت قادرا على تغيير ما لقى يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا"[٢].

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ٤٥٢)، أنوار التنزيل (٣/ ١٥٨).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٧).

ثانياً : الإنشاء:

والإنشاء هو: " الكلام الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب "[١].

والأساليب الإنشائية على ضربين:

١-طلبي: وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، كأسلوب الأمر والاستفهام والنهي والتمني والنداء[٢]

٢- غير طلبي: وهو مالا يستدعي مطلوبًا، كالتعجب والقسم والرجاء وصيغ العقود.

أولا: الإنشاء الطلبي

١- الأمر: وهو طلب حصول الشيء من الغير على جهة الاستعلاء ،والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب أي: طلب الفعل على وجه اللزوم, وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق، نحو: قم وسافر. وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث[٣]، ومما ورد من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ (طه: ١١٤).

سبب النزول:

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أقوال:

الأول: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) كان النبي (ﷺ) يبادر جبريل

---

(١) الاتقان(١/ ٢٥٦).

(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، صـ ٦٩.

(٣) علوم البلاغة (١/ ٧٥).

فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل حرصا على الحفظ، وخشية من النسيان، فأنزل الله هذه الآية، والثاني:أن أهل مكة وأسقف نجران، قالوا: يا محمد أخبرنا عن كذا وكذا، وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة أياما فأبطأ الوحي عليه، وفشت المقالة بأن اليهود قد غلبوا محمد، فأنزل الله الآية، والثالث: روي جرير عن ابن حزم عن الحسن : أن رجلا لطم امرأته، فجات تلتمس القصاص، فجعل النبي (ﷺ) بينهما القصاص، قبل أن ينزل القرآن، فنزل قوله تعالى:" ولا تعجل بالقرآن..." أي: لا تعجل بالقصاص قبل أن ينزل عليك القرآن، فنزل قوله عز وجل:﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾(النساء : ٣٤) "[1]، واستبعد الإمام الرازي هذه الراوية ورجح الأول، فقال:" وهذا بعيد والاعتماد على الأول"[2].

((**الشاهد**)) ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ .

جاء الأمر في هذه الآية على حقيقته، حيث أمر المولى سبحانه وتعالى سيدنا محمد(ﷺ) بطلب الاستزادة في العلم، ولم يأمره سبحانه باستزاده من شيء إلا من العلم؛ وذلك لأنه مجمع كل زيادة، وفيه تلطف بحبيبه (ﷺ) إذ أتبع نهيه عن استعجال بالقراءة والأمر بالاستزاده من العلم، يقول الإمام ابن عاشور:" وفيه تلطف من النبي (ﷺ)، إذ أتبع نهيه عن التعجل الذي يرغبه بالإذن له بسؤال الزيادة في العلم، فإن ذلك مجمع كل زيادة"[3]

وهذا الأمر متضمن للتواضع والشكر لله –سبحانه وتعالى– على ما أنعم به سبحانه على سيدنا محمد من العلم، قال تعالى :﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ (النساء : ١١٣) يقول الإمام

(١) ينظر (بحر العلوم (٢/٤١٤)، زاد المسير (٣/ ١٧٧)، التحرير والتنوير(١٦/ ٣١٧).
(٢) مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٠٥).
(٣) التحرير والتنوير (١٦/ ٣١٧).

أبو حيان:" ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ متضمن للتواضع والشكر لله ، أي: علمتني يارب لطيفة في باب التعلم، وأدبا جميلا ما كان عندي، فزدني علما إلى علم، فإن لك في كل شيء حكمة"(١).

وذكر المفسرون أن المراد بالعلم هنا ثلاثة أقوال، وهي زدني قرآنا، وزدني حفظا، وزدني فهما، يقول الإمام ابن الجوزي:" وقوله ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: زدني قرآنا، قاله مقاتل، والثاني: فهما، والثالث: حفظا"(٢).

فمن فسره بالحفظ، نظر إلى تعجل الرسول بقراءة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من قراءته، يقول الإمام الزمخشري:" وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن، فتأن عليه ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته"(٣)، ومن فسره بالفهم نظر إلى أن المعنى:" لا تُقرئ أصحابك حتى يتبين لك معانيه"(٤).

ومن فسره بالقرآن نظر إلى طلب الرسول في إنزل الوحي للرد على سؤل أهل مكة، وعليه يكون المعنى (لا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك الوحي، وقل رب زدني قرآنا"(٥)، ورجح الإمام الرازي القول الأول والثاني؛ حيث إنهما لا يمكن تحصيلهما إلا بالوحي، فيقول:" ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام، لا ينهى عن قرأته لكي يحفظ ويؤديه، فالمراد إذن أن لا يبعث نفسه ولا يبعث غيره عليه حتى

---

(١) البحر المحيط (٧/ ٣٨٧).
(٢) زاد المسير (٣/ ١٧٨).
(٣) الكشاف (٣/ ٩٠).
(٤) زاد المسير (٣/ ١٧٨).
(٥) السابق نفسه.

يتبين بالوحي تمامه أو بيانه أو هما جميعا؛ لأنه يجب التوقف على معنى الكلام ما لم يأت عليه الفراغ، لما يجوز أن يحصل عقبه من استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات، فهذا هو التحقيق في تفسير الآية"[1].

مما سبق يتضح أن المراد من العلم في هذه الآية هو الحفظ والفهم كما ذكر الإمام الرازي، وسواءً كان معناه الحفظ أو الفهم أو القرآن، فعلماء التفسير راعوا السياق المقامي في هذه الآية لتحديد معنى العلم؛ لذا قالوا بثلاثة المعاني مطابقة الثلاثة المواقف التي اقتضت النزول، والأمر هنا جاء على حقيقته، وفيه معنى الشكر والتواضع لله على نعمة العلم.

قولـــه تعـــالى : ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ **(البقرة: ٢٢٣)** .

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في اليهود؛ حيث كانوا يأتون أزواجهن في دبرهن وقالوا: إن ذلك في التوراة، فذكروا ذلك للنبي (ﷺ)فقال كذبت اليهود فنزلت هذه الآية.

وروي أنها نزلت في حي من قريش كانوا يأتون أزواجهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة تزوجوا من الأنصار، فذهبوا ليفعلوا ذلك فأنكرته، وانتهي الحديث للنبي (ﷺ) فنزلت الآية[2].

((**الشاهد**)):-﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ ﴾ .

خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو التحذير والتخويف

---

(١) مفاتيح الغيب (١٠٤/٢٢).

(٢) ينظر : زاد المسير (١/ ١٩١)، مفاتيح الغيب (٦/ ٤٢١).

لمن يفعل ما نهاه الله عنه، يقول الإمام الطبري:" هذا تحذير من الله –تعالى– ذكره عباده أن يأتوا شيئا مما نهاهم عنه من معاصيه وتخويف لهم عقابه عند لقائه"(١)، وأخبرهم –سبحانه وتعالى– بصيغة الأمر أن مردهم إلى الله مع أنهم يعلمون ذلك؛ اهتماما بالخبر؛ ليزدادوا فيه تنافسًا، يقول الإمام ابن عاشور: "وإنما أمرهم الله بعلم أنهم ملاقوه مع أن المسلمين يعلمون ذلك؛ تنزيلا لعلمهم منزلة العدم في هذا الشأن؛ ليُزاد من تعليمهم اهتماما بهذا المعلوم وتنافسا فيه"(٢)، حيث الإيمان بلقاء الله تعالى هو الذي يربي النفس على فعل الطاعات واجتناب المنهيات، وهو الذي يجعل الإنسان يطمئن إلى فعل الخير، فالأمر تحذير وتخويف للعصاة، وفتح باب التوبه لهم إن تركوا هذا الفعل القبيح، وتنبيها للمسلمين أن يهتموا بهذا الأمر بتحمل المشقة في الطاعات وترك المحظورات لأجل يوم البعث.

وقد جاء العلم هنا على صيغة الأمر المقتضية للتحذير، وأُكد بـ (أنّ) الثقيلة، لدلالة العلم على اليقين، أي أيقنوا أنكم محاسبون، ولذا ختمت الآية بقوله تعالى﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فحذر –سبحانه وتعالى– من مخالفة أمره وتوعد من يفعل ذلك بالعقاب الشديد، ثم وعد المؤمنين الذين يمتثلون أمره بالثواب والكرامة لحبسهم أنفسهم عما حرم الله.

قال تعالى:﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

سبب النزول:

نزلت هذه الآية في شأن التعريض بخطبة المتوفى عنها زوجها بشرط عدم

(١) جامع البيان (٤/ ٤١٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٣٧٥).

المواعدة سرا وكذا عقد الزواج ، وقد سبق الحديث عنها[1].

الشاهد: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ .

تكرر لفظ الأمر هنا مرتين مرة مع الوعيد والأخر مع الوعد،، فقوله ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ فالأمر بالعلم هنا تنبيه للمخاطب أو من يتعرض للخطبة بأن الله مطلع على سره قبل علانيته، فإذا علم الخاطب بذلك وجب عليه الحذر والبعد عما نهى الله عنه من المواعدة وعقد النكاح غفوا من عقاب الله؛ لأن من علم بشيء جازى عليه ، ولذا أكد علمه بقوله﴿ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾ وهذا غاية في التحذير، يقول الإمام القرطبي:" ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾هذا نهاية التحذير من الوقوع فيما نهى الله عنه"[2] ثم أردف هذا الوعيد بالوعد بأنه يستر ذنوب عباده، ويغفر لهم فلا يؤاخذ العبد بما تكنه نفسه، وما يجول بخاطره بل يؤاخذه بالفعل ، فسبحانه بذلك يفتح لعبادة باب التوبة والإنابة والرجوع إليه مما تكنه نفسهم، وسبحانه بذلك يقوي رجاء المؤمن إحسان الله، وطمعه في غفرانه إن أذنب ثم تاب، ويزيل بهذا الوعد بعض آثار الوعيد والتحذير، حتى يعتدل قلب المؤمن، ولذا يقول الشيخ اسماعيل حقي: "﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في هذا الكلام تحذير وتقريب وتخويف ورحمه"[3].

وأخبر عن علمه –سبحانه وتعالى– بلفظ المضارع، وذلك باعتبار متعلقه وهو ما يختلج النفوس، يقول الإمام أبوحيان:" وجاء خبر(أنّ)الأولى بالمضارع؛ لأن ما يهجن في النفوس يتكرر ، فيتعلق العلم به، فكأن العلم يتكرر بتكرر

---

(١) ينظر: صـ ١٨٨٤ من البحث.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٩٦).

(٣) زهرة التفاسير (٢/ ٨٢٥).

متعلقه، وعبر عن علم عباده بلفظ الأمر للتنبيه والتحذير من الوقوع فيما نهى الله عنه، وأكد بـ (أنّ) الثقيلة لتأكيد الوعيد وأكده أيضا بفعل الأمر ﴿ فَٱحۡذَرُوهُ ﴾ ،والمعنى : فأيقنوا أن الله يعلم ما في أنفسكم، فالعلم هنا يقيني؛ لأن مصدره الخالق- سبحانه وتعالى- وقوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ والعلم هنا أيضا يقيني حيث أكد بـ (أنّ)، واسم الجلالة بالاسم الظاهر بدل الضمير مما يزيده تأكيدا، والوصف الدال على الثبوت والدوام، فوعده -سبحانه- بغفران دائم وثابت لا ينقطع، وأما الوعيد فعلقه بالفعل تحذيرا من التمادي فيما نهى الله عنه، وفتحا لباب التوبة للعبادة.

وافتتحت الجملتين بفعل الأمر (اعلموا) لقصد شدة التحذير، وحث المخاطبين على التأمل فيما بعده، وفيه تعريض غالبا بغفلة المخاطب عن أمر مهم، وذلك كثير في القرآن مثل قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المائدة: ٩٨) ، وقوله تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (الأنفال: ٢٨)، وقوله تعالى :﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ ﴾(الحديد: ٢٠) .

ثانيــا: **الاســتفهام** : وهـو طلـب خبـر مـا لـيس عنـد المسـتفهم، ويسـمى بالاستخبار[1] لكنـه قـد يخـرج عـن معنـاه الحقيقـي إلـى معـان مجازيـة يقتضيها السياق القرآنـي ، وتستفاد من سياق الحديث ودلالـة الكلام، مما يكون لـه أثـر كبير في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم، ومن هذه المعاني ما يلي:

أولا: **الاستفهام التقريري**:

ومما ورد من ذلك قوله تعالى :﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة: ١٠٦).

سبب نزول الآية:

ذُكر في سبب نزولها أن اليهود لما نسخت القبلـة قالت: إن محمدًا يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء، أو إن محمدًا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنـه ويـأمرهم بخلافـه، ويقـول اليـوم قـولا وغـدًا يرجـع عنـه فنزلـت هـذه الآية[2].

الشــاهد :فـي هـذه الآيـة ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ذكـر الإمـام ابـن عاشـور أن الخطـاب فـي (تعلـم) إمـا أن يكـون المقصـود بـه جميـع المخـاطبين ابتداء من اليهود والمشركين، ومن يشتبه عليه الأمر من ضعفاء المسلمين، وإما أن يكون المراد به ظاهر الخطاب وهو النبي (ﷺ) لكن المقصود منه المسلمون؛ لأن علم الأمة من لوازم علم الرسول (ﷺ)، وعلـي الـوجهين الاستفهام تقريري، فيقـول:" والاسـتفهام تقريـري علـى الـوجهين، وهـو شـأن الاسـتفهام الـداخل علـى النفي ... ولم يسمع في كلام العرب استفهام داخل على النفي إلا وهو مراد به

(١) ينظر: البرهان في علوم القرءان (٢/ ٣٢٦)، الصاحبي (١/ ١٣٤).

(٢) ينظر: زاد المسير (١/ ٩٨)، مفاتيح الغيب (٣/ ٦٣٦).

التقرير"[١]، وضمن الإقرار بذلك نوعًا من التنبيه كما قال الإمام الرازي، حيث يقول:"﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تنبيه للنبي (ﷺ) وغيره على قدرته تعالى على تصريف المكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته، وأنه لا دافع لما أراد ولا مانع لما اختار"[٢]، ويقول الشيخ أبو زهرة:" ﴿ أَلَمْ ﴾استفهام للنفي مع التنبيه، ونفي النفي إثبات ومع التنبيه وتأكيد العلم "[٣] فإثارة السؤال مع المسؤل عنه بجوابه، فيه إقرار وتنبيه على قدرته الله تعالى وتثبيت لنفوس، وتنبيه لهم عن أن يقولوا مثل ما قاله اليهود، يقول الإمام الزمخشري :" قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾أراد أن يوجههم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به، وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على الرسول (ﷺ) ما اقترحه آباء اليهود على موسى (عليه السلام) من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا ﴾ (الأعراف: ١٣٨) ، ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء: ١٥٣) وغير ذلك"[٤].

والمقصود بالعلم هنا هو العلم الإنساني، وآثر السياق القرآني مجيئه على صيغة المضارع المقتضية التجدد والاستمرار؛ دلالة على استمرارية الإقرار بقدرة الله –سبحانه وتعالى– والعلم هنا في أعلى درجاته وهي اليقين؛ لأن السائل هنا وهو أعلم بالجواب هو الله –سبحانه وتعالى– ولذا أكد هذا العلم بـ (أنَّ) الثقيلة الدالة على ثبات الأمر واستقراره، وكذا الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت، ومجيء اسم الجلالة اسما ظاهر ولفظ الإحاطة (كل شيء) والوصف

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٦٥).
(٢) مفاتيح الغيب (٣/ ٦٤٢).
(٣) زهرة التفاسير (١/ ٣٥٣).
(٤) الكشاف (١/ ١٧٦).

(قدير) كل هذه القرائن السياقية تضامت معا لتوجيه دلالة العلم إلى أعلى درجاته وهي اليقين، يقول الشيخ أبو زهرة:" ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، والمعنى : ألم تعلم علما يقينيا مؤكدًا أن الله على كل شيء قدير؟"(١).

ومما ورد من ذلك أيضا قوله تعالى﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣٣) "

فالاستفهام هنا حمل على معنى الإقرار، وهو إقرار الملائكة بأمر يعرفونه، وهو علمه –سبحانه –المحيط بكل شيء، ولكن لما قالوا :﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ (البقرة: ٣٠) نزلوا منزلة من لا يعرف لنسيانه، فأراد الله أن يقررهم ويذكرهم بإحاطة علمه سبحانه؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم فهم غير منكرين لذلك ، يقول الإمام أبو السعود:" قال عز وجل تقريرًا لما مر من الجواب الإجمالى واستحضارا له ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ لكن لا لتقرير نفسه كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ (طه: ٨٦)ونظائره، بل لتقرير ما يفيده من تحقيق دواعي الخلافة في آدم (عليه السلام)؛لظهور مصداقه وإيراد ما لا يعلمون، وإضافة الغيب إلى السماوات والأرض مبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط"(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ (العنكبوت: ١٠) .

(١) زهرة التفاسير (١/ ٣٥٣).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٨٦).

سبب نزول الآية:

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية وجوهًا:

الأول: أنها نزلت في ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا، وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة، حين هاجر إلى المدينة قبل قدوم النبي (ﷺ) ففزعت أمه من ذلك فزعا شديدا، وأرسلت إليه إخوته ليحضروه، فذهبوا إليه وأحضروه إلى أمه، فعمدت إليه وقيدته وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، وضربوه حتى رجع عن دينه، فنزلت هذه الآية[١] .

الشاهد: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حمل جمهور المفسرين[٢] الاستفهام في الآية على معنى التقرير، وهو :حمل المخاطب على الاعتراف والإقرار بأمر ينكره.

والاستفهام ليس على حقيقته لاستحالة أن يستفهم الله –سبحانه وتعالى– من المخاطب؛ لأنه يعلم أنه عنده الجواب للسؤال؛ فكأنه سبحانه يحمل المخاطب على أن يستفهم من نفسه، حيث إن الله سبحانه وتعالى وضع عندها الجواب، يقول الإمام أبو حيان :" وهذا استفهام معناه التقرير، أي: قد علم ما انطوت عليه الضمائر من خير وشر"[٣].

بينما حمله الإمام ابن عاشور تارة على معنى الإنكار وأخرى على معنى التقرير، يقول:" والاستفهام إنكاري، إنكارًا عليهم قولهم آمنا بالله، وقولهم إنا

---

(١) ينظر:بحر العلوم (٢/ ٦٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٣١).

(٢) ينظر: بحر العلوم (٢/ ٦٢٧)، الكشاف (٣/ ٤٤٣)، زاد المسر (٣/ ٤٠١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٣٠).

(٣) البحر المحيط (٨/ ٣٤٤).

معكم؛ لأنهم قالوا ذلك ظنا منهم أن يروج كذبهم، ونفاقهم على الرسول (ﷺ) ، فكان الإنكار عليهم أنهم كاذبون في قولهم"[١]، ثم قال بعد ذلك:" ويجوز أن يكون الاستفهام تقريريًا، وجه الله به الخطاب للنبي (ﷺ) في صورة التقرير بما أنعم عليهم من إنبائه بأحوال الملتبسين بالنفاق، وهذا شائع في الاستفهام التقريري، وكثيرًا ما يلتبس بالإنكار ولا يفرق بينهما إلا المقام"[٢].

والأولى حمل الاستفهام على التقرير والإثبات مع التوبيخ لهم عن فعلهم هذا مع علمهم بأن الله مطلع على ما في أنفسهم، ويبعد حمله على الإنكار بقرينة مقالية وهي تسلط الاستفهام وهي (الهمزة) على النفي (ليس)؛ لأن حقيقة النفي التقريري إنكاري، ونفي النفي إثبات، يقول الإمام السيوطي:" وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل المنفي، ونفي النفي إثبات... فإذا أدخلت على (ليس) ألف الاستفهام كان تقريرًا ودخلها معنى الإيجاب"[٣]، إذا الاستفهام هنا معناه الإقرار بعلم الله بما في أنفسهم، وعلم الله – سبحانه وتعالى– إحاطة بما كان وما يكون وما هو كأنه، وجاء العلم هنا على صيغة التفضيل باعتبار علم الرسول بذلك بإخبار المولى له، حتى يأخذ حذره منهم، ويحتمل أن يكون مسلوب المفاضلة على معنى (عليم) وقد تم التفصيل في ذلك في صيغ الأسماء[٤].

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٣)، فالاستفهام هنا أيضا جاء لحمل المخاطب على الإقرار بعلم الله –تعالى– بالشاكرين، يقول الإمام الطبري:" وهذا منه تعالى ذكره إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢١٧).
(٢) السابق (٢٠/ ٢١٨).
(٣) البرهان (٢/ ٣٣٣).
(٤) ينظر : صـ١٩٤١ من البحث.

يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق، وخذلهم عنه وهم أغنياء وتقرير لهم: أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكرًا نعمتي، ممن هو لها كافر"[١]، يقول الإمام أبو حيان:" قوله تعالى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾هذا استفهام معناه التقرير والرد على أولئك القائلين، أي: الله أعلم بمن يشكر فيضع فيه هدايته دون من يكفر فلا يهديه"[٢]، فالاستفهام هنا لتقرير علمه البالغ المحيط، وفي الكلام تعريض بالمشركين وتوبيخ لهم.

ثانياً: الاستفهام الإنكاري:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ **(البقرة: ٧٧) .**

سبب النزول:

ذكر الإمام ابن الجوزي سبب نزول هذه الآية، فقال:" هذه الآية نزلت في نفر من اليهود، كانوا إذا لقوا النبي (ﷺ) والمؤمنين، قالوا :آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم"[٣].

الشاهد﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ذهب الإمام أبو حيان إلى أن الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الحقيقي إلى غرض دلالي آخر وهو التوبيخ، يقول: " قوله تعالى :﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾هذا توبيخ من الله لهم، أي: إذا كان علم الله محيطا بجميع أفعالهم، وهم عالمون بذلك، فكيف يسوغ لهم أن ينافقوا ويتظاهروا للمؤمنين بما يعلم الله منهم خلافه؟، فلا يجامع حال نفاقهم

(١) جامع البيان (١١/ ٣٨٩)

(٢) البحر المحيط (٤/ ٥٢٦).

(٣) زاد المسير (١/ ٨٠).

بحال علمهم بأن الله عالم بذلك"[١].

والتوبيخ على إنكارهم فعلهم مع علمهم بعلم الله بهم ، يقول الشيخ أبو زهرة:" هذا استفهام إنكار؛ لجهلهم وتوبيخ لهم "[٢]، بينما حمل الإمام ابن عاشور الاستفهام في هذه الآية مرة على التقرير، وأخرى على الإنكار، وثالثة على التحضيض نظرًا لحال المخاطب، فقال:" قوله تعالى:﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾الاستفهام فيه على غير حقيقته، فهو إما مجاز في التقرير، أي ليسوا يعلمون ذلك، والمراد التقرير بلازمه، وهو أنه إن كان الله يعلمه فقد علمه رسوله، وهو لزوم عرفي ادعائي في المقام الخطابي، أو مجاز في التوبيخ، والمعنى هوهو، أو مجاز في التحضيض، أي: هل كان وجود أسرار دينهم في القرآن موجبا لعلمهم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون؟والمراد : لازم ذلك، أي: يعلمون أنه منزل من عند الله، أي: هلا كان ذلك دليلا على صدق الرسول (ﷺ)"[٣]، ورجح التحضيض، فقال:"وهذا الوجه هو الظاهر، ويرجحه التعبير بيعلمون المضارع دون علموا"[٤].

والذي أرجحه في هذا المقام هو حمل الاستفهام على معنى الإنكار التوبيخي؛ لأنهم عالمون بأن الله يعلم سرهم ونجواهم، ومع ذلك كانوا يتظاهرون للمؤمنين بخلاف ما في قلوبهم، فخوفهم الله بذلك وانكر عليهم علمهم، يقول الإمام الرازي:" لا يكاد يقال على طريق الزجر﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾إلا وهو عالم بذلك الشيء، ويكون ذلك الشيء زاجرا له عن ذلك

(١) البحر المحيط (١/ ٤٤٣).
(٢) زهرة التفاسير (١/ ٢٨٠)
(٣) التحرير والتنوير (١/ ٥٦٩).
(٤)السابق نفسه.

الفعل"[١]، لكنهم لم يفعلوا بما اقتضاه علمهم انكر الله تعالى عليهم ذلك ووبخهم وزجرهم.

ويدل على ذلك أيضا إيثار السياق القرآني عن المستفهم عنه وهو علمهم بصيغة المضارع المبدوء بياء الغائب، التي تدل على بعد منزلتهم، وفحش ما في قلوبهم وإنكار قولهم توبيخًا وزجرًا لهم، كما تدل على استمرار هذا التوبيخ، والمقصود منه التهديد بالجزاء الذي ينتظرهم، باستمرار فعلهم، وفيه حث لهم على أن يتركوا هذا النفاق ويتوبوا إلى الله حتى ينجوا من عقابه، فسبحانه يعلم ما يفعلون.

والعلم هنا معناه اليقين ، أي: أولا يوقنون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون"، وأكد السياق القرآني العلم بقرائن سياقية، هي (إنّ) الثقيلة المؤكدة، واسم الجلالة ، كما آثر السياق الاسم الظاهر عن الضمير؛ توبيخًا لهم وتأكيدًا لعلمهم، وعبر عن علمه –سبحانه وتعالى– بصيغة المضارع المقتضية للتجدد والاستمرار والمراد به متعلقه؛ لأن علم الله يستحيل عليه الحدوث، فعلمه سبحانه إحاطة .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (التوبة: ٧٨)، فالاستفهام هنا ليس لتقرير المخاطب بعلم الله بل، ينكر عليهم أن يعملوا بخلاف ما علموا توبيخا لهم، يقول الإمام أبو السعود:" ألم يعلم هؤلاء المنافقون، والهمزة للإنكار والتوبيخِ والتهديد أي ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾، أي: ما أسرُّوا به في أنفسهم وما تناجَوا به فيما بينهم من المطاعن وتسميةِ الصدقةِ جزيةً وغيرِ ذلك مما لا خير فيه "[٢]–

(١) مفاتيح الغيب (٣/ ٥٦٣).

(٢) إرشاد العقل السليم (٤/ ٨٦).

فسبحانه وتعالى- ينكر عليهم نفاقهم مع علمهم بأن الله يعلم حالهم من النفاق كما يعلم الظاهر، وأنه سيحاسبهم عليه كما يحاسبهم على الظاهر، والعلم هنا معناه اليقين، أي : ألم توقنوا أن الله يعلم سركم وجهركم؟، لذا آثر السياق القرآني بعد الاستفهام (أنَّ) الثقيلة المؤكدة الدالة على الثبات مما يدل على ثبات علمهم ، والتصريح باسم الجلالة الدال على الاختصاص، مما يدل على أن العلم المستفهم عنه هنا يقيني، يقول الشيخ أبو زهرة:" الاستفهام إنكاري بمعنى النفي والتوبيخ، ولم نافية ونفي النفي إثبات، والمعنى : يعلمون علما لا مرية فيه أن الله تبارك وتعالى يعلم سرهم ونجواهم"(١)

قوله تعالى:﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (يوسف: ٨٩) .

قال يوسف(عليه السلام)هذا القول، عندما رأى إخوته تضرعوا إليه ووصفوا ما هم عليه من شدة الزمان وقلة الحلية، لذا أدركته الرقة فانقض باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم، فقال﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾(٢).

الشاهد :﴿ هَلْ عَلِمْتُم ﴾إن استفهام يوسف في هذه الآية ليس على حقيقته؛ لأن من شأن المستفهم أن يجهل المستفهم عنه، ويوسف على يقين علم مما فعلوه به، ولكن هذا الاستفهام له دلالة أخرى مستوحاة من تسلسل أحداث القصة، فهو استفهام توبيخي، يذكرهم فيه يوسف بقبح فعلهم وسوء صنيعهم، يقول الإمام ابن عاشور: " ﴿ هَلْ عَلِمْتُم ﴾استفهام بمعنى التذكير والتوبيخ"(٣)،

(١) زهرة التفاسير (٧/ ٣٣٧٨).
(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٥/ ٢٥٢)، مفاتيح الغيب (٨/ ٥٠٤).
(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢٥٥).

فكلمهم مستفهمًا على وجه القبح؛ لعظم ما أقدموا عليه من قطيعة الرحم، يقول الإمام الرازي:" ﴿ هَلۡ عَلِمۡتُم ﴾استفهام يفيد تعظيم الواقعة، ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف، وما أقبح ما أقدمتم عليه"(١)، فدلالة العلم في هذا السياق القرآني خرجت عن دلالتها الأصلية إلى دلالة أخرى مستوحاة من السياق المقامي والمقالي لأحداث القصة بواسطة الاستفهام، وهي التقريع والتوبيخ.

بينما ذهب الإمام ابن الجوزي إلى أن الاستفهام هنا للتوكيد بمعنى (قد) ، أي ﴿ قَدۡ عَلِمۡتُم ﴾وعليه فالاستفهام تقريري؛ ويكون المقصود منه حملهم على الاعتراف والإقرار بما صنعوه مع يوسف، وهذا الإقرار يجعل العلم في أعلى درجاته وهو اليقين؛ لأنه ليس هناك دليل أقوى من الإقرار.

مما سبق يتضح أن الاستفهام أسهم في تحديد دلالة العلم من خلال معناه المجازي، حيث جعله تذكيرا وتقريعا مرة، وأخرى جعله يقينيًّا .

قال تعالى :﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ (مريم: ٦٥).

يخاطب الله –سبحانه وتعالى– نبيه بصورة الاستفهام، وهو أعلم بما يستفهم عنه، ويقول– جل ثناؤه–: هل تعلم يا محمد لربك الذي أمرناك بعبادته والصبر على طاعته شبيهًا أو مثيلا؟ أو هل تعلم أحدًا غيري يستحق أن يقال له الله أو الرحمن أو الخالق أو عالم بما كان وبما يكون غيري؟(٢).

الشاهد: ﴿ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ بالتأمل في هذه الآية نجد أن الاستفهام خرج عن دلالته الأصلية إلى دلالة أخرى مجازية من خلال السياق القرآني لهذه الآية،

(١) مفاتيح الغيب (١٨/ ٥٠٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٢٢٦)، بحر العلوم (٢/ ٣٨٢).

وهي الإنكار؛ لأن المستفهم هنا هو الخالق -سبحانه وتعالى- وعلمه محيط ومن شأن المستفهم أن يجهل المستفهم عنه وهو في حقه محال، يقول الإمام ابن عاشور:﴿ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ والاستفهام إنكاري، أي لا مسامي لله تعالى، أي : ليس من يساميه، أي: يضاهيه موجودا"[1]، وانتفاء العلم يقتضى انتفاء المسمي، وعليه فالمعنى (لا تعلم له سميا)، يقول الإمام ابن عاشور:"وكني بانتفاء العلم بسميه عن انتفاء وجود سمي له؛ لأن العلم يستلزم وجود المعلوم، وإذا انتفى مماثله انتفى من يستحق العبادة غيره"[2]، وإتيان النفي بصورة الاستفهام كالدعوى بدليلها[3]، والعلم المنفي في سياق الآية الكريمة كني به عن وحدانية الله- تعالى- وأنه ليس له ند أو شريك في ملكه.

ثانياً: الإنشاء غير الطلبي:

١- الشرط: كان لأسلوب الشرط أثر كبير في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم من خلال أدواته المختلفة ، ومما ورد من ذلك

قوله تعالى:﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٧٣)

سبب نزول الآية:

ذكر الإمام الرازي سبب نزول هذه الآية فقال:" نزلت هذه الآية في فقراء المهاجرين، وكانوا نحو أربعمائة وهم أصحاب الصُفة، ولم يكن لهم مسكن ولا

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ١٤٣).

(٢)السابق نفسه.

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٢/ ٢٣٢).

عشائر بالمدينة وكانوا ملازمين المسجد ، ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة"[١].

الشاهد :﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

وقع علم الله في هذه الآية في جملة جواب الشرط، وتضمن هذا العلم ا وهو المجازاة باعتبارها أثره، فالإنفاق سبب في حصول المجازاة، يقول الإمام الثعلبي:" ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ " ، أي: فإن الله يجازي عليه؛ لأنه إذا عَلِم شيئًا جازى عليه"[٢].

وتضمنت جملة الشرط ا وهو الترغيب في الإنفاق؛ لترتب المجازاة عليه، ولأن العبد إذا علم أنه كلما أنفق في سبيل الله جازاه الله بعمله أكثر من الإنفاق، فالجملة حث وترغيب في الإنفاق، يقول الإمام أبو السعود:" ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ ، أي: فيجازيكم بذلك أحسن الجزاء، فهو ترغيب في التصدق لا سيما هؤلاء"[٣]؛ ولذا آثر السياق القرآني صيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار في فعل الإنفاق، وتخلص الفعل للمضارع بتاء الخاطب دون غيرها من حروف المضارعة؛ لقرب منزلة المنفقين من الله لاسيما، واسم الجلالة اسم ظاهر، ولم يأت به ضميرا؛ لشدة الحضور والقرب من هؤلاء المنفقين، أي: وما تنفقوا من شيء يعلمه الله، أي يحصيه لكم سواء كان صغيرًا أو كبيرا فإنه علمه محيط به ويجازي عليه أفضل الجزاء، يقول الإمام ابن عاشور:" فلما كان الإنفاق مرغبا فيه من الله، وكان علم الله بذلك معروفا للمسلمين، تعين أن يكون الإخبار بأنه عليم بامتثال المنفق، أي: فهو لا يضيع أجره، إذ لا يمنعه من ذلك مانع بعد

---

(١) مفاتيح الغيب (٧/ ٦٧).

(٢) الكشف والبيان (٣/ ١١١).

(٣) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٦٥).

كونه عليما به؛ لأنه قدير عليه"[1].

وأكد علمه سبحانه بـ (إنّ) الثقيلة المؤكدة، والوصف عليم، مع أن علمه سبحانه لا يحتاج إلى تأكيد، ولكن ذلك باعتبار متعلقة وهو الإنفاق؛ لأنه يكون سرا وجهرا؛ لذا أخبر عن المجازاة بوصف (عليم) أي أن علمه محيط بالسر مثل العلانية، وفي ذلك ترغيب وحض على الإنفاق.

قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ **(البقرة: ١٩٧).**

هذه الآية يبين الله –سبحانه وتعالى– للحاج الأمور التي يخطر عليه فعلها، وهي الرفث والفسوق والجدال، ثم بعد ذلك يرغبه في فعل الخير فيقول ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ فيقول –سبحانه–: افعلوا أيها المؤمنون ما أمرتكم به في حجكم، وتجنبوا ما أمرتكم بتجنبه من الرفث والفسوق والجدال، فإن كل خير تفعلونه فإني أحصيه لكم وأجازيكم عليه.

(**الشاهد**) :﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾، هذا شرط وجوابه، وكني عن الجزاء في جملة جواب الشرط بالعلم؛ لأن العلم يكنى به عن أثره كثيرا، يقول الإمام القرطبي:"﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ شرط وجوابه، والمعنى أن الله يجازيكم على أعمالكم؛ لأن المجازاة إنما تقع من العالم بالشيء"[2] .

وجملة الشرط تتضمن الحث والحض على الخير وإن سبقها منهيات، فالمولى سبحانه بذلك يدعو إلى الإتيان بأضداد هذه المنيهات؛ لأن الحج خير،

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٧٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤١٠)

ولابد أن يكون كل ما يفعله الحاج خير، يقول الإمام الزمخشري:"﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ حث على الخير عقيب النهي عن الشر، وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة، أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه"(١) .

((**لطيفة**)) وقد أشار الإمام الرازي إلى لطيفة جميلة في هذه الآية، وهي تخصيص السياق القرآني الفعل بالخير ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾وكان الأولى في الظاهر أن يقول" من شيء"، فقال:" قوله تعالى:﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ وقد كان الأولى أن يقال:" وما تفعلوا من شيء يعلمه الله" حتى يتناول كل ما تقدم الخير والشر، إلا أنه –سبحانه وتعالى– خص الخير بأن الله يعلمه لفوائد ولطائف، كأنه –سبحانه وتعالى– يقول لعبده :إذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته، وإذا علمت منك الشر سترته وأخفيته؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتي بك في الدنيا هكذا فكيف العقبى"(٢)، وعبر عن فعل الشرط وفعل جواب الشرط بلفظ المضارع دلالة على استمرارية المجازاة لا استمرارية علمه؛ لأنه يستحيل عليه الحدوث، باستمرارية فعل الخير، وفيه ما فيه من الترغيب في الإتيان بكل ما أمر الله به؛ والانتهاء عما نهى عنه.

قال تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ .... إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾(آل عمران: ٦٢ – ٦٣).

---

(١) الكشاف (١/ ٢٤٤).

(٢) مفاتيح الغيب (٥/ ٣٢٠).

سبب النزول:

حين قدم وفد نجران على النبي (ﷺ) وناظروه في أمر عيسى (عليه السلام)، فقالوا: يا رسول الله مالك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنّه عبد؟ قال: أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول. فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب؟ فإن كنت صادقا فأرنا مثله؟ فأنزل الله – عز وجلّ– إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ في كونه خلقا من غير أب(١).

يقول المولى جل ثناؤه: إن هذا الذي أنبأتك به، يا محمد، من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه، وأنه عبدي ورسولي، لهو القصص والنبأ الحق، فاعلم ذلك، فإن أعرض هؤلاء الذين حاجوك في أمر عيسى فدعهم وشأنه، ولا تكثر الكلام معهم، فإني مطلع على ما في قلوبهم الضغائن والحقد على الإسلام والمسلمين وسأجازيهم على ذلك(٢).

الشاهد ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ ، حيث وقع علم الله سبحانه وتعالى في جملة جواب الشرط، وكني به عن آثاره وهي المجازاة بالعقاب على سوء ضمائرهم وفساد قلوبهم، يقول الإمام أبو حيان:" ... وجواب الشرط في الظاهر الجملة من قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ والمعنى ما يترتب على علمه بالمفسدين من معاقبته لهم، فعبر عن العقاب بالعلم الذي ينشأ عنه عقابهم، ونبه على العلة التي توجب العقاب، وهي الإفساد"(٣).

وتتضمن جملة الشرط تهديدًا عظيمًا لهؤلاء المعرضين عما جاء به القرآن من أمر نبي الله عيسى(عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) يقول الشيخ

---

(١) ينظر: بحر العلوم (١/ ٢١٩)، الكشف البيان (٣/ ٨٣).
(٢) ينظر: جامع البيان (٦/ ٤٧٦)، مفاتيح الغيب (٨/ ٢٥١).
(٣) البحر المحيط (٣/ ١٩٢).

أبو زهرة:"وهذه الجملة السامية تتضمن في ذاتها تهديدًا شديدًا؛ إذ إن الله تعالى إذا علم بالمفسد لا يسكت عنه ولا يتركه يعيث في الأرض فسادًا، بل إنه يأخذه أخذ عزيز مقتدر، ويوم القيامة يأخذه بالنواصي والأقدام، وكذلك الشأن في كل من يعرضون عن الحق إذا دعوا إليه"(١)؛ ولذا استخدم السياق القرآني من أدوات الشرط (إنْ) الاحتمالية المشكوك في فعلها وهو (التولي)، أي أن توليهم عن قولهم هذا بعيد، مما يدل على أن محاجتهم في أمر عيسى (عليه السلام) ليست إلا على سبيل العناد؛ ولذا أكد علمه –سبحانه وتعالى– المكنى به عن العقاب بـ(إنّ) الثقيلة الدال على حصول المحاسبة، والحصر بلفظ الجلالة والوصف (عليم)، والجمع (المفسدين) ليدل على العموم الشامل لهؤلاء الذين تولوا ولغيرهم من المفسدين؛ ليدل بذلك على أن الله –سبحانه وتعالى– مطلع على ما في ضمائرهم وأسرارهم مثل علانيتهم، وفيه وعيد لمن يبطن الفساد ويظهر الإيمان، فعلمه سبحانه محيط للعبد في كل أحواله، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وعليه فجملة الشرط تتضمن وعيدًا شديدًا لمن يتفوه مثل هذا القول بعد ما أنزل فيه سبحانه قرآنا سواء كان التفوه في السر أو العلانية، قال تعالى:﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾(الممتحنة: ١) .

فالعلم الإلهي في الآية الكريمة كني به السياق القرآني عن أثره وهو المجازاة، وهي هنا وعيد.

(١) زهرة التفاسير (٣/ ١٢٥٥).

قال تعالى :﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ ﴾ **(الجاثية:٧ – ٩) .**

سبب النزول:

ذكر في سبب نزول هذه الآية روايتان، الأولى: أنها نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة، حيث كان يقول في القرآن إنه أساطير الأولين، والرواية الأخرى: أنها نزلت في أبي جهل حين نزل قوله تعالى﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ (الدخان: ٤٣ – ٤٤) فدعا بتمر وزبد، وقال : تزقموا من هذا، ما يعدكم محمدًا إلا شهدًا[١]، ونص الإمام ابن عطية أنها نزلت في الروايتين ومن دخل تحت أوصافهما المذكورة إلى يوم القيامة[٢].

الشاهد:﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾**ذكر الإمام ابن عاشور أن المراد من العلم في هذه الآية هو السمع، فقال:" المراد من العلم في قوله تعالى﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾السمع، أي : إذا ألقى سمعه إلى شيء من القرآن اتخذها هزؤا، أي: لا يتلقى شيئا من القرآن إلا ليجعله ذريعة للهزء به"[٣].**

والسمع طريق من طرق العلم، ولا يقوم بوظيفته إلا من خلال العقل، فالسمع يقدم المعطيات إلى العقل، ويقوم العقل بالتعقل الذي يؤدي بدوره إلى العلم، فالتعبير بالعلم عن السمع هنا دليل على أنهم عطلوا عقولهم عن التدبر والتفكر في آيات الله، فأعرضوا عنادا وكبرياء ، ولو تعقلوا لآمنوا، وذلك مما جعل

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٦٣)، تفسير السمعاني(٥/ ١٣٦).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٨١).

(٣)التحرير والتنوير (٢٥ / ٣٣٢).

بعض المفسرين يعبرون عن العلم هنا تارة بالإخبار وأخري بالتبليغ، يقول الإمام ابن عطية:" وإذا علم " المعنى: إذا أخبر بشيء من آياتنا فعلم نفس الخبر لا المعنى الذي تضمنه الخبر، ولو علم المعاني التي تضمنها إخبار الشرع وعرف حقائقها لكان مؤمنا"(١)، وعبر عنه الإمام أبو السعود بالبلاغ، فقال:" وإذا بلغه شيء من آياتنا، وعلم أنه من آياتنا لا أنه علمه هو عليه، فإنه بمعزل من ذلك العلم"(٢).

وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الحواس كطريق من طرق العلم لا يمكن أن تؤدى دورها في المعرفة بدون العقل،لأنه بالعقل يكون التمييز والإدراك.

واستخدام السياق القرآني لأداة الشرط (إذا) هنا كان له أثر قوي في تحديد دلالة العلم؛ حيث إن الشرط فيها مقطوع بوقوعه(٣) مما يدل على سرعة إعراضهم بمجرد سماع الآيات، حتى كأنهم يصمون آذانهم عن السمع؛ ولذا قال تعالى في سياق الآية الكريمة قبلها ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٨١).

(٢) أرشاد العقل السليم (٨/ ٦٩).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ١١٧).

قولـه تعـالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾(آل عمران: ١٦٧).

سبب النزول:

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سلول المنافق وأصحابه حين تخلفوا عن رسوله الله وأصحابه في قتال المشركين في غزوة أحد، وقالوا لأصحاب رسول الله (ﷺ) لو نعلم قتالا لاتبعناكم ولدفعنا عنكم، ولكن لا نرى أن يكون بينكم وبين القوم قتال، فنزلت هذه الآية[1].

الشـاهد: ﴿ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ ﴾ حيث استخدم السياق القرآني للتعبير عن تخاذلهم عن رسول الله (ﷺ) وأصحابه حرف الامتناع (لو)؛ لامتناعهم عن القتال بحجة أنه ليس هناك قتال حتى يخرجوا معهم؛ حيث إنها تقتضي امتناع الشرط لامتناع الجواب، وعليه يكون المعنى: أنهم ما اتبعوهم لأنهم ما وجدوا قتالا.

واختلف المفسرون في دلالة العلم في سياق هذه الآية الكريمة، تبعا للمراد من مقصودهم من نفى القتال، فذكروا أنه إذا كان المراد من قولهم نفي القتال ألبتة، وأنه لا يكون بينهم قتال أصلا، فيكون العلم بمعنى التحقيق المسمى عند المناطقة بالتصديق، يقول الإمام ابن عاشور:" قوله تعالى:﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ ﴾ أي: لم نعلم أنه قتال، قيل: أرادوا أن هذا ليس بقتال بل إلقاء باليد إلى التهلكة، وقيل : أراد أن قريشا لا ينوون القتال، وهذا لا يصح إلا لو كان قولهم هذا حاصلا قبل انخزالهم، وعلى هذا فالعلم بمعنى التحقيق المسمى

(١) ينظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٨).

بالتصديق عند المناطقة"[١].

وإذا كان المراد بنفي علمهم هو أن ما هم فيه ليس بقتال، ولكن إلقاء للنفس في التهلكة،يقول الإمام أبو السعود:" قوله تعالي﴿ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا ﴾أي: لو نحس قتالا ونقدر عليه لاتبعناكم، ولكن ما أنتم بصدده ليس بقتال أصلا، وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة"[٢]، وعليه فالعلم بمعنى المعرفة، يقول الإمام ابن عاشور:" وقيل: أرادوا لو نحس قتالا لا تبعناكم، فالعلم بمعنى المعرفة، وقولهم حينئذ تهكم وتعذر"[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٣).

سبب النزول:

ذكر في سبب نزول الآية أن الكفار سألوا الرسول (ﷺ) أن يُحيي لهم قصي بني كلاب وغيره من أمواتهم؛ ليخبرهم بصحة نبوته (ﷺ)، فأخبره –سبحانه وتعالى –أن عدم سماعهم وهداهم إنما بما علمه منهم –سبحانه – وسبق في قضائه عليهم، فإنه لو علم فيهم خيرا لأسمعهم الآيات سماع تفهم وتعليم وهدى؛ لكنه –سبحانه وتعالى–لو أسمعهم لتولوا وهو معرضون؛ لمعاندتهم(٤).

الشاهد: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ آثر السياق القرآني إستخدام أداة الشرط الامتناعية (لو) دون غيرها؛ لأنها تفيد انتفاء الجواب، يقول الإمام ابن

---

(١) التحرير والتنوير (٤/ ١٦٣).

(٢) إرشاد العقل السليم (٢/ ١١٠).

(٣) التحرير والتنوير (٤/ ١٦٣).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥١٣)، مفاتيح الغيب (١٥/ ٤٧٠).

عاشور:" (ولو) حرف شرط يقتضي انتفاء مضمون جملة الشرط، وانتفاء مضمون جملة الجزاء ؛لأجل انتفاء مضمون الشرط"(١)، وعليه فمعناها النفي؛ لكن العلم هنا مضاف إلى الله سبحانه وتعالى، ونفيه محال في حق الله تعالى، فعلى أي شيء تسلط النفي؟

وقد أجاب الإمام أبو حيان عن ذلك فقال:" والمراد بنفي العلم انتفاء متعلقه؛ لأنه منتف بانتفائه، والمعنى: لم يكن فيهم خيرا؛ لأن ما لم يتعلق به علم الله تعالى موجودًا لا يكون موجودًا أبدا"(٢).

وعلم الله –سبحانه وتعالى– في هذه الآية هو علم بالمقدرات؛ حيث إنه –سبحانه وتعالى– أخبر عن المعدوم لو كان موجودًا كيف يكون حاله، يقول الإمام الرازي:" إن معلومات الله تعالى على أربعة أقسام:أحدها: جملة الموجودات، والثاني: جملة المعدومات، والثالث: أن كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف يكون حاله، الرابع: أن كل واحد من المعدومات لو كان موجودا كيف يكون حاله، والقسمان الأولان علم بالواقع، والقسمان الثانيان علم بالمقدرات الذي غير واقع، فقوله تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ من القسم الثاني، وهو العلم بالمقدرات، وليس من أقسام العلم بالواقعات"(٣)، وعليه فالمعنى : أن كل ما كان حاصلا؛ فإنه يجب أن يعلمه الله، وعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه؛ لذا حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده، وعليه حسن استخدام السياق القرآني في هذه الآية الكريمة حرف الامتناع (لو) دون غيرها من الأدوات؛ لأنها تفيد هذا المعنى.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٧),

(٢) البحر المحيط (٣/ ٣٥٩).

(٣) مفاتيح الغيب (١٥/٤٧٢).

الخاتمة

الحمد لله علام الغيوب، ومن بيده أزمة القلوب، الخبير بما تجن الضمائر وتكن السرائر، العالم بما تفضي إليه الأمور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد،،،

فمع نهاية هذه الراحلة الماتعة التي دامت ما يزيد على العام؛ لتتبع دلالات العلم في القرآن، أسفر البحث عن بعض النتائج والثمار التي كان من أهمها ما يلي:

أولا: الوقوف على دلالات العلم في القرآن الكريم، وجاءت الدلالات على النحو التالي:

أ- دلالات توافقت مع ما ذكره علماء الوجوه والنظائر[١]، **وهي كما يلي**:

١- اسم الله الأعظم (يا حي يا قيوم)، كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: ٤٠)

٢- الإلهام، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١).

٣-البيان والبرهان، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥).

٤- التمييز، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

---

(١) ينظر: الوجوه والنظائر للدمغاني صـ٣٣١،الوجوه والنظائر للنيسابوري صـ٣٧٦.

٥- **الحفظ، كقوله تعالى:** ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ **(طه: ١١٤).**

- **الرؤية،كقوله تعالى:** ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ **(يوسف: ٥١).**

٧-**الشرط من أشراط الساعة،كقوله تعالى:** ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ **(الزخرف: ٦١).**

٨- **ضد الجهل، كقوله تعالى:** ﴿ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ **(الأنعام: ١٠٠) فالعلم ضد الجهل.**

٩- **الفهم، كقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ (النمل: ١٥).

ب- دلالات جديدة كشف السياق القرآني اللثام عنها، ولم ينص عليها علماء الوجوه والنظائر، وهي على النحو التالي:

١- **الإباحة، كقوله تعالى:** ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ **(البقرة: ٢٣٥).**

٢-**الإحاطة، كقوله تعالى:** ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ **(الأنعام: ٧٣).**

٣- **الحجة والدليل، كقوله تعالى:** ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ **(الحج: ٧١).**

٤-**السمع، كقوله تعالى:** ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ **(الجاثية: ٩).**

٥- **علم سياسة الحرب، كقوله تعالى:** ﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ **(البقرة: ٢٤٧).**

٦- **الظن، كقوله تعالى:** ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ **(النور: ٣٣).**

٧- **العقل، كقوله تعالى:** ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ **(الحج: ٥).**

٨- **الفضل، كقوله تعالى:** ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ **(القصص: ٧٨).**

٩- **الفطنة والتدبر، كقوله تعالى:** ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ **(الزمر: ٤٩).**

١٠- **القرآن الكريم، كقوله تعالى:** ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ **(يونس: ٣٩).**

١١- **المجازاة، وتكون ثوابا وعقابا أو وعدًا ووعيدًا، كقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ **(الحجر: ٢٤).**

١٢- **المعرفة، كقوله تعالى:** ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ ﴾ **(البقرة: ٦٠).**

١٣- **المعلوم، كقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ ﴾ **(يونس: ٩٣).**

١٤- **الموحدون، كقوله تعالى:** ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ **(العنكبوت: ٤٣).**

١٥- **الوحي، كقوله تعالى:** ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ **(يس: ٦٩).**

١٦- **اليقين، كقوله تعالى:** ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ **(القصص: ٧٥).**

ثانيا : من خلال المعايشة التامة مع آيات العلم في القرآن الكريم، استطاع البحث أن يبين بعض الفروق بين علم الله تعالى (العلم الإلهي) وبين علم البشر (العلم الإنساني)، ومن أهم هذه الفروق ما يلي:

١- أن علم الله – سبحانه وتعالى-لا يخضع للزمن ، فهو علم أزلي قديم، يعلم الماضي والحاضر والمستقبل دفعة واحدة ، ويستحيل عليه التجدد والحدوث، وما جاء على صيغ الفعل فليس باعتبار علم الله -سبحانه وتعالى- وإنما باعتبار تعلق العلم ، أما علم البشر: فهو علم يخضع للتجدد والحدوث؛ لأنه حادث.

٢- أن علم الله -سبحانه وتعالى-لا يخضع للتفاضل؛ فالتفاضل في حقه محال، أما علم البشر يخضع لذلك؛ لأنه علم نسبي كما قال تعالى:﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف: ٧٦).

٣- أن علم الله -سبحانه وتعالى-يستحيل عليه التكثير والمبالغة؛ لأن ذلك يقتضي وجود معلم ومتعلم، وهذا في حقه – سبحانه وتعالى- محال، أما علم البشر: فيخضع لذلك.

ثالثًا: أثبت البحث أن هناك طرقًا لاكتساب العلم، وقد نص القرآن الكريم عليها، وكثيرًا ما يعبر عن العلم بها ، فمنها ما يقع بطريق :

١- **الحواس، كقوله تعالى** ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

٢- **العقل، كقوله تعالى:**﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤٤).

٣- **الوحي، كقوله تعالى:**﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الشورى: ٣)

٤- **الإلهام، كقوله تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **(العنكبوت: ٦٩).**

رابعًا: أثبت البحث أن من أهم الطرق لتحليل دلالات الألفاظ هو دراسة سياقها؛ حيث إن السياق هو المحدد الأساسي للدلالة؛ لذا لم يغفل المفسرون عن هذا الأثر المهم للسياق، فأولوه عنايتهم في التفسير، وجعلوه قرينة مرجحة أو مانعة لما ستدل عليه من معان.

خامسًا :كان للحركات أثر كبير في تنويع دلالة العلم في القرآن الكريم، فقد كان لها دور رئيس في تحديد المعنى من خلال التفريق بين الصيغ الصرفية والمعاني النحوية.

سادسًا: للصيغ الصرفية والأدوات النحوية معان مختلفة، وقد استطاع السياق القرآني أن يكون فيصلاً حاسمًا في تحديد المعاني المحتملة لكل صيغة، وكذا المعنى الوظيفي لكل أداة مما كان له الأثر البارز في تحديد دلالة العلم في القرآن الكريم.

وبعد...

فهذا جهد المقل وبضاعة العاجز، حاولت فيها الوصول، واجتهدت لتحصيل المأمول، والمصيب له أجران والمخطئ غير محروم الأجر، أسأل الله أن يعصمنا من الزيغ والزلل، وألا يحرمنا الأجر والمثوبة، إنه سميع مجيب.

((ثبت بأهم المصادر والمراجع))

☒ **القرآن الكريم**.

☒ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

☒ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، الناشر : دار إحياء التراث العربي / بيروت.

☒ أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٩٨م.

☒ أسرار البلاغة للجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة : المدني بالقاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ -١٩٩١م.

☒ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.

☒ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر/ بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

☒ البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

☒ بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، تحقيق: محمد على النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي/ القاهرة ١٩٩٦م.

☒ البلاغة العربية، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الميداني، الناشر : دار

القلم/ دمشق، الطبعة: الأولى ١٩٩٦.

☒ تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية .

☒ التحرير والتنوير لابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر/ تونس، عام النشر: ١٩٨٤م.

☒ تصريف الأسماء والأفعال، للدكتور: فخر الدين قباوة، مكتبة دار المعارف / بيروت، الطبعة : الثالثة ١٩٩٨م.

☒ تفسير الراغب الأصفهاني، دراسة وتحقيق:د/ محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب/ جامعة طنطا، الطبعة: الأولى ١٩٩٩م.

☒ تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن/ السعودية، الطبعة: الأولى ١٩٩٧م.

☒ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة : الأولى ٢٠٠١م.

☒ التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٩٩٠م.

☒ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ٢٠٠م.

☒ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، الناشر: دار الكتب المصرية / القاهرة،الطبعة: الثانية ١٩٦٤ م.

☒ الجمهرة لابن دريد، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين / بيروت ، الطبعة : الأولى ١٩٨٧م .

☒ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف: أحمد بن إبراهيم الهاشمي، الناشر: المكتبة العصرية/ بيروت

☒ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد على النجار، طبعة: الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٩٨٦م .

☒ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق : د/ أحمد محمد الخراط، الناشر : دار القلم دمشق ، (د. ت).

☒ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، تأليف: د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.

☒ دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، د/ محمد إقبال عروي، سلسلة منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠٧م، ربيع آخر ١٤٢٨هـ.

☒ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، تحقيق: على عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى هـ.١٤١٥.

☒ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي / بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ .

☒ سر صناعة الإعراب لابن جني صـ٢٤٥، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠م.

☒ السياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير ابن كثير نموذجًا، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إعداد/محمد المهدي حمامي رفاعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية ، جامعة حلب.

☒ شرح المفصل لابن يعيش، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت—لبنان، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.

☒ شرح شافية ابن الحاجب للرضي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وغيره، دار الفكر العربي، بيروت/ لبنان ١٩٧٥م

☒ شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

☒ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة: الرابعة ١٩٨٧م.

☒ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقين الناشر: دار إحياء التراث.

☒ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للمؤيد بالله، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ .

☒ علم الاشتقاق د/ محمد حسن جبل ، مطبعة الآداب، الطبعة : الثانية ٢٠٠٩م.

☒ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د/ مهدي المخزومي، د / إبر اهيم السامرائي ، الناشر : دار ومكتبة هلال (د – ت).

☒ فتح القدير للشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب/ دمشق/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.

☒ القاموس المحيط للفيروزآبادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت / لبنان، الطبعة: الثامنة (٢٠٠٥ م).

☒ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، الناشر: دار الكتاب

العربي/ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧م.

☒ الكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت– لبنان ، الطبعة : الأولى ٢٠٠٢م.

☒ الكليات للكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت.

☒ لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، تحقيق: محمد على شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.

☒ لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر/ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

☒ اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور/ تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الثانية ١٩٧٩ م

☒ محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر:: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.

☒ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

☒ المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م.

☒ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، تحقيق: يوسف على بديوي، الناشر: دار الكلم / بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٨م.

☒ مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد

وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى .

☒ المصباح المنير للفيومي، الناشر: المكتبة العلمية/ بيروت.

☒ المعجم الكبير للطبري، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

☒ مفاتيح الغيب للرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٣٢٠هـ.

☒ المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان ، الناشر: دار القلم ، الدار الشامية دمشق / بيروت، الطابعة الأولى :١٤١٢هـ .

☒ مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٩٧٩م.

☒ مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية، تأليف الدكتور: عبد الفتاح البركاوي، الطبعة: الثانية.

☒ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.

☒ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ.

Al-Azhar University

Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls – Kafr al-Sheikh

Department of Principles of Arabic

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds. Peace and prayers be upon the master of humanity and the seal of the prophets and the messengers, Muhammad, peace be upon him.

Knowledge is the light of the intellect, the life of the soul and the source of man's happiness. With knowledge, man is able to survive, be guided, and be able to disperse goodness in all corner of the world. Indeed, knowledge is the nutrition of the soul and a way to please Allah and getting close to Him. Knowledge raises one's ranks, elevate one's status and distinguish among people. Almighty Allah says, "Allah will raise those who have believed among you and those who were given knowledge, by degrees. And Allah is Acquainted with what you do." (Al-Mujadala: 11)

Almighty Allah privileges scholars above all others and makes them the people of understanding and perception. Allah Almighty says, "And these examples We present to the people, but none will understand them except those of knowledge." (Al-ʿAnkabut: 43)

Given this unique status of knowledge, researchers paid much interest to the place of *ʕilm* (knowledge) in the Qurʾan and its multiple Qurʾanic indications and connotations. The present study focuses on the study of the semantic meanings of *ʕilm* in the Qurʾanic context.

The key term "*ʕilm*" is one of the most frequently repeated terms in the Qurʾan. It appears, along with its derivatives, 678 times, most of which calls for contemplation and pondering

over Allah's signs. Hence, the title of this research paper "The Semantic Meanings of *ʕilm* in the Holy Qur'an in the Light of the Theory of Context".

The researcher follows the descriptive analytical approach, as she traces the occurrences of the different derivatives of *ʕilm* through its usages in the Qur'anic contexts and groups them according to their connotations and meanings, each in an independent section. After arranging each occurrence in its relevant section, she elaborately explains the context and its relation to the literal meaning of the term, stressing the impact of the context in realizing the desired semantic meanings. To do this, the researcher utilizes what has been mentioned in books of Arabic language, *Tafsir*, Rhetoric, Grammar and some texts of modern linguistics.

The research is divided into a preface, introduction and three parts. The preface introduces the significance of the topic, the reasons of its selection, and the approach used in the research. The introduction deals with the definition of knowledge, the different methods of knowledge acquisition and the different degrees of knowledge. Part one focuses on the vocal context and its impact in defining the semantic indication of *ʕilm*. Scholars underline the value of the sound as being an influential vocal unit in defining the meaning of the word. The sound, along with other elements, carries the essence of the meaning. If it changes or be replaced, it affects the meaning. This part is divided into three sections. Section one explains the "consonant sound" and its impact on identifying the semantic meaning of *ʕilm*. Section two examines the "vocalized sound" (i.e. sound that has vowels) and its influence on meaning production. It should be noted that vowels play an evident role in the diversification of the semantic connotations and meanings of *ʕilm* in the Qur'an, as vowels changes the derivative forms of the term root ع ل م. Section three explains the vocal syllable and its impact on the semantic meaning of

ʕilm, as different vocal syllables are used in the Qur'an, each has its own significant indications.

When contemplating the syllable patterns of *ʕilm* drivatives in the Qur'an, we notice that it evolves around the following patterns: consonant+vowel, consonant+vowel+consonant, and consonant+vowel+vowel. The first pattern is the most repeated one among them. It can occur up to four time in one derivative form. This indicates the *ʕilm*'s accumulative epistemological dimension, its frequencies and its continuity. As for the second pattern, it occurs at least one time in all *ʕilm* derivative forms. This informs us that the chest is the habitat where *ʕilm* dwells. It is described as such because the chest embraces the *ʕilm*. This embracing will make *ʕilm* feel settled and comforted. The third pattern is not used as much as the other two patterns. It indicates that *ʕilm* is a sign of the high status of its holders.

Part Two studies the morphological context and its impact in identifying the semantic indication of *ʕilm*. Context, both internal and external, has a vital role in identifying the intended meaning of word-form. For example, the *hamza* in *afʿal* refers to multiple meanings, *inter alia* making, process, coincidence, indirect referencing, etc. The double letter in *faʿʿal* denotes exaggerations and multiplications. This part also discusses the different forms of the verbs, whether root or derivative forms, and their impact on identifying the different connotations of *ʕilm*. Also it examines noun forms which render the meanings more powerful. This part demonstrates how these noun forms may have an impact on the definition of *ʕilm*.

Part Three studies the grammatical context and its impact in defining the different indications of *ʕilm* in the Qur'an. This part analyzes the different definitions of articles, since they contributed tremendously to the process of identifying the different meanings of *ʕilm* in the Qur'an. This part also

investigates the structural grammatical units and their impact in identifying the meanings and connotations of *ʕilm*.

The research ends with a conclusion that furnishes the most significant results. Some of these conclusions are as follows:

- The different meanings and connotation of *ʕilm* correspond to what scholars of *wujuh* and *nazaʔir* stated. These connotations are "the Greatest name of Allah, inspiration, clarification, distinction, memorization, vision, a sign of the last hour, against ignorance and understanding."
- New meanings have been revealed through the Qurʾanic context and were not mentioned by scholar of *wujuh* and *nazaʔir*. These meanings are "permissibility, comprehending, evidence and proof, listening, the science of war politics, speculation, intellect, grace, insight and contemplation, the Holy Qurʾan, rewarding, knowledge, the known, the belivers in the oneness of God, revelation and certainty."
- The research highlighted some indicative differences between the knowledge of Allah (the divine *ʕilm*) and the knowledge of man (human *ʕilm*).
- The research argues that there are different approaches to gain knowledge. These approaches were stated in the Qurʾan and were commonly referred to through using the term *ʕilm*. Some of these approaches are senses, intellect, revelation and inspiration.